

جامعة الجزائر (2) - أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع والديمغرافيا

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع الثقافي بعنوان:

الثقافة الفرعية للزواج بين عادات وتقاليد

عرف سيدي معمرو بني يزقن

-دراسة وصفية سوسيوانثربولوجية -

إشراف الأستاذة:

أ.د. براهيم الرحمانى أنيسة

إعداد الطالبة:

بوعزة ياسمين نوال

السنة الجامعية : 2018/2017

كلمة الشكر

ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى

والدي وإن عمل حالاً ترشاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين.

والشكر الأول والأخير إلى الأستاذة المحترمة

"أنيسة براهيم الرحمانى"

المشرفة على هذا الإنجاز

التي أشكرها جزيل الشكر حفظها الله

وزاد من خطاها على صبرها معانا ونصائحها

القيمة التي تكرمت بها علينا وعلى راحة صدرها.

والى كل من ساندني من قريب

او من بعيد في هذا العمل

إهداء

إلى من قال فيهما الرحمان: وقل ربي إرحمهما

كما ربياني صغيرا

الى أمي الغالية

الى أبي الغالي

بكل ما تحمله أسماؤكم من معان سامية

أهديكما ثمرة هذا العمل

وأهدي هذا العمل الى زوجي العزيز الذي وقف

الى جانبي وكان خير سند لي "نور الدين"،

والى فترة عيني أبنائي "أيمن" و"آية"

كما أهدي هذا العمل الى أختي سميلة التي ساعدتني

ومعني

وأخي محمد ووليد وأبن أخي نزيه

إلى روح "حماتي" الطاهرة أسكنها الله فسيح جنانه

إلى كل الناس الطيبين الذين ساعدوني ولو بكلمة طيبة

الفهرس

كلمة شكر

الإهداء

مقدمة..... أ

الفصل الأول: المقاربة المنهجية

تمهيد..... 7

أولاً: أسباب الدراسة والأهداف..... 8

ثانياً: إشكالية الدراسة..... 10

ثالثاً: تحديد المفاهيم الجوهرية لموضوع الدراسة..... 13

رابعاً: المقاربة النظرية السوسيولوجية الأنثروبولوجية للدراسة..... 27

خامساً: مجالات الدراسة وكيفية استخراج العينة..... 40

سادساً: المناهج وتقنيات المستخدمة في الدراسة..... 43

سابعاً: التقنيات المستخدمة في الدراسة..... 45

ثامناً: الدراسة الإستطلاعية..... 48

تاسعاً: صعوبات الدراسة..... 49

الفصل الثاني: الدراسات السابقة

تمهيد..... 51

1-الدراسات الغربية..... 52

1-1-دراسة روجي كايوا..... 52

1-2-دراسة مرسل موس..... 53

1-3-دراسة إميل دوركايم..... 53

1-4-دراسة فون جينيب..... 54

54	1-5-دراسة وسترمارك.....
55	2-الدراسات الجزائرية.....
55	2-1-دراسة الأستاذة براهيم الرحماني أنيسة.....
56	2-2-دراسة ماتيا قوي دري.....
58	خلاصة.....

الباب الأول: الجانب النظري

الفصل الثالث: العادات والتقاليد الاجتماعية

61	1- العادات الاجتماعية نشأتها وأهميتها.....
65	2- روافد العادات الاجتماعية وأنواعها.....
66	3- أنواع العادات الاجتماعية.....
8+	4- خصائص العادات الاجتماعية ووظائفها.....
71	5- التقاليد.....
72	6- أهمية التقاليد.....
73	7- خصائص التقاليد.....
75	خلاصة الفصل.....

الفصل الرابع: الثقافة الفرعية

77	تمهيد.....
78	1- مفهوم الثقافة الفرعية.....
86	2- أهمية الثقافة الفرعية ووظائفها.....
91	3- وظائف الثقافة الفرعية بالنسبة للفرد.....
92	4- وظائف الثقافة الفرعية بالنسبة للمجتمع.....

94	5-خصائص الثقافة الفرعية.....
98	6-الثقافات الفرعية والجماعات العرقية.....
100	7-الثقافات الفرعية والجماعات المجتمعية الفرعية.....
103	8-العوامل والعناصر التي ترتبط بالثقافة الفرعية.....
105	خلاصة.....

الفصل الخامس: الزواج وأشكاله

107	تمهيد.....
108	1-مفهوم الزواج.....
108	2-أشكاله.....
110	3-أنماط الزواج.....
111	4-مفهوم الزواج من الناحية الاجتماعية.....
112	5-تغير النظرة إلى الزواج.....
113	6-الزواج في المجتمع الجزائري.....
116	خلاصة.....

الفصل السادس: نبذة تاريخية عن عرف ومهر الولي سيدي معمر

118	تمهيد.....
119	1. نشأة العرف.....
121	2. أنواع العرف.....
123	3. شروط العرف.....
124	4. العرف في المجتمعات.....
126	5. عرف سيدي معمر.....

6. المهر وتطوره التاريخي.....	130
7. المهر والدين.....	132
8. مهر سيدي معمر	134
9. من هو الولي؟.....	135
10. كرامات الأولياء.....	136
11. كيف يصبح الشخص مقدسا أو وليا.....	137
12. مكانة الأولياء في المجتمع الجزائري.....	139
13. مظاهر تقديس الأولياء	140
14. نبذة تاريخية عن عرف سيدي معمر	143

الفصل السابع: تاريخ ميزاب ومؤسساته الاجتماعية

تمهيد.....	156
1. أصل ميزاب وموقعها الجغرافي	157
2. قرى بني ميزاب وديانتها.....	160
3. نظام العزاب في واد ميزاب	167
4. حلقة العزابة.....	170
5. وظائف أعضاء الحلقة.....	173
6. الهيئات المساعدة لحلقة العزابة	175
7. العشيرة	177
8. وظائف العشيرة	178
9. مجالس الأعيان.....	180
10. وظائف مجلس الأعيان وصلاحياته.....	181
11. الزواج في المجتمع الميزابي.....	184

الباب الثاني: الجانب التطبيقي

الفصل الثامن: عادات وتقاليد زواج عرف سيدي معمر وبني يزقن

نبذة تاريخية عن مدينة شرشال

تمهيد	197
1- شرشال تاريخيا	198
2- شرشال جغرافيا	199
3- شرشال ثقافيا وحضاريا	201
4- المعالم التاريخية بمدينة شرشال	206
5- وصف عادات وتقاليد وطقوس الزواج في عرف سيدي معمر	211

نبذة تاريخية عن مدينة بني يزقن

تمهيد	247
1 - بني يزقن تاريخيا	248
2- بني يزقن جغرافيا	249
3- بني يزقن ثقافيا وحضاريا	252
6- وصف عادات وتقاليد وطقوس زواج "بني يزقن"	253
7- مقارنة لأوجه التشابه والاختلاف بين عادات وتقاليد وطقوس زواج عرف "سيدي معمر" و"بني يزقن"	277
الخلاصة	321
الاستنتاج العام	335
الخاتمة	341

قائمة المراجع

الملاحق

مقدمة:

لكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية مجموعة من الخصائص والمميزات الاجتماعية والنفسية والمعيشية والتاريخية التي تعبر عن كيان ينصهر فيه جميع أفراد المجتمع هذه الخصائص والمميزات هي ما يطلق عليه بـ "الثقافة"، فهي تشمل كل ما يتلقاه الفرد من مظاهر الفنون والعلوم والمعارف والعادات وتقاليد والعقائد وما إليها. وتشمل الثقافة أموراً معنوية وأخرى مادية لا تقل أحدهما أهمية عن الأخرى، وتعد العادات والتقاليد واحدة من مكونات الثقافة الأساسية التي تضمن الحفاظ على استمرارية المجتمع فوجودها هو الذي يشكل روح الحياة ووجهها الاجتماعي وثقافي.

تعتبر العادات و التقاليد الميزة الأساسية الثابتة والمتغيرة نسبياً التي لا تخلو منها المجتمعات و منها المجتمع الجزائري لأن العادات والتقاليد إرث ثقافي غني لا يستهان به في كثير من الأوقات فهي رسالة يحملها الفرد إلى أي مكان معبراً بذلك عن هويته الثقافية فهي تشمل كل الممارسات والسلوكيات التي يقوم بها الفرد في ظروف ومناسبات مختلفة فهي عاملاً أساسياً لتوحيد الذهنيات، حول مبدأ المحافظة على التراث والاتصال بالماضي باعتبارها ممارسات ناتجة عن الوجدان الشعبي تحفظها الذاكرة الجمعية لأنها وسيلة أساسية في الضبط الاجتماعي، من أجل تحقيق الانتماء والتماسك الاجتماعي خوفاً من التهميش، لأنها تمس الجانب المقدس في المخيلة الجماعية ألا وهي الأسلاف.

ومن بين العادات وتقاليد التي أثارت اهتمامنا في المجتمع الجزائري، تلك التي تخص الزواج باعتباره من بين المؤسسات الاجتماعية التي مازالت تمارس فيها عادات، وتقاليد خاصة حافظ عليها الأجيال من جيل إلى آخر لكنها في نفس الوقت تختلف من منطقة إلى أخرى.

والزواج المعمري "بشرشال" وزواج الميزابي وبالأخص في منطقة "بني يزقن"، من بين الأنماط الموجودة في المجتمع الجزائري، يمتازان بترسانة من العادات وتقاليد، وطقوس

خاصة على غرار ما تتميز به باقي المدن الجزائرية الأخرى لديهم نظم وأعراف إجتماعية خاصة بزواج تختلف عما هو موجود في الثقافة الأم للمجتمع، فقد وضعوا لأنفسهم "ثقافة فرعية" تنظم مراسيم الزواج من البداية إلى النهاية، فهما ليزالان يحافظان على تقاليد الماضي و القيم الدينية في طرق التحضير لمراسيم الزواج وبالأخص "المهر" أو "الصدّق" و"تحضير "لزفاف" الذي يتميز بالبساطة وعدم المغالاة.

ومن بين المناطق التي يشتهر فيها عرف "سيدي معمر" لدينا مدينة "شرشال"، "شلف" و"تنس" حيث أغلبية العائلات ينتمون إلى عرف "سيدي معمر"، فهو نمط زواج تقليدي معروف في الجزائر بـ "زواج الربع دينار" (بالعامية زواج ربعة دورو)، وهو منسوب لولي صالح يدعى "سيدي معمر ابو لعالية" يختلف هذا النمط عن المناطق الأخرى بخصوصيته الثقافية، خاصة من حيث "المهر" أو "صدّق" الذي لا يفرض الغلاء و ثراء بل يمتاز بالبساطة وتيسير، وتطبيق الشريعة الإسلامية بطريقة عفوية الهادفة للحفاظ على التضامن الإجتماعي، ومكافحة الآفات الإجتماعية، هذا ما نجده ايضا بطريقة وشكل مختلف في عادات و تقاليد زواج بني ميزاب عامة، و في منطقة "بني يزقن" خاصة حيث يرمي إلى الحفاظ على التقاليد و تحقيق التضامن الإجتماعي من خلال تحديد قيمة "المهر" فهو يمتاز بالبساطة وعدم المغالاة، حيث لا يجوز أن يتعدى الحد المسموح به عرفا من طرف "نظام العزابة" فبذ لك تصبح هذه العادات هي المسير الحقيقي والضابط لسلوكات الأفراد لتحقيق الإنتماء والتماسك الاجتماعي.

ويلاحظ من خلال تلك العادات وطقوس الخاصة بالزواج في هذه الجماعات انها تتمتع بموروث ثقافي خاص بها، لكنها تشترك مع بعضها البعض في الأهداف التي يرمي اليها هذا النمط الزواجي ومن اجل الوقوف أكثر على هذا الموضوع لابد من التعرف على هذا

العرف ونظام الإجماعي في "بني يزقن" والعادات وتقاليد الخاصة، بـ "سيدي معمر" و "بني يزقن"، والغوص فيها لمعرفة ادق التفاصيل الخاصة بها.

هذه الجامعات مازالت متمسكة بهذه العادات وتقاليد، لهذا لا بد من التعرف عليها والغوص فيها لمعرفة جذورها التاريخية.

إن تلك المظاهر أي مظاهر ممارسة المراسيم الاحتفالية، للزواج لدى "لعائلات المعمرية" بمدينة شرشال، وعائلات "بني يزقن" في ميزاب هي دلائل على وجود ثقافة فرعية تمثل تلك الجماعات على اعتبار أن الثقافة الفرعية هي مجموعة من الخصائص الثقافية والأنماط السلوكية التي تتميز بها جماعة معينة أو مجتمع فرعي معين ولكنها لا تتعارض في أدائها وتحقيق أهدافها مع الثقافة الكلية للمجتمع الأكبر، وهي تضيف على أعضائها سمات ثقافية وخصائص محددة لا يتميز بها سوى الأعضاء في تلك الثقافة الفرعية، وهذه الأخيرة تتطلب دراسة منهجية لتحليل العناصر الجزئية المكونة لها ومدى ارتباطها وعلاقتها بالنسق الثقافي الأشمل في المجتمع الأكبر الذي يحويها ومن هنا جاء اختيار هذا الموضوع محورا للدراسة لتفسير مبررات لإستمرار هذه العادات وتقاليد، ولفهم تلك الثقافة الفرعية بمكوناتها المادية واللامادية ومدى ارتباطها وتأثيرها على المجتمع الأصلي.

كيف نشأت وأسباب ظهورها وأهم عاداتها وتقاليدها، وماهي الأهداف التي ترمي إليها والوظائف التي تؤديها.

وعموما فالعائلات المعمرية والعائلات "الميزابية" عملت على الحفاظ على هذا النمط من الزواج بما يلائم ظروفها الاجتماعية الحالية من اجل ان تحافظ على هويتها الجمعية في إطار التمسك والحفاظ على تراثها، وثقافتها وبالتالي تصبح هذه التقاليد المسير الحقيقي والضابط لسلوكيات العامة للأفراد من أجل تحقيق الإنتماء الجماعي، وخوفا من التهميش لأنها تمس الجانب المقدس في مخيلتها الجماعية ألا وهي الأسلاف لهذا يعتقد أنها أسلوبا

صحيح وأخلاقي في آن واحد، لكن عندما نتصف بصفة الحقيقة والواقع تتحول إلى عرف شعبي، والعرف قد يتحول بدوره إلى قوانين وأحكام ثابتة.

ومحاولة منا للتحكم في جوانب الدراسة فقمنا بتقسيم هذه الدراسة الى بابين: يتمثل الباب الأول في الجانب النظري والباب الثاني في الجانب الميداني.

في البداية المدخل الخاص بالمقاربة المنهجية ويتضمن فصلين:

- الفصل الأول الذي تعرضنا فيه إلى الخطوات المنهجية المتبعة في البحث.
- الفصل الثاني الذي بدأنا به الجانب النظري الذي تمثل في الدراسات السابقة للبحث.
- واختتم الفصل بملخص ليليهِ الفصل الثالث الذي تطرقنا فيه إلى مفهوم العادات وتقاليد الإجتماعية بحيث شمل مفهوم العادات وأنواعها ثم مفهوم التقاليد وخصائصها والوظائف التي تؤديها .
- الفصل الرابع تطرقنا فيه إلى مفهوم الثقافة الفرعية وكيفية ظهورها وأهم الخصائص التي تميزها.
- الفصل الخامس تعرضنا فيه لمفهوم الزواج لغة ومن الناحية البيولوجية والإجتماعية ثم مفهوم الزواج شرعا وفي قانون الأسرة الجزائري، مع تقديم اشكاله وأنواعه.
- الفصل السادس تطرقنا من خلاله إلى تقديم نبذة تاريخية عن عرف ومهر الولي سيدي معمر، والتعريف بعرف سيدي معمر، ثم عرفنا المهر وشروطه، ومهر "زواج عرف سيدي معمر وفي الأخير قدمنا تعريف للولي وكرامات الأولياء مع تقديم نبذة تاريخية للولي سيدي معمر .

-وأخيرا الفصل السابع تعرضنا لتاريخ ميزاب وأهم مؤسساتها الإجتماعية العرفية "هيئة العزابة".

- الباب الثاني يكمن في الجانب الميداني الذي قدمنا من خلاله مقارباتنا الميدانية المتمثلة في التعريف با عادات زواج عرف "سيدي معمر" و"بني يزقن " وذلك بوصفها وصفا دقيقا وتحليلها سوسيولوجيا من مرحلة الخطبة إلى غاية يوم الزفاف، ثم قمنا بالمقارنة بين الزواج في عرف "سيدي معمر" و"بني يزقن"، أما المنهجية المستخدمة في لبحث تكمن في المنهج الوصفي الكيفي، وفيما يخص تقنيات البحث استوجبت طبيعة الموضوع استعمال الملاحظة المباشرة والمقابلة نصف موجهة للحصول على معلومات التي تخدم البحث.

وفي الأخير قمنا بتحليل المعطيات المتحصل عليها من الميدان ووضعتها في محاور وحاولنا قدر المستطاع ان نحللها سوسيولوجيا.

واختتمنا موضوع بحثنا بالنتائج العامة والخاتمة مع ادراج قائمة المراجع التي إستعنا بها في الجانب النظري والمنهجي للدراسة.

الفصل الأول

المقاربة المنهجية

تمهيد

أولاً: أسباب الدراسة والأهداف

ثانياً: إشكالية الدراسة

ثالثاً: تحديد المفاهيم الجوهرية لموضوع الدراسة

رابعاً: المقاربة النظرية السوسيولوجية الأنثروبولوجية للدراسة

خامساً: مجالات الدراسة وكيفية استخراج العينة

سادساً: المناهج وتقنيات المستخدمة في الدراسة

سابعاً: التقنيات المستخدمة في الدراسة

ثامناً: الدراسة الإستطلاعية

تاسعاً: صعوبات الدراسة

تمهيد:

تتمثل أهمية الموضوع كونه تمهيدا للدخول في صلب الدراسة، المتضمن الخطوات المنهجية والنظرية للبحث المتمثلة في أسباب إختيار الموضوع، أهميته وأهدافه، إشكالية البحث تحديد المفاهيم الجوهرية لموضوع الدراسة، إضافة إلى منهجية البحث وتقنياته ومجالات الدراسة وكيفية اختيار أفراد دراسة الحالة، كما تطرقنا إلى أهم صعوبات الدراسات، واختتمنا هذا الفصل بمختلف الدراسات السابقة الغربية والجزائرية.

أولاً-أسباب إختيار الموضوع والأهداف:

عملية اختيار الموضوع من مراحل البحث الوحيدة التي تعتمد على العوامل الذاتية لدى الباحث حيث ان اختيار الموضوع يخضع بشكل كبير إلى اهتماماته وميولاته، واستعداده للدراسة.

لقد تم اختيار موضوع "الثقافة الفرعية لعادات وتقاليد "زواج عرف سيدي معمر" و"بني يزقن" نظرا لما يكتسبه من أهمية بالغة في عادات وتقاليد الزواج في المجتمع الجزائري عامة، وفي منطقة "شرشال" و"بني يزقن" بصفة خاصة. وفيما يخص الأسباب التي وجهتنا نحو اختيار هذا الموضوع إلى مجموعة من الأسباب:

أ-أسباب ذاتية:

- فمن خلال الملاحظة اليومية المنتقاة من عينة البحث لاحظنا ممارسات اجتماعية في "زواج عرف سيدي معمر" و"بني يزقن" خاصة من الناحية المادية (المهر أو الصداق) واللامادية الثقافية التي لها صلة بطقوس وعادات مراسيم الزواج المعمري والميزابي في "بني يزقن".

- تسليط الضوء على الولي الصالح "سيدي معمر" هذا العرف الخاص بزواج "سيدي معمر" وونظام الاجتماعي السائد "حلقة العزابة" "بني يزقن" لمعرفة أهم المميزات التي تتميز بها والوظائف التي تؤديها، وربطها بالعوامل التي تساعد على استمرارها، مع إبراز النتائج المترتبة على ذلك.

ب-أسباب علمية:

- لفت الإنتباه إلى ظاهرة هامة مرتبطة بالإرث الثقافي اللامادي في المجتمع الجزائري والمتمثلة في تعريف بالزواج عرف سيدي معمر "و" بني يزقن ".
- نقص لدراسات الأنثروبولوجية حول موضوع عادات وتقاليد الزواج في الجزائر.

- إثراء الساحة العلمية بمثل هذه المواضيع ذات الطابع السوسيوأنثروبولوجي.
- تقديم وصف تحليلي لعادات وتقاليد زواج "عرف سيدي معمر" و"بني يزقن".
وأخيرا كان لابد من تسطير مجموعة من الأهداف بغية وضع البحث في إطاره العلمي الصحيح، ومن بين أهداف الدراسة:

- محاولة الوصول إلى رسم صورة واقعية ومتكاملة لنموذج الزواج المعمري والميزابي في "بني يزقن".
- التعريف بالولي الصالح "سيدي معمر" لأن الكثير منا يجهل أصل وتقاليد الزواج المعمري ونظام الإجتماعي الذي يسير العلاقات الإجتماعية في "بني يزقن" أي نظام "العزابة" بما فيها نظام الزواج الميزابي بـ "قصر بني يزقن".

ثانيا: إشكالية الدراسة:

إن الممارسات الاحتفالية هي موضوع بحثنا، خاصة تلك التي تتعلق بعبادات وتقاليد وطقوس الزواج الخاصة بعرف "سيدي معمر"، في كل من مدينة "شرشال"، وتقاليد الزواج في بني ميزاب في منطقة "بني يزقن".

ويتبين للملاحظ لتلك الممارسات (العادات وتقاليد) أنها تشكل كلا متتاليا، تتألف من مجموعة من المراحل المتناسقة، التي تتبع فيها هذه العادات وتقاليد وطقوس تسلسلا محددًا واحتراما خاصا (الخطبة -المهر - ثم الفاتحة وآخيرا العرس)، وعلى الرغم من عدم وجود اي نص قانوني او ديني ينص على هذا التتابع، فهذه العائلات تصر على إتباع نفس الخطوات وتعمل على إستمراريتها وإنتقالها من جيل لآخر.

وهكذا نجد أن العائلات المعمرية والميزابية في "بني يزقن" وأفراد المجتمع المقبلين على الزواج، يعطون أهمية بالغة لتلك العادات وتقاليد وطقوس المصاحبة لها، فهم يهتمون بالجانب المعنوي دون المادي فيلزمون أنفسهم بمثل هذه الممارسات، فنجد العائلات على إختلاف مستوياتها الإجتماعية وثقافية والإقتصادية، تلتزم بتنفيذ كل الشروط وتصر على إقامة المراسيم كما تنص عليها تقاليد عرف "سيدي معمر" وكذلك التقاليد الخاصة بابني ميزاب في "بني يزقن"، او ما ينص عليه عرف "نظام العزابة" فيما يخص الزواج وتحضيراته من أول خطواته (من اختيار شريكة الحياة) الى يوم الزفاف.

هذه المظاهر والمواقف كانت سببا في طرح تساؤلنا باعتبار أن كل ممارسة خاصة إذا كانت جماعية تهدف إلى شيء ما، ثم إن هذه الطقوس والعادات والتقاليد هي نتاج المجتمع وأفراد هذا المجتمع الذين يعملون على الحفاظ عليها فاستمرار هذه

الممارسات مضمون بتمسك الفاعلين الإجتماعيين بالقيم والرموز، والدلائل التي تحملها.

وإذا وفقنا "كازنوف" في "كون كل ممارسة ذات مغزى إجتماعي"¹، نتساءل عن إستمرارية هذه الممارسات.

إن استمرار هذه العادات وتقاليد وطقوس، وتكرارها دال على إستمرار وظيفتها في المجتمع وإختيار الفاعلين الإجتماعيين لهذه الممارسات دون الأخرى، أو إعادة تكييف بعض الممارسات دلالة على الوظيفة التي تؤديها حتى وإن كانوا غير واعين بذلك.

وعليه فإن التساؤلات التي إنطلقت منها هذه الدراسة تتمثل في:

- ماهي الخصائص التي تتميز بها عادات وتقاليد زواج "عرف سيدي معمر" والزواج في "بني يزقن"؟

- ماهي الدلالات التي تحملها هذه الممارسات؟ وإلى ما تشير هذه الطقوس والممارسات؟

إننا نتساءل بتعبير أدق عن المنطق الداخلي الذي يحكمها، وعن وظائف هذه العادات والتقاليد وطقوس، ما هو الهدف المنتظر من هذه الممارسات؟ ماهي الوسائل المستعملة للوصول إليها؟ ولأهم من ذلك لما كل هذا الإهتمام بهذه الممارسات؟

¹ Cazeneuve, Jean, *Sociologie du rite, tabou, magie, sacré*, éd. P.UF., 1971, p.10.

والإشكال الأساسي لهذه الدراسة يتمحور حول:

- ما هي أهم مميزات عادات وتقاليد زواج "عرف سيدي معمر" في مدينة شرشال، وعادات وتقاليد الزواج في "بني يزقن"؟
- ما هي الوظائف التي تؤديها هذه العادات والتقاليد؟ وماهي الدلالات التي تحملها؟

ثالثاً: تحديد المفاهيم الجوهرية لموضوع الدراسة:

تعتبر عملية تحديد المفاهيم من الخطوات الأساسية في البحث العلمي، لأنها تساعد الباحث على توضيح المعالم الرئيسية لدراسة، ويستطيع من خلالها الباحث أن يوجه البحث في المسار الذي يخدم أهدافه، ويتوافق مع معطيات وطبيعة المجتمع، أو الظاهرة المدروسة ولما كانت بعض المفاهيم مشتركة بين العلوم الاجتماعية، وفي نفس الوقت مختلفة من مجتمع إلى آخر كان لابد من وضعها في إطارها الصحيح، وضبط معانيها بشكل دقيق لإبعاد أي غموض قد يحيط بمسار البحث.

1. مفهوم الزواج:

-فقد ذكر «وستر مارك» "أن الزواج هو عبارة عن إتحاد الرجل والمرأة، اتحاد يعترف به المجتمع عن طريق حفل خاص.

-وقد عرفه " أحمد الشنتاوي" بقوله " أنه نظام اجتماعي معروف أساسه علاقة رجل بامرأة علاقة يعترف بها القانون ويقرها العرف والتقاليد وتتضمن هذه العلاقة حقوقاً والتزامات على الزوجين معا وعلى الأبناء الذين يولدون نتيجة لذلك الرباط"¹.

-أما فوزية دياب فعرفته بأنه " العلاقة المشروعة بين الرجل والمرأة، ويتم دائماً وفق اوضاع يقرها المجتمع، وفي حدود يرسمها ويعينها ويفرض على الأفراد التزام بها ومن يخرج عنها يكون هدفاً للعقاب الذي ينص عليه العرف والقانون"².

¹ - الأخرس محمد صفوح، تركيب العائلة العربية ووظائفها-دراسة ميدانية لواقع العائلة في سورية -دمشق- منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1976، ص174.

² - الخولي سناء، الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1984، ص 43.

-وعرفته سناء الخولي: بأنه "نظام إجتماعي يتصف بقدر من الإستمرار والإمتثال للمعايير الإجتماعية، وهو الوسيلة التي يعتمد عليها المجتمع لتنظيم المسائل الجنسية وتحديد مسؤولية صور التزاوج الجنسي بين البالغين"¹.

الزواج:

1-يعرف الزواج بوجه عام أنه علاقة جنسية مقررة إجتماعيا بين شخصين أو أكثر ينتميان إلى جنسين مختلفين، ويتوقع أن تستمر لمدة أطول من الوقت التي تتطلبها عملية حمل وإنجاب الأطفال وتكاد تكون العلاقة الثابتة هي أهم ما يميز الزواج في مختلف الثقافات، طالما أن الزواج لا يتساوى في إمتداده مع الحياة الجنسية، وطالما أنه يستبعد علاقات البغي والزنا وأي نوع من العلاقات الجنسية العارضة أو التي لا يقرها القانون أو العرف أو الدين.²

2-أو هو مؤسسة اجتماعية، أو مركب من المعايير الإجتماعية يحدد العلاقة بين رجل وامرأة، ويفرض عليهما نسقا من الإلتزامات والحقوق المتبادلة الضرورية لإستمرار حياة الأسرة وضمان أدائها لوظائفها، ويعتبر حفل الزواج إعلانا يعترف بمقتضاه كل من الزوج أو الزوجة بمكانته الجديدة في المجتمع، وهي التي تكتسب من خلال التعاقد بينهما الذي يلقي كل التدعيم الاجتماعي.

3-ويتخذ الزواج في المجتمعات الإنسانية أشكالا وصورا عديدة، فقد يكون أحاديا أو تعدديا أو يكون أمويا أو أبويا، سواء من حيث النسب أو الإقامة، وقد يكون داخليا، يلزم الأفراد بالزواج من داخل الجماعة، أو خارجيا يلزم الأفراد بالزواج من خارج

¹ - دياب، فوزية، القيم والعادات الإجتماعية - مع بحث ميداني لبعض العادات، دار النهضة العربية للطباعة ونشر، بيروت، لبنان، 1980، ص 245.

² - غيث محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، مطبعة الانتصار، دار المعرفة الجامعية، 1979، ص،

الجماعة ويحرم الزواج من داخلها وتوجد إلى جانب جماعة المحارم الضيقة (المعروفة) اختلافات واسعة بين درجات التحريم في المجتمعات المختلفة.

المفهوم الإجرائي:

هو مؤسسة إجتماعية أو مركب من المعايير الإجتماعية يحدد العلاقة بين الرجل والمرأة ويفرض عليها نسقا من الإلتزامات والحقوق المتبادلة الضرورية للإستمرار حياة الأسرة وضمان أدائها لوظائفها ويعتبر حفل الزواج العملية التي ينتقل من خلالها كل من الزوج والزوجة بأدوار جديدة إلى المجتمع وهي تكتسب من خلال التعاقد الذي يلقي كل التدعيم الإجتماعي.

2. المهر:

المهر هو ركن من أركان صحة العقد في الزواج، وقد عرفه مصطفى لخشاب بقوله: "إن المهر هو المال الذي يدفعه الرجل للمرأة عند الاقتران بها، وهو حق الزوجة على زوجها يثبت بمقتضى العقد ويسمى هدية أو عطاء من الرجل للمرأة"¹.

- هو ما يدفعه الزوج لزوجته وله اسماء عديدة كالنحلة، الفريضة الأجر او العلائق، العقد المهيبة الصداق، الصيغة².

- ما هو جدير بذكر ان المهر في العرف الإجتماعي هو مال أو ما يحول إليه يقدمه الزوج إلى زوجته على انه هدية ويرتبط اجتماعيا بمراسيم الزواج ويسجل في عقد الزواج.

¹ -Dib Marouf Chafika, **Fonction de la dot dans la cité Algérienne**, Alger , OPU ,1984,p 33 .

² - امام محمد كمال الدين، الزواج والطلاق في الفقه الإسلامي، المؤسسة الجامعية لدراسات ونشر، بيروت، ط1، 1996، ص 119.

المفهوم الإجرائي:

هو ركن من أركان صحة العقد في الزواج ويكون عادة عبارة عن مبلغ من لمال، وفي عرف سيدي معمر المهر رمزي يتمثل في قطعة ذهبية "لويزة ربع دوروا"، وفي "بني يزقن" يكون على شكل نسبة بسيطة من ذهب 35 غ من ذهب.

- أما مهر العروس في قصر "بني يزقن" فيحدده نظام العزابة وعلى كل من يشرع في الزواج الإقتداء بما ينص عليه قانون العزابة الخاص بالمهر وهو عبارة عن قطع من الذهب والمال لا تتعدى قيمته 35 غ من ذهب ما تم تحديده من طرف العزابة.

ومهر المرأة في عرف سيدي معمر عبارة عن قطعة من الذهب لا غير (لويزة ربع دوروا) هذا في الوقت الذي تشهد فيه مناطق أخرى من الجزائر غلاء فاحشا في المهور جعل الشباب ينفرون من الزواج، هذا بدلا عن أزمة السكن الخانقة وتراجع القدرة الشرائية للجزائريين بشكل أصبح الشباب ينظر إلى الزواج وكأنه حبل مشنقة سيلتف حول عنقه.

3. الثقافة اللامادية:

جميع السمات الثقافية، غير ملموسة، كالمهارات الفنية والمعايير والمعتقدات والاتجاهات واللغة التي تنتقل، من جيل إلى آخر، ويفضل بعض علماء الاجتماع استخدام الثقافة للدلالة على هذا الجانب فقط. بينما يميل آخرون مثل "وليم اجبرن" إلى تقسيم الثقافة إلى جانبين: مادي ولا مادي¹.

¹- غيث محمد عاطف مرجع سبق ذكره، ص 113.

المفهوم الإجرائي:

هي مجموعة العادات والتقاليد المتوارثة من جيل إلى آخر، وفي بحثنا هذا يقصد بها عادات وتقاليد وطقوس عرف سيدي معمر التي تمارس في الزواج المعمري، فيما يخص "المهر" ومراسيم الزواج.

4-التقاليد:

يطلق هذا المصطلح على إنتقال بعض المعتقدات وأنماط السلوك والأنشطة من جيل إلى جيل آخر وقد يستخدم مصطلح التقاليد بمعنى الثقافة أو كعنصر ثقافي ينتقل عبر الزمان¹.

فالتقاليد هي العناصر المكونة للثقافة، والتي تنتقل من جيل لآخر، إنها عبارة عن قواعد السلوك الخاصة بجماعة أو طائفة معينة والتي يتناقلها الخلف عن السلف جيلا بعد جيل.

المفهوم الإجرائي:

إن التقاليد تمثل مجموعة من السلوكات اليومية المستقلة في وجودها عن الفرد، والتي تخضع لسلطة الماضي بحيث تستطيع فرض نفسها عليه وهي أنماط وقواعد سلوكية تنتقل من جيل إلى جيل عن طريق التنشئة الإجتماعية من الجيل السابق إلى الجيل اللاحق، حيث يكتسب الفرد منذ نشأته مجموعة من النماذج السلوكية التي إعتاد المجتمع السير عليها، وهي من إنتاج الجماعة التي تعمل على تماسكها، وفرض

¹ - غيث محمد عاطف، مرجع سبق ذكره، ص 489.

العقاب على مخالفتها لذا فهي تحضي بالقبول من طرف أعضاء المجتمع وتمتاز بالإستقرار والإستمرار والإحترام.

5- الضبط الإجتماعي:

يستخدم مصطلح الضبط الإجتماعي للإشارة إلى أن سلوك الفرد وأفعاله محدود بالجماعات، وبالمجتمع المحلي، والمجتمع الكبير الذي يعد عضوا فيه، أما الوسائل التي تحقق إمتثال الأفراد لقواعد المجتمع فهي ميكانيزمات ذات طبيعة إجتماعية.

ومن أقدم تعريفات الضبط الإجتماعي التعريف الذي قدمه "روس" **E.A.ROSS** "الضبط الإجتماعي هو السيطرة الإجتماعية المقصودة التي تؤدي وظيفة معينة في المجتمع"¹.

- والضبط الإجتماعي هو وسيلة اجتماعية وثقافية تفرض عن طريقها قيود منظمة على السلوك الفردي، بهدف الى التوصل إلى مسايرة الفعل للتقاليد وأنماط السلوك ذات الأهمية في أداء الجماعة والمجتمع لوظيفتها على نحو مستقر.

المفهوم الإجرائي للضبط الإجتماعي:

الضبط الإجتماعي هو كل وسيلة يلجأ المجتمع او الجماعة للحفاظ على النظام، وتدعيم القيم والعادات الإجتماعية السائدة لدى أفراد المجتمع التي يتحمل من يخالفها في عرف "سيدي معمر" ونظام الاجتماع السائد في "بني يزقن" عقوبة

¹ - غيث محمد عاطف، مرجع سبق ذكره، ص 318.

الإستهجان الإجتماعي أو رفض الجماعة له أو يصاب بلعنة أو المرض في "عرف سيدي معمر" المجتمع، ويكون في أغلب الأحيان معنوي.

6- طقوس:

ويشير المصطلح بوجه عام إلى مجموعة شعائر (طقوس) تتميز عملية الانتقال (الأساسية) في حياة الفرد من مرحلة إلى مرحلة أخرى، ومن وظائفها الجوهرية توفير الوسائل النظامية التي توفر مكانة معينة والإعلان عن إبتداء مكانة أخرى مختلفة، توفر للفرد الدعم العاطفي وتؤكد التزامه بواجباته وتحدد حقوقه.¹

المفهوم الإجرائي:

هي مجموعة من الترتيبات الخاصة بزواج عرف سيدي معمر تمارس خلال يوم الزفاف وبعده أي كل التحضيرات والترتيبات الخاصة بالعروس ليلة الزفاف من حيث اللباس وطريقة خروجها من بيتها نحو بيت زوجها.

7- مفهوم العرف:

يشير مصطلح العرف إلى مجموعة النماذج السلوكية التي يجب الإلتزام بها من قبل أفراد المجتمع لما لها من أهمية تقليدية واجتماعية بالغة، والوقوف ضد هذه التعاليم الأساسية للأعراف يستلزم العقاب الصارم (...) وتغير الأعراف يحتاج وقتاً طويلاً.²

¹- غيث محمد عاطف، مرجع سبق ذكره، ص 389.

²- إحسان محمد حسن، معجم علم الإجتماع، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1986، ص 147.

فكلمة العرف تعني القانون العام الذي يعمل افراد المجتمع على تطبيقه والسير عليه وهناك تداخل بين كل من العرف، التقليد، "العادة" وهو يمثل نوع من العادات والتقاليد المتوارثة. وقد أدخل "تايلو" العرف في تعريفه المشهور للثقافة "على انه واحد من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في الجماعة"، وفي تعريف حديث يقول جلن ان: "العرف عادة تخضع للأسلوب الجماعي في تكوينها وفي تلقينها وتوارثها من جيل إلى جيل¹.

من هذا يتبين لنا ان العرف هو قانون يخضع له الفرد، ويقوم بتطبيقه وممارسته دون شك في عدم صحته، ويكتسب هذا العرف إجتماعيا منذ أن نشأ في مجتمعه حتى يكتمل دوره كعضو في الجماعة، لذا فهو لا يستطيع مخالفته ولا الخروج عنه أو تغييره، لأنه حتما سيلقى العقاب الصارم من محيطه الإجتماعي، فالعرف يرفض أي تغير، وان تطلب ذلك فإنه يحتاج إلى زمن طويل حتى يتغير.

المفهوم الإجرائي للعرف:

هي مجموعة من القوانين الخاصة بترتيبات الزواج في عرف "سيدي معمر" خاصة من حيث المهر، ومراسيم الزواج أي من حيث التحضير لليلة الزفاف ولباس العروس وطريقة الخروج من بيت أهلها أو هي منسوبة لعرف سيدي معمر.

8-المعتقدات الشعبية:

تعتبر المعتقدات الشعبية القوة المحركة في كل الممارسات الإجتماعية فلا يخلو أي مجتمع كان بدائيا أو متحضرا من تلك الأفكار والأفعال.² و تدل كلمة معتقدات على الأفكار والآراء الشعبية السائدة في المجتمع التي يلجأ إليها الأفراد بحكم العادة

¹- مذكور إبراهيم، معجم العلوم الإجتماعية، القاهرة، الهيئة المصرية، ص 390.

²- غيث محمد عاطف، مرجع سبق ذكره، ص 90.

ليطبقونها في حياتهم بدون مناقشة ومعظمها أفكار عامة لا تتطور ولا تتغير وهي أحكام من المفروض أن تطبق دون إعتبار لإختلاف الظروف.

ويرى "محمد الجوهري" أن المعتقدات الشعبية هي صعبة للدراسة والبحث لأنها كامنة في عقول الناس تتشكل بطريقة يلعب فيها الخيال الفردي دوره ليعطيها طابعا خاصا، سواء عند سكان الريف أو المدينة أو عند المثقفين أو غير المثقفين لكن بدرجات متفاوتة.¹

إن المعتقدات الشعبية هي مجموعة من الأفكار المنقولة عن الأسلاف يأخذها الأجيال دون مناقشتها وهي غير قابلة للشك، فهي تقوم على التصديق والثقة والتسليم، وتحظى بالإحترام بحث نجدها في كل المجتمعات ولدى جميع الفئات الإجتماعية.

المفهوم الإجرائي:

هي تلك الأفكار المنقولة عن الأسلاف وتؤخذ دون مناقشتها، فبالنسبة لمن ينتمي لعرف سيدي معمر عليه أن يطبق هذه العادات والتقاليد الخاصة بالزواج كما حث عليه الولي سيدي معمر، ومن يخالفها أو يخرج عن العرف سوف يصاب بلعنة الولي وبأشد العقوبات، كأن تصاب المرأة بالعقم أو أنها لا تحمل فمن يبتلى بهذه المشاكل يدرك أنه قد خالف العرف فعليه إذن أن يعيد الخطوات التي خالفها.

- أما بالنسبة لنظام العزابة فجميع الأفراد ملزمين باتباع القوانين الإجتماعية التي تنظم مراسيم الزواج والعادات وتقاليد الخاصة به من المهر الى ترتيبات الزواج ومن يخالف هذه القوانين يعاقب.

¹- الجوهري محمد، علم الفولكلور (الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية)، القاهرة، دار الكتاب للتوزيع، 1978، ص42.

9- الثقافة الفرعية: "(Sous Culture) أو (Sub- Culture)" :

إن مدلول ثقافة فرعية تفيد وصف الثقافة الخاصة بمجموعة (فرعية) داخل المجتمع الكلي ترتبط معه في بعض السمات الثقافية المشتركة، كما أنها بالمقابل تتميز عن المجموعات الاجتماعية الأخرى المنتمية لنفس المجتمع بمجموعة من الخصائص الثقافية. وتختلف الثقافة الفرعية حسب عدة متغيرات: الوسط الاجتماعي أو (الطبقة) كالثقافة العمالية، أو الشعبية أو السن كثقافة الشباب، أو المجال الجغرافي والثقافي بحيث يكون الأثر على أدوار ومواقع وسلوكات الأفراد¹. فالمقياس الأخير هو الذي إعتدناه في بحثنا، إذ حاولنا دراسة الثقافة الفرعية لعادات وتقاليد الزواج لكل منطقة بين "عرف سيدي معمر" و "بني يزقن" لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف الموجود بينهم.

المفهوم الإجرائي:

نقصد بالثقافة الفرعية الخصائص الثقافية التي تظهر في طريقة ممارسة العادات والتقاليد الخاصة بزواج لدى "عرف سيدي معمر" ونظام الاجتماعي في "بني يزقن" التي تميزها عن باقي المجموعات أو المناطق الأخرى وفقا لعاداتها وتقاليدها، وأعرافها وطريقة ممارستها للشعائر الدنية في إطار المجتمع الكلي. إن نقل عناصر الثقافة الفرعية لعادات وتقاليد الزواج لدى هذه الجماعات يتحقق من خلال ما تقدمه الثقافة عن طريق التنشئة الأسرية التي تتمط سلوكات أفرادها حسب قيمها الخاصة ويظهر تأثير الثقافة الفرعية في سلوكات الملموسة كطريقة النظر إلى الزواج، وطريقة تطبيق عاداته وطقوسه... إلخ.

¹ -Etienne.(J),Bloess.(F).Dictionnaire de sociologie, Paris: Edition Hottier, 2e éme Ed , P 58.

10-القيم:

القيم هي إعتقاد مكتسب طويل الأمد نسبيا بأن نمطا معين من السلوك أو غاية ما محبة ذاتيا، أو إجتماعيا بالمقارنة مع سلوك مخالف أو غاية مخالفة. فالقيمة إذا تبرير لطريقة معينة من السلوك أو التفكير، ويقول "دوركايم": إننا لسنا سادة تقويمنا فنحن مقيدون، ملزمون، مجبرون والذي يقيدنا ويلزمننا، ويجبرنا هو الضمير الاجتماعي"¹.

المفهوم الإجرائي:

إجرائيا نقصد بالقيم تلك المقاييس التي يتبعها لأفراد، مصدرها الثقافة المحلية مع ما تحمله من قواعد ونماذج ثقافية، حتى يتم التفاعل داخل المجتمع المحلي، وتساهم في عملية التماسك الاجتماعي داخله.

11-مفهوم العادات:

العادة الاجتماعية بصفة عامة كما يعرفها "جلين وجلين" " GLLIN and " هي كل سلوك متكرر، يكتسب إجتماعيا ويتعلم إجتماعيا ، ويمارس إجتماعيا ويتوارث إجتماعيا.²

أما إدوارد سابينير فيرى ان العادة الاجتماعية هي "مصطلح يستعمل لدلالة على مجموع الأنماط السلوكية التي تحتفظ بها الجماعة وتترسمها تقليديا، وهذا ما يميزها

¹ -André Koun et Pierre Ansart, **Dictionnaire de sociologie**, Le Roberte Seuil, p205.

² - دياب فوزية، مرجع سبق ذكره، ص104.

عن النشاطات الشخصية التي يقوم بها الفرد". لذلك كان من أهم الصفات المميزة للعوادات الإجماعية ما يتصل بها من جزاء إجماعي توقعه الجماعة إزاء مخالفتها¹.

ومما سبق يتبين أن العادات الإجماعية بأوسع معانيها هي السلوك المتكرر الذي تفرضه الجماعة الأفراد وتتوقع منهم أن يسلكوه وإلا تعرضوا لإستياء الجماعة وسخطها، وإنتقامها.

المفهوم الإجرائي:

هي تلك العادات المنقولة عن الأسلاف، وتتخذ دون مناقشتها سواء بالنسبة "لعرف سيدي معمر" أو النظام الإجماعي السائد في "بني يزقن" أي نظام العزابة، فالفرد ملزم بتطبيق هذه العادات الخاصة بزواج وهي تخلف من حيث مضمونها عن بقية العادات الموجودة للمجتمع، ومن لا يطبقها يتعرض للعقاب ويكون عقاب معنويا.

12-التنشئة الإجماعية:

هي عملية إجماعية يتم من خلالها بناء الفرد بناءا إجماعيا، عبر عمليات التشكيل الإجماعي التي يتلقاها من مختلف المؤسسات الإجماعية التي، تحتضنه ومن المحيط الذي ينبثق منه عن طريق التفاعل الإجماعي. ويتم خلال هذه العملية نقل قيم وثقافة، وطرق حياة المجتمع، أو يحدث العكس² فهي عملية تفاعل الفرد بما لديه من إستعدادات وراثية مع البيئة التي يعيش فيها، ومن خلالها يتم تكون ونمو

¹- دياب فوزية ، مرجع سبق ذكره، ص 10.

²- مصباح عامر: التنشئة الإجماعية وسلوك الإنحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية، الجزائر، شركة الأمة لطباعة ونشر وتوزيع، ط2003، 1، ص32.

تدريجياً لشخصيته الفريدة من جهة، وإندماجه في الجماعة من جهة أخرى.¹ وتعرف 'Margaret Mead' (مارجريت ميد) التنشئة الاجتماعية بأنها العملية الثقافية، والطريقة التي يتحول بها كل طفل حديث الولادة إلى عضو كامل في مجتمع بشري معين.

التنشئة الاجتماعية هي عملية التفاعل بين الفرد والمجتمع، ويصبح الفرد في نهايتها مستهلكاً ومنتجاً لثقافة مجتمعه، وهذه العملية ليست مؤقتة بل مستمرة، لأن الفرد يجد نفسه دائماً أمام مواقف جديدة وأدوار وجماعات جديدة تتطلب سلوكيات جديدة.²

13- الرمز اللامادي:

الرمز هو إشارة أو علامة أو مفهوم تعبر عن شيء آخر، ودراسة الرموز مهمة لأنها عامة وتشترك فيها العواطف والمعلومات والمشاعر التي قد تقوم بوظيفة التماسك الاجتماعي والإلتزام الاجتماعي، مثل الرموز المقدسة التي غالباً ما توجد في كافة الثقافات الإنسانية لأن جميع الثقافات تتضمن رموزاً خاصة بها.³

الرمز لغة مشتق من مصدر الفعل (رمز-يرمز-رمزا) بمعنى أوماً أو أشار، والرمز يدل على الموضوع أو التعبير، أو النشاط الإنساني، الذي يوحي بفكرة أو يشير إلى قيمة شيء مجرد، ويحل محلها ويصبح مثلاً لها ويستخدم بديلاً عنها. إنه يستخدم إستخداماً مطرداً ليمثل مجموعة من الأشياء، أو نوعاً من أنواع العلاقات

¹ - فاطمة المنتصر الكتاني: التنشئة الاجتماعية الوالدية وعلاقتها بمخاوف الذات لدى الأطفال، عمان، دار الشروق، ط1، 2000، ص 4.

² - عدنان إبراهيم أحمد، محمد المهدي الشافعي: علم الاجتماع التربوي والأنساق الاجتماعية، ليبيا منشورات سبهاء ط1، 2001، ص137.

³ - معن خليل العمر: معجم علم الاجتماع المعاصر دار الشروق للنشر والتوزيع، ط2، ص406.

الإجتماعية، أو الروحية أو الفكرية، ويقال الرمز الإجتماعي حيث يشترك فيه أفراد المجتمع كالرموز التي تمثلها الميثولوجيا والفلكلور، والرموز القومية والوطنية والإنسانية¹. إستخدم الفرنسيين (دوركاييم وموس) الوصف الرمزي في مجال الطقوس ولأساطير والصلاة على تصور للرمزية الإجتماعية. يشدد مارسيل موس في كتابه " Essai sur le don " على المؤثرات الإجتماعية للوظيفة الرمزية. ويشدد "دوركاييم" في كتابه "الأشكال الأولية للحياة الدينية" على تصور للرمزية مماثل لتصور موس.

المفهوم الإجرائي:

تطرقنا إلى مفهوم الرمز، إستخلصنا أنه فعالية إنسانية بها يعيش الإنسان، وبين عالمه المادي والمعنوي ويرسّى نظام الأشياء والعلاقات وبينه، وبين الآخرين، وما يهمنا في بحثنا هذا هي الممارسات الرمزية المنظمة في "زواج عرف سيدي معمر" ونظام الإجتماعي السائد في "بني يزقن" التي ينخرط فيها الناس جميعا، وتكاد لا تخلو منها أفعالهم الفردية والجماعية ألا وهي الطقوس الإجتماعية للزواج.

14-المعايير " Normes ":

تحدد كل جماعة مجموعة من القوانين، أي قواعد واضحة تسيورها والمسماة بالمعايير².

ويعرفها دوركايم "Durkhieme" بأنها طرق التصرف للوجود والتفكير، محددة إجتماعيا ومتفق عليها وهي تقوم بتوجيه نشاطات الأفراد بمنحهم جملة من المراجع

¹ - عبد الغني عماد: سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، ص 169.

² - Golf in Jean, **les 50 mots clés de la sociologie**, France, Edition, Privat, 1972, P80.

النموذجية، وفي نفس الوقت مجموعة من الرموز المماثلة التي تساعدهم على تحديد التوجه الذي له علاقة بهذا النموذج¹.

المفهوم الإجرائي:

وإجرائيا نقصد بالمعايير مجموعة من التصرفات التي يسلكها الأفراد، أي مجموع القواعد يلتزمون بهاد داخل المجتمع الذي ينتمون إليه.

رابعا: المقاربة النظرية السوسيولوجية الأنثروبولوجية للدراسة:

لكل بحث علمي إطار نظري خاص به لذلك "فان تحديد أو تبني الاقتراب النظري العام من أهم الخطوات التي يقوم عليها أي بحث علمي، والذي من خلاله تتحدد الزاوية والاتجاه الفكري والنظري له"².

فنجده الدكتور "محسن خليل" يعرف النظرية على أنها مجموعة من القوانين المنطقية مستخرجة من الواقع الاجتماعي، نستخلص منها استنتاجات دقيقة تتصف بها مجموعة بشرية صغيرة لها فعالية في تفسير وشرح سلوك الأفراد"³. وتختلف المقاربة النظرية من بحث لآخر حسب طبيعة الموضوع ونظرا لموضوع دراستنا فقد أدرجنا ثلاثة نظريات أساسية في علم الاجتماع والمتمثلة في:

¹ -Boudon Raymon,Bouricou Froncois,Dictionair critique de la sociologie, Paris,1982,P14.

² -بحوش عمار، دليل الباحث في المنهجية والكتابة والرسائل الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1995، ص19.

³ - خليل محسن، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن، 1997، ص 312.

النظريات المستعملة:

1- نظرية التنشئة الاجتماعية:

إن إختيارنا لنظرية التنشئة الاجتماعية في موضوع دراستنا الثقافة الفرعية لعادات وتقاليد الزواج بين "عرف سيدي معمر" و"بني يزقن" يعود إلى إعتبارها أنها أساس كل العمليات الاجتماعية فالتنشئة الاجتماعية هي عملية التفاعل الاجتماعي من خلالها يتم أخذ قيم البيئة وثقافة المجتمع، وندمجها في بناء شخصيتنا، وفي تكويننا خلال تجربتنا والتربية التي تكوننا إجتماعيا، حتى نصبح أفراد متأقلين في الجانب الاجتماعي ومع الآخرين الذين نعيش معهم¹.

وعليه فالثقافة الفرعية تعبر عن الهوية الجماعية باعتبار الفرد كائن بشري ينتمي إلى ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه حتى يمكنه دخول هذا العالم الاجتماعي حسب بناءاته وما هو متفق عليه فبالنسبة "الدوركايم" "التنشئة الاجتماعية هي عملية إنتقال الفرد من حالته الاجتماعية البيولوجية إلى حالته الاجتماعية الثقافية، فوظيفة التنشئة تتمثل في إزاحة الجانب البيولوجي من تركيبة الطفل لصالح النماذج الخاضعة لسلوك الاجتماعي المنظم".

أما بالنسبة "لتارد" فتنشئة ترتكز على التقليد من خلال إعادة إنتاج سلوك الآخرين من طرف الفرد. وعملية التنشئة الاجتماعية هي ذات طبيعة شعورية في مجملها غير واعية أو مقصودة، تهتم بتكوين العلاقات بين الفرد والمجتمع، ومن خلالها يندمج الفرد داخل ذلك المجتمع، وهذا بتطوير هويته منذ ولادته طفل ينشأ من خلال مجموعة من التفاعلات والتي يعمل على تطويرها هو بدوره مدى حياته حسب ما ينتظره لآخرين منه ففي المقابل يعبر الفرد عن الهوية الشخصية.

¹ – Gustave –Nicolas Fischer, Les Processus du Socail, Paris, Dunod, 1991, P8.

إذن التنشئة الإجتماعية هي عملية متواصلة فإن الفرد سوف يتأقلم حسب الثقافة السائدة، لكن كل حسب إمكانياته وتأثر أيضا في شخصيته حيث نفس التنشئة تنشئ لنا تطابق واختلاف بين الاشخاص، ويتم نقل هذه الثقافة للأجيال القادمة.

2- نظرية الضبط الاجتماعي:

بما أن الثقافة الفرعية لعادات وتقاليد الزواج بين "عرف سيدي معمر" و"بني يزقن" هي موضوع بحثنا فالعادات الاجتماعية تقدم للفرد أساليب عامة للسلوك معدة من قبل خلال التاريخ الاجتماعي للجماعة، يتلقاها الفرد خلال عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي، وخلال عملية التنشئة الاجتماعية عموماً يتشرب الفرد كثيراً من القواعد السلوكية أو العادات الاجتماعية التي تصبح بمثابة نبراس ينير له الطريق وتوجهه، وترشده إلى أساليب السلوك والعمل والتصرف والتفكير المؤيدة من الهيئة الاجتماعية.

وبما أن الأمر كذلك فهذا يستدعي أن نلقي بعض الضوء على المفاهيم المرتبطة بنظريات الضبط الاجتماعي، حتى يتسنى لنا فهم آلية توظيف العادات وتقاليد والعرف للحفاظ على ثقافة هذه الجماعة.

ويمكن تناول أساليب الضبط الاجتماعي باعتبارها الأدوات التي تستعمل بها مجموعة ما أعضائها أو غيرها من المجموعات، أو تجبرهم بواسطتها على اتباع معاييرها وأساليبها السلوكية، وتستخدم تلك الأساليب لتحقيق أهداف معينة للضبط الاجتماعي تتفق مع مصالح الجماعة أو الطبقة المسيطرة، ويشق من هذه الأهداف مجموعة من الأساليب وأنماط من الوسائط تحقق في النهاية أهداف هذا الضبط¹.

¹- محمد صفوح الأخرس، نموذج إستراتيجية الضبط الاجتماعي في الدول العربية، الرياض، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، ط1، 1998، ص44.

ويستهدف هذا الضبط تحقيق الامتثال أو المسايرة وبالتالي حفظ النظام والاستقرار. ونظرة فاحصة على الإجراءات المتبعة في مجالات الرقابة، والإشراف والتوجيه والتحكم والسيطرة والقهر والإلزام طبيعة الضبط الاجتماعي المراد.

وبشكل عام، تنقسم أساليب الضبط الاجتماعي إلى نوعين أساسيين هما الأساليب المادية والأساليب المعنوية. فالضرب الجسدي والقهر الفيزيقي المشروع وغير المشروع، والقهر الاقتصادي المشروع وغير المشروع، تعد أشكالاً من أشكال الضبط الاجتماعي المادي. أما الأساليب المعنوية للضب الاجتماعي، فتشمل أساليب مثل الإيديولوجيا والدعاية والتجاهل والتشهير والوصمة والسخرية والعرف والعادات وتقاليد، وبعض الأنظمة الاجتماعية كـ"نظام العزابة" في بني يزجن بوصفهما مؤسسة اجتماعية تستثمر دائماً كآلية فاعلة من آليات الضبط الاجتماعي لتحقيق الاستقرار المنشود ولتشكيل رأي منتسبها وفق تصورات النخب أو الطبقات الحاكمة.

ولعل التوجيه الإيديولوجي والتنشئة الاجتماعية المقصودة وتكريس القيم والأفكار والمعتقدات المطلوبة من أهم الأساليب التي استخدمتها الأعراف والعادات وتقاليد عبر التاريخ لتحقيق الضبط الاجتماعي. ويمثل الدين والعادات والتقاليد، أهم الضوابط التي يسترشد بها لتحقيق الضبط الاجتماعي في المجتمعات الإنسانية.

وتختلف وجهات النظر في دراستها لموضوع الضبط الاجتماعي تبعاً لاختلافها في النظرة لفكرة الضبط ذاتها. ويمكن أن تجمل هذه الاختلافات في اتجاهين رئيسيين: أولهما اتجاه التوازن الذي تنصب بعض دراساته على أن الضبط وسيلة اجتماعية أو ثقافية تفرض عن طريقها قيود منظمة ومنسقة نسبياً على السلوك الفردي بهدف مسايرته للتقاليد وأنماط السلوك السائد في المجتمع.

وقد تضمن الصورة الأساسية للضبط الاجتماعي على موافقته الفرد أو تأييده لمستويات السلوك التي حددتها معايير وتوقعات الدور. وبناء على ذلك، فإن عملية التنشئة الاجتماعية واستدماج المعايير الاجتماعية والقيم توفر المصدر اللازم للضبط الاجتماعي الإيجابي الذي يعتمد على دافعية الفرد الإيجابية نحو الامتثال أو المسaire. ووفق هذا الاتجاه، فإن هدف الضبط ينصب على حفظ النظام الاجتماعي واستقراره من خلال القيم¹.

وثاني هذه الاتجاهات هو اتجاه الصراع، حيث أن محور الاهتمام ليس اصطناع أو تشديد أساليب الضبط الاجتماعي بهدف المحافظة على اتزان النسق، بل إن البنية التحتية بما تشمله من قوى وعلاقات الإنتاج هي التي تفرض ضبطا اجتماعيا يعكس نمط الإنتاج وعلاقاته في لحظة تاريخية معينة. ومن هنا، فإن أساليبه . إن كانت متسقة مع هذا النمط . تعكس معايير الطبقة المسيطرة ومصالحها عكس أصحاب اتجاه التوازن الذين يتصورون أن هذه المعايير تمثل مجمل المصالح الاجتماعية. ويمكن القول أنه إذا كان هدف أصحاب التوازن هو الاستقرار، فإن هدف أصحاب اتجاه الصراع هو التغيير وربما يكون هذا التوجه هو التوجه الغالب في منظومة تعليم الكبار².

ورغم كل ما يقال عن دور المؤسسات الحتمي في الضبط الاجتماعي وتحقيق الاستقرار وحماية الأخلاق، إلا أن بعض علماء النفس أمثال فرويد الذي يرى أن مسألة الضبط الاجتماعي لدى الأفراد تتم داخليا باعتبار أن البنى النفسية التي تتشكل

¹ - خالد فرج الجابري، دور مؤسسات الضبط في الامن الاجتماعي دور مؤسسات الضبط الاجتماعي، الندوة الفكرية، بيت الحكمة، 1997، ص46.

² - أحمد الخشاب، الضبط الاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، 1986، ص10.

في سن مبكرة وبتأثير نفسي وأسري، هي المسؤولة عن نظرة الفرد إلى نفسه وعلاقته بمجتمعه.

وبالتالي فإن أي تدخل لضبط هذه العلاقة لن تكون ذات بال في تحديد هذه العلاقة. ويشارك الوجوديون أنصار المدرسة الفرويدية فيما ذهبوا إليه حيث يرون أن الخصائص الأساسية للإنسان تتحقق تلقائياً بالتربية الذاتية، وإن أي تدخلات خارجية لتشكيل الوعي والضبط الاجتماعي ستكون غير ذات جدوى أو ربما تكون ذات ضرر. والبديل لديهم أن تكون التربية عملية إبداعية استكشافية وليست تحكمية.

وتشير أدبيات الضبط الاجتماعي إلى وجود نظريات متعددة كلاسيكية وحديثة لا يتسع المقام هنا للحديث حولها، ولكن نورد تلخيصاً لأهم النظريات الحديثة للضبط الاجتماعي تم اقتباسه من دراسة علمية (العتيبي، 1995، 237 - 241). وأهم هذه النظريات ما يلي:

1-2 -نظرية تالكوت بارسونز:

لا يمكن فهم نظرية بارسونز في الضبط الاجتماعي دون الرجوع إلى نظرية الفعل الاجتماعي التي ترى أن الفعل الذي يقوم به الفاعل محكوم بأفكاره ومشاعره وانطباعاته ومعاييره وقيمه وغاياته. أي أن الفعل يستند إلى توقع الشخص ما يجب أن يفعله وما يفعله الآخرون. وتعد العلاقة المزدوجة بين الأنا والآخر أساساً لتكامل التوقعات، وأطلق بارسونز على تلك العلاقة "نسق التفاعل الثابت" الذي يحتاج إلى تكوين وتدعيم مستمرين يتمان من خلال ميكانيزمات معينة أبرزها التنشئة الاجتماعية والضبط

الاجتماعي. ويعمل الميكانيزم الأول على تكوين الدافعية نحو تحقيق توقعات الدور، ويعمل الثاني على تدعيم الدافعية لاستمرار نسق¹.

2-2 - نظرية جورج جيرفتش:

انطلقت هذه النظرية من انتقادات للنظريات التي تركز على دراسة وسائل الضبط الاجتماعي، وأكدت أن الضبط الاجتماعي ليس سندا للنظام ولا أداة للتقدم، وأن المجتمعات والجماعات والزمير الاجتماعية هي التي تنتج الأنساق الشاملة للضبط الاجتماعي وفي نفس الوقت تتضبط عن طريقها. ويميز جيرفتش بين أنواع الضبط، وهيئاته، وصوره.

فالدين والأخلاق والتربية والقانون أنواع للضبط الاجتماعي، والأسرة والزمرة الاجتماعية والنادي والمدرسة هيئات للضبط الاجتماعي، أما الضبط المنظم والضبط المعتمد على الممارسات الثقافية والضبط التلقائي، فهي صور للضبط الاجتماعي. ويرى جيرفتش أن العلاقة الوظيفية بين الهيئات والأنواع والصور تمثل المحور الرئيس في الدراسة الاجتماعية المتكاملة للضبط الاجتماعي.

2-3 - نظرية هولنج شيد:

تتخذ هذه النظرية من التنظيم الاجتماعي نقطة انطلاق لدراسة الضبط الاجتماعي، وتتظر للتنظيم باعتباره نسقا يشتمل على مجموعة القيم والممارسات التي توجد في ثقافة معينة وتزود أعضاء المجتمع بالاتجاهات المشتركة وأساليب السلوك المتشابهة. وتستند هذه النظرية إلى عدة مسلمات منها: ان السلوك الإنساني هو التعبير الموضوعي عن التجربة المنظمة التي يكتسبها الشخص عن طريق المشاركة،

¹ - محمد عوض عبد السلام، الفعل الاجتماعي عند تالكوت بارسنز، دار المطبوعات الجزيرة، مكتبة المصارف الحديثة، القاهرة، 1986، ص114.

وأن السلوك ينضبط عن طريق القواعد والتعليمات التنظيمية التي تعمل على دفع وتوجيه السلوك، وأن الضوابط التي يمارسها المجتمع تمكن الفرد من التوافق مع توقعات هذا المجتمع وقواعده ولوائحه، وأن هذه الضوابط لا تكون فعالة إلا من خلال الإطار التنظيمي الذي يحدد مختلف صور الحياة بأي وحدة اجتماعية¹.

ويستنتج من فهمنا للنظريات الكلاسيكية والحديثة للضبط الاجتماعي عدد من المغازي أهمها أن المجتمعات الإنسانية استخدمت أشكالاً وأنواعاً مختلفة لتحقيق مسألة الضبط وتحقيق الوفاق الاجتماعي وفق منظور كل مجتمع وإيديولوجيته. يستنتج أيضاً أن هذه النظريات اختلفت في رؤيتها لآلية وميكانيزمات تحقيق الضبط وبالتالي لرؤيتها في مدى نجاعة الأنظمة الاجتماعية في تحقيق الضبط.

فهناك من يرى أن للثقافة والتنظيم الاجتماعي دور أساسي في تشكيل اتجاهات وعواطف واستجابات الفرد، في حين هناك من يرى أن التحكم في الضبط الاجتماعي هي مسألة داخلية نفسية يشكلها الفرد ذاته من خلال تعامله مع القيم والأفكار والثقافة التي يتعامل معها، وأي تدخل متشدد لفرض قيم أو أفكار أو قوالب سلوك، ليس بالضرورة أن يتبنى من قبل الفرد إن لم يتواءم مع إيقاعاته وقناعاته الداخلية.

3- النظرية الوظيفية:

هي النظرية التي تقول بوجود دراسة الظواهر الثقافية في إطار البناء الثقافي، والإجماعي الكلي من حيث الوظائف التي تؤديها². وترتكز هذه النظرية على الدور

¹ - سعيد محمد، الأنثروبولوجيا مفهومها وفروعها واتجاهاتها، الجزائر، دار الخلدونية، 2013، ص 32.

² - دورسون ريتشارد، نظريات علم الفلكلور، ترجمة وتقديم /محمد الجوهري وحسن سامي، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، 1973، ص 94.

الذي تلعبه الثقافة الشعبية في ثقافة المجتمع، وكيف تساهم في الحفاظ على النظم الاجتماعية ودعمها.

تستخدم النظرية الوظيفية ثلاثة محددات لفهم الوظيفة:

➤ **المحدد الأول:** تتميز الوظيفية بتساند الوظيفي حيث ترتبط وظائف العادات وتقاليد ببغضها البعض في المجتمع، وبذلك فإن وظيفة كل عادة تتحدد بناء على العادات الأخرى ووظائفها.

➤ **المحدد الثاني:** وهو الذي وضعه "مالينوفسكي" بشكل واضح وهو يشير إلى أن وظيفة العادات وتقاليد هي إشباع حاجات الأفراد البيولوجية، ونفسية المتسقة من ثقافة المجتمع.

➤ **المحدد الثالث:** وهو الإتجاه الذي إستخلصه "زاد كليف براون" من نظريات "اميل دوركايم" ويشير إلى أن أي عادة إجتماعية هي جزء من الكل، له دور فاعل في الحفاظ على البناء الاجتماعي.¹

ومن هنا فإن أي دراسة لعناصر الثقافة تتطلب دراسة المجتمع كبناء إجتماعي يشمل على مجموعة من الأنساق الإجتماعية، الإقتصادية والثقافية التي تضم عدد من النظم الإجتماعية المتفاعلة فيما بينها.

ويعتبر Malinowski "مالينوفسكي" أن النظام هو وحدة التحليل الأولي التي يمكن من خلالها دراسة علاقات التفاعل المختلفة، داخل البناء الاجتماعي للمجتمع ككل ويرى أن أي نظام إجتماعي لا يمكن له الإستمرار إذا إنتهت وظيفته.

¹-الجوهري محمد، علم الفلكلور دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية، ج1، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1990، ص67.

4-نظرية طقوس العبور:

تقوم نظرية طقوس العبور للعالم الفرنسي "فان جنب" vane geunepe على وجود ثلاثة أنماط من الطقوس التي تصاحب الإنتقالات في حياة الفرد من مرحلة إلى أخرى، ومن مرحلة إجتماعية إلى أخرى وتتمثل هذه الطقوس في:

*-طقوس انفصال.

*-طقوس إنتقال وتحول.

*-طقوس إدماج تجميع.

وتحتوي هذه الأنماط على أنماط فرعية مثل طقوس الحماية وإعادة التكامل والإخصاب، والتي قد توجد متداخلة في كل شعيرة أو طقس، أو منفصلة ومفرزة وذلك لعدم وجود تصور يربط أنماط الطقوس بغيره أو مرحلة معينة.¹ فمثلا نجد الطقوس التي ترتبط بالخطبة من قراءة الفاتحة والإعلان لإشهار الإرتبط نعمل على تهيئة العروسين لبداية مرحلة جديدة، بما يترتب على ذلك من أوضاع جديدة يقرها أفراد المجتمع.

وعندما يعرض "فان جنب" طقوس الزواج في ضوء نظريته من أن الزواج أساسا فعل إجتماعي، ولا يغفل العامل الإقتصادي وتأثيراته عليه، فهو مثلا يعتبر المهر نوعا من التعويض للجماعة التي تتخلى عن أحد أفرادها.²

¹-الجوهري محمد، علم الفلكلور دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية، ج1، الإسكندرية دار المعرفة الجامعية، 1990، ص67.

²-الجوهري محمد، مرجع سبق ذكره، ص70.

5-نظرية التفاعلية الرمزية: Symbolic Interactions theory

نهتم في دراستنا للثقافة الفرعية لعادات وتقاليد الزواج في "عرف سيدي معمر" و"بني يزقن" بالرموز والمعاني التي تحملها هذه العادات وتقاليد وطقوس، لهذا كانت نظرية التفاعلية الرمزية من بين النظريات التي يمكننا الإعتماد عليها لأنها تركز على فهم التفاعل الرمزي لتفسير سلوك الأفراد فاندماجهم في المجتمع يتحولون إلى كائنات إجتماعية، لأنهم يتعلمون ويتشكلون في محيطه وباستخدامهم لعقولهم يشاركون في صنع المجتمع وتغييره. وتعتمد هذه النظرية على مقولة أساسية "إن الفرد عندما يأخذ ذاته في الاعتبار، عليه أن يأخذ الآخرين في إعتباره أيضا ويتشرب أدوارهم"¹ يرجع أصحاب هذه النظرية، جذور النظرية التفاعلية الرمزية إلى أفكار عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر Max weber، الذي أكد على أن فهم العالم الاجتماعي يكون من خلال إتجاهات الأفراد الذين نتفاعل معهم، وأن فهم الظواهر الاجتماعية يكون من خلال تحليل الفعل الاجتماعي في المجتمع. ثم تولى تطويرها الكثير من علماء النفس الاجتماعي من أمثال "جورج هيربرت ميد".

-أما التفاعل الرمزي فيشير إلى: "ذلك التفاعل الذي يأخذ مكانه بين الناس من خلال الرموز، ومعظم هذا التفاعل يحدث على أساس الإتصال"².

لا تظهر الرموز من فراغ، ولكنها تنشأ من مصادر إجتماعية مختلفة، والتي تتمثل عادة في الموروث الثقافي الذي يرثه المجتمع عن أسلافه يؤثر في وعيه وتفاعلاته المختلفة.

¹-شتا السيد علي، التفاعل الاجتماعي والمنظور الظاهري، الإسكندرية، منشأة المعارف، ط1، 1998، ص133.

²-مصباح عامر، علم الاجتماع الرواد ونظريات، شركة دار الأمة للطباعة ونشر، الجزائر، 2010، ص 247.

فحسب "جورج هيربرت ميد" نكتسب المعاني والرموز من خلال عملية التفاعل، وبهذا يستطيع الفاعلون تصور آراء الآخرين وهو ما يسمى بأخذ دور الآخر، ويؤكد "ميد" بضرورة أخذ وجهة نظرا لآخرين، وإعتبار الآخر بمثابة معيار عام لتقويم أداء الذات¹. ونظر إلى الذات نظرة موضوعية، وهذا ما يعنيه مفهومه الآخر.

6- نظرية عبد الرحمن ابن خلدون:

لقد تعرض العلامة "عبد ابن خلدون" كثيرا لموضوع العصبية، وهذا فضلا عن كون كلمة العصبية مشتقة من كلمة عصب، وعصبه الرجل هم بنو عمومته وقرباته ويدخل ضمن العصبه الأصول والفروع، لكن العصبية عند "ابن خلدون" أعم وأشمل يقصد بها الجماعة المرتبطة ببعضها البعض برباط القرابة النسبية (الدموية)، وهي ما يمكن تسميته بالرابطه القبلية وقد اهتم بها "ابن خلدون" لما لها من دور في إدماج الأفراد في بيئة القبيلة، من حيث القيم والمشاعر المشتركة حتى يصبح الفرد جزءا من قبيلته وينسى في ظل شخصيته الذاتية، بحيث لا يمكنه تحدي قوانينها العرفية المحفوظة في الصدور التي تملك قدرا من القداسة، وأشار أن هذه التربية تستهدف أولا، وقبل كل شيء إدماج الفرد في مجتمعه².

كما تعرض "ابن خلدون" لآثار ومظاهر العصبية العشائرية في المجتمعات البسيطة والتي منها:

¹- مصباح عامر، مرجع سبق ذكره، ص 248.

²- النبهان محمد فروق، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، مؤسسة الرسالة لطباعة ونشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط 1991، ص 161.

-شدة الضبط الإجتماعي لأفرادها بهدف الحفاظ على إستقرار الوحدة الإجتماعية وتماسكها.

- متانة العلاقات الإجتماعية بين أعضاء القبيلة والعشيرة لقيامها على قاعدة صلبة من العصبية.¹

علاقة الإطار النظري بظاهرة الثقافة الفرعية لعادات وتقاليد الزواج بين "عرف سيدي معمر " و"بني يزقن":

على ضوء هذه التفسيرات المختلفة لأهمية عادات وتقاليد الزواج في هذه الجماعات الاجتماعية توصلنا الى أن هذه النظريات هي التي تتناسب وموضوع بحثنا، فهي تفسر لنا سمات هذه الثقافة الفرعية لعادات الزواج داخل إطار الثقافة الأم، أي البحث عن سمات وخصائص الجزء في إطار الثقافة الجزائرية السائدة لعادات وتقاليد الزواج. وذلك من خلال تقديم قراءة وصفية تحليلية لعادات الزواج وتقاليده، لدى "عرف سيدي معمر" و"بني يزقن" والطقوس المرتبطة به والتجهيزات، ونظام المهر وطرق سداذه واستعدادات الزفاف بالنسبة للعروس، والعريس والممارسات الإعتقادية الملازمة لمراحل الإحتفال بالزواج.

¹-الساعاتي حسن، علم الإجتماع الخلدوني، النهضة العربية للطباعة ونش، بيروت، ط1، 1981، ص30.

خامسا: مجالات الدراسة وكيفية إستخراج العينة

نظرا لتداخل وتعقد الظواهر الإجتماعية يتوجب على الباحث في الميدان الإجتماعي تحديد مجال بحثه حتى لا ينحرف عن مساره، ويقسم مجال البحث العلمي إلى أقسام:

1. المجال البشري

2. المجال المكاني

3. المجال الزمني

1.المجال البشري:

يمكن تعريف المجال البشري لأي دراسة بأنه "وحدة المعاينة أو الوحدة والإحصائية التي مرت بها الإستمارة، وهو المجال المتعلق بالعناصر الممثلة لوحدات العينة، وتعتبر عن المجتمع الذي نريد معرفته وتكوين فكرة عنه، ومنهم الأشخاص الذين يسألون"¹.

ونحن في هذه الدراسة اعتمدنا على:

– العينة القصدية

– عينة الكرة الثلجية

¹ -بحوش عمار، مرجع سبق ذكره، ص45.

2. المجال المكاني:

المجال الجغرافي لعينة البحث:

تتمركز فئة البحث في مدينة شرشال التابعة لولاية تيبازة (120 كم) غرب الجزائر العاصمة وتم اختيار هذه المنطقة نظرا لكثرة إنتشار عرف "سيدي معمر" هناك، وبحكم تواجدها في هذه المدينة مما سهل علينا عملية الاتصال بأفراد العينة. أما العينة الثانية فتتمركز في قصر "بني يزقن" وهي تابعة لولاية غرداية.

3-المجال الزمني:

هي الفترة الزمنية المستغرقة لدراسة الميدانية، والتي استغرقت سنتين، حيث بدنا بدراسة استطلاعية تمثلت في زيارة العائلات التي تنتمي إلى "عرف سيدي معمر" و "بني يزقن"، ثم قمنا بإجراء المقابلات مع المبحوثين إناث وذكور والتي تتمثل في فئة المسنين وفئة لشباب وذلك بغرض إجراء مقارنة ما بين هتين الفئتين بغرض معرفة مدى تمسكهم بعبادات وتقاليد الزواج الخاصة بالعرف ونظام الإجتماعي السائد في "بني يزقن" (نظام العزابة)، وذلك بإستخدام استمارة المقابلة.

كيفية استخراج العينة:

تعني العينة: "جزءا محدد كما وكيفا تمثل عددا من الأفراد يحملون نفس الصفات الموجودة في المجتمع الذي يقع عليه الاختيار، فيكون ضمن افراد العينة دون تدخل أو تحيز الباحث، أي إعطاء الفرد في المجتمع فرصة متكافئة للاختيار والهدف من ذلك هو المحافظة على الموضوعية"¹.

1- فهمي محمد سيد، قواعد البحث في الخدمة الاجتماعية، الإسكندرية الكتاب الجامعي الحديث، 2001، ص271.

"العينة مجموعة جزئية من مفردات العينة، وهي اختيار ترعا فيه قاعد معينة لكي تكون نتائجها قابلة لتعميم على المجتمع الأصلي، وهذه العينة يتم اختيار مفرداتها بطريقة تعطي الفرصة لجميع مفردات المجتمع الأصلي لتمثيل في العينة"¹.
 إن العينة بهذا المفهوم هي: " مجموعة من الحالات تمثل العد الكلي للحالات "²
 وانطلاقا من كل ما سبق فإن العينة هي بمثابة جزء يمثل الكل في إحدى خصائصه وصفاته ومميزاته، ويمكن اختيارها بشكل عشوائي أو مقصود، ولا يمكن للباحث أن يستغني عنها.

وتنقسم العينة بصورة عامة إلى قسمين أساسيين هما:

العينة الاحتمالية والعينة الغير الاحتمالية. واعتمدنا في هذه الدراسة على العينة القصدية نظرا لطبيعة الموضوع الذي فرض علينا اختيار مفردات بحث تتوفر فيهم خصائص معينة، أي الانتماء إلى "عرف سيدي معمر"، و"بني يزقن" كما اعتمدنا على عينة الكرة الثلجية والتي سهلت علينا الوصول إلى مفردات. وقد تم بعدها إختيار حالات من فئة عمرية مختلفة، وهذا من اجل اختبار الفرضيات المقترحة.

¹-حجاب محمد منير، الأسس العلمية لكتابة الرسائل الجامعية، ط2، الجزائر، دار الحكمة، 1994، ص40.

²-هيس بيت، اليزابيت ستاين، علم الاجتماع، تر محمد مصطفى الشعبين، الرياض، دار المريخ للنشر، 1989،

سادسا: المناهج وتقنيات المستخدمة في الدراسة:

1-المنهج المتبع:

إن الدراسة العلمية تستوجب الإعتماد على الأساليب التقنية المعتمدة من قبل الباحث ومن الضرورة الاعتماد على منهج يوطر الدراسة.وعليه فإن المنهج كما يعرفه زيدان عبد الباقي "هو الطريقة الفعلية التي يستعين بها الباحثون في دراسة مشكلات بحوثهم"¹.

ويعرفه كذلك موريس أنجرس بأنه "مجموعة منظمة من العمليات تسعى لبلوغ هدفها"². ونظرا لطبيعة موضوعنا فقد اعتمدنا على ثلاثة مناهج وفق لإستراتيجية فرضتها طبيعة موضوعنا.

1-1المنهج الوصفي:

لقد حظي المنهج الوصفي بأهمية بالغة في مسيرة تطور العلوم الإجتماعية، ويرجع ذلك لملاءمته لدراسة الظواهر الإجتماعية، كون هذا المنهج يصف الظواهر وصفا موضوعيا من خلال تحديد خصائصها، وأبعادها بهدف الوصول إلى وصف كفي علمي. وقد تم إستخدام هذا المنهج للتعريف "بعرف سيدي معمر" من حيث شخصية الولي وتقاليد وطقوس الزواج المعمري، وكذلك بغية التعرف على معالم نظام العزابة الميزابية في "بني يزقن" وباقي القصور الأخرى، وتحديد أسباب وجودها وبقائها، وكذا الوقوف على الوظائف التي تؤديها ومدى تأثيرها على عادات وتقاليد الزواج³.

¹ - بحوش عمار، مرجع سبق ذكره، ص 91.

² - زيدان عبد الباقي، قواعد البحث الإجتماعي، مطبعة السعادة، ط2، القاهرة، 1979، ص 174.

³ - أنجرس موريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات عملية، ترجمة، بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصة للنشر، الجزائر، 2004، ص 98.

وقد إستخدمنا الأسلوب الكيفي في تحليل المعلومات، والذي نهدف من خلاله إلى فهم الظاهرة المدروسة، والحقائق المتعلقة بها لمحاولة التعريف "بعرف سيدي معمر" من حيث شخصية الولي وتقاليد وطقوس الزواج المعمري، وبالنظام الإجتماعي السائد في "بني يزقن" أي نظام العزابة تاريخها والوظائف التي تؤديها.

1-2- المنهج التاريخي:

تتميز الظواهر الإجتماعية بأنها زمانية لأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بواقع المجتمع، من منظور تحليلي مقارنة في سياق تاريخي، لأننا لفهم الثقافة الفرعية لعادات وتقاليد الزواج لدى "عرف سيدي معمر" و"بني يزقن"، واستقرارها واستمرارها دون معرفة المراحل التاريخية التي أدت إلى ظهورها، وطبيعة الظروف والعوامل التي آثرت فيها وتؤثر فيها إلى اليوم.

هذا ما مكننا بربطها بالسلوك الفردي والإجتماعي فلا يمكن فهم الظاهرة القائمة، وتفسيرها إلا بالعودة إلى حالتها ضمن المراحل الزمنية السابقة فحاضر الظاهرة لا يفهم ولا يفسر إلا بما كانت عليه ومن خلال مراحل تطورها أي الرجوع إلا ما حدث تدريجيا¹.

وقد ساعدني في رصد هذه المعلومات الإستعانة بالمبحوثين من كبار السن للتعرف على العادات القديمة التي عاصروها.

1-3- المنهج المقارن:

يستخدم هذا المنهج إستخداما واسعا في مختلف العلوم الإجتماعية، ويعتبر إحدى المناهج الهامة المرتبطة بالدراسات السوسيولوجية، مثل تلك المتعلقة بمقارنة ظاهرة إجتماعية ما بنفس الظاهرة في نفس المجتمع، أو مجتمع آخر، إذ يمكن ان

¹ - إبراهيم، عثمان. مقدمة في علم الاجتماع، عمان: دار الشروق للنشر و التوزيع، ط 1999 ، 1، ص 65 .

تكون هذه المقارنة وصفية فحسب كما يمكن ان تكون تحليلية تقييمية، فالمنهج المقارن يفترض وجود موضوعين او اكثر لنبحث عن النقاط التي تميزهما، أو تميز بعضهما عن الآخر كما نبحث عن نقاط التشابه والاختلاف إن وجدت¹. فمن خلال هذا المنهج حولنا عرض تفاصيل الممارسات الاحتفالية لزواج من حيث العادات وتقاليده، وطقوس بين "عرف سيدي معمر" و"بني يزقن"، وإبراز أوجه التشابه والاختلاف بينهم.

سابعاً: التقنيات المستخدمة في الدراسة:

هي التقنيات المختلفة التي تستخدم في جمع البيانات لتحقيق أهداف البحث ثم إن طبيعة الموضوع هي التي توجه الباحث لاستعمال التقنيات التي توصله إلى النتائج، وعلى هذا الأساس إستخدمنا التقنيات التالية: الملاحظة المباشرة بالمشاركة، المقابلة نصف موجهة.

1.7. الملاحظة المباشرة:

هي من أهم التقنيات المنهجية في الدراسات الإجتماعية، فأسلوب الملاحظة المباشرة يمتاز بالجوانب الملموسة لمعايشة الموضوع، ومشاهدته عن قرب لصياغة الأفكار ونتائج لاحقاً²، والملاحظة المباشرة التي سوف نقوم بها تتم من خلال حضورنا لبعض مناسبات الزواج للمبحوثين الذين ينتمون لعرف "سيدي معمر" و"بني يزقن".

¹ -محمد عبيدات وآخرون، منهجية البحث العلمي -القواعد والمراحل والتطبيقات، كلية الإقتصاد والعلوم الإدارية، الجامعة الأردنية، الأردن، 1999، ص 46-47.

² -معن خليل عمر مناهج البحث في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع عمان الأردن، ط4، 2004، ص 218.

ولا نعني بها الملاحظة العادية، وإنما الملاحظة العلمية التي يستعين بها الباحث الاجتماعي ومن المهم الإشارة إلى أن الملاحظة العلمية تنقسم إلى نوعين بالمشاركة وبدون مشاركة، وقد استعنا في بحثنا بالملاحظة بالمشاركة.

2.7. الملاحظة بالمشاركة:

وهي الطريقة التي تتناسب مع المنهج الأنثروبولوجي والوصفي المعتمد أساساً في البحث، ويقصد بها الملاحظة التي يصبح الباحث فيها أحد أعضاء مجتمع البحث (المدرس)، بحيث يشترك في الحياة اليومية للأفراد الذين يقوم بملاحظتهم ويساهم في مختلف النشاطات التي يمارسونها، وذلك طيلة فترة الملاحظة للحصول على معلومات كافية وسليمة عن موضوع الدراسة. كما يجب على الباحث تسجيل ملاحظاته في نفس الوقت الذي تجري فيه، للتقليل قدر المستطاع من تأثير الأفكار المسبقة أو النسيان فتعرض بذلك لتشويه أو التحريف عن قصد أو غير قصد¹. وقد اعتمدت طريقة الملاحظة بالمشاركة في بحثي هذا بسهولة وبساطة مع مجتمع البحث الذين ينتمون إلى "عرف سيدي معمر"، وفي نفس الوقت تلقيت صعوبات مع مجتمع البحث الذي ينتمي إلى "بني يزقن" معاً مع بعض العائلات باعتباري لست عضواً من المجتمع الميزابي.

3.7 . المقابلة نصف موجهة: l'entretien semi-directif

من أجل إجراء دراسة استطلاعية حول الموضوع والتقرب أكثر من مجتمع البحث، تم اختيارنا لتقنية المقابلة التي تعتبر من أنجح الوسائل لجمع أكبر عدد ممكن من البيانات الدقيقة على موضوع، معين كما هي من التقنيات الفعالة لمعرفة خصائص

¹ -إحسان محمد الحسن، مناهج البحث الاجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط2، 1982، ص 104.

مجتمع البحث، وبالرجوع إلى أدبيات علم الاجتماع بصفة عام والمنهجية بصفة خاصة، نجد أن المقابلة أخذت الكثير من المعاني. فلقد عرفها موريس أنجرز **Morrice Angers** بأنها: " تلك التقنية المباشرة التي تستعمل لمساءلة أفراد على انفراد وفي بعض الحالات مجموعات بطريقة نصف موجهة⁽¹⁾ والمقابلة كأداة للبحث هي حوار لفضي يتم وجها لوجه بين باحث قائم بالمقابلة، وبين شخص آخر ومجموعة أشخاص آخرون².

- والمقابلة أنواع يتحدد إختيار النوع المناسب حسب المعلومات المراد جمعها، وعلى هذا الأساس تم إختيار المقابلة النصف موجهة **l'entretien semi-directif**، والتي يتم وفقها إقتراح محور المناقشة مع التوجيه من طرف الباحث، وذلك بالإستعانة بما نسميه "بدليل المقابلة" ويعرف هذا الأخير بأنه مجموعة من النقاط أو الموضوعات، التي يجب على القائم بالمقابلة أن يتطرق إليها مع المبحوث خلال الحوار الذي يعقده معه.³ وإستخدمنا هذه التقنية مع عدد معين من المبحوثين الذين ينتمون إلى "عرف سيدي معمر" و"بني يزقن" مع فئة الشابة والفئة المسنة، حيث وجدنا ان هؤلاء بحاجة ماسة للكلام والحديث، عن تقاليد "عرف سيدي معمر" فكانت لهم فرصة كبيرة لإخراج كل ما بداخلهم ، وخاصة التحسر الذي كان باديا على وجوههم كلما تناولوا الماضي، الشيء الذي لم يكن ممكنا مع الإستمارة.

¹- أنجرز موريس، مرجع سبق ذكره، ص 140.

²- دليو فضيل وآخرون، أسس المنهجية في العلوم الإجتماعية: قسنطينة منشورات جامعة منتوري، 1999، ص 190.

³- همام طلعت، قاموس العلوم النفسية والاجتماعية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984، ص 3.

ثامنا - الدراسة الاستطلاعية:

تعتبر هذه الخطوة المنهجية من أهم خطوات البحث السوسيولوجي والتي من خلالها يكتشف الباحث المحاور الكبرى التي تمكنه من الإقتراب الموضوعي والعلمي لموضوع بحثه وكذا فحص مشكلة المدروسة وتدقيقها¹. وكان الهدف من هذه الخطوة هو الالتزام بالخطوات المرحلية للبحث السوسيولوجي وخاصة ان مرحلة البحث الإستطلاعي تقوم على ما نشر حول موضوع البحث، وكذلك الإطلاع على الدراسات والبحوث المقاربة لموضوع بحثنا.

كما قمنا في هذه المرحلة بالاحتكاك بما هو كائن في المجتمع اي ببعض العائلات التي تنتمي "لعرف سيدي معمر" وبعض العائلات الميزابية التي تنتمي إلى "بني يزقن"، رغم اننا كنا نملك معلومات مسبقة عن الموضوع، ولقد انطلقنا من فكرة أولية تتمثل في معرفة الخصائص التي تتميز بها عادات وتقاليد زواج "عرف سيدي معمر" والزواج في "بني يزقن".

والبحث عن الدلالات التي تحملها هذه الممارسات، وإلى ما تشير هذه الطقوس والممارسات فالمرحلة الأولى تميزت بإقامة علاقات بين الباحثة والمبحوث اما المرحلة الثانية فتمثلت في الشروع في عملية المقابلة فاعتمدنا في ذلك على صياغة استمارة مقابلة أولية تحتوي مجموعة من الأسئلة لتمكن بعد ذلك، من تشكيل المحاور الكبرى لتي تخص الظاهرة المدروسة، وتوصلنا في المرحلة الإستطلاعية إلى:

-تعميق المعرفة بموضوع البحث.

¹ -Grawitz(M), Méthodes des sciences social ,2éme éditions, Dalloz, Paris, 1982, p59.

- فرز قائمة المراجع الضرورية للإقتراب النظري لموضوع البحث.
- التعرف على أهمية البحث وحقله العلمي وتحديد مشكلة البحث الأساسية.

تاسعا: صعوبات الدراسة:

1. قلة المراجع والدراسات التي اهتمت بموضوع الثقافة الفرعية لعادات وتقاليد الزواج بين "عرف سيدي معمر" و"بني يزقن" من الناحية الأنثروبولوجية.
2. قلة المراجع التي درست "عرف سيدي معمر"، سواء من حيث شخصه الولي أو عادات وتقاليد هذا العرف، وكذلك المراجع التي تناولت عادات وتقاليد الزواج الميزابي.
3. محدودية التجربة الجزائرية المتخصصة في الدراسات الأنثروبولوجية.
4. صعوبة التغلغل والدخول إلى مجموعات أسرية في منطقة "بني يزقن"، إلا بعدما يتم الإتصال بأعيان المنطقة، وشخصيات معروفة في نفس المنطقة لإبدائهم تحفظات في التعامل، ترجع للخوف وعدم الثقة في شخص غريب لا يعرفونه ولكن بعد تعاملنا معهم وشرح هدفنا العلمي قاموا بتزكيتنا لغيرهم وكان ذلك بتوفيق من الله لتسخير كل من نلتقي به لخدمة البحث.

الفصل الثاني

الدراسات السابقة

تمهيد

1- الدراسات الغربية

1-1-دراسة روجي كايوا

1-2-دراسة مرسل موس

1-3-دراسة إميل دوركايم

1-4-دراسة فون جينيب

1-5-دراسة وسترمارك

2- الدراسات الجزائرية

2-1-دراسة الأستاذة براهيم الرحماني أنيسة

2-2-دراسة ماتيا قوي دري

خلاصة

تمهيد:

تعتبر الدراسات السابقة خطوة هامة من الخطوات المنهجية للبحث العلمي، إذ يجب على الباحث الاطلاع عليها وتحليلها لمعرفة النتائج التي تم التوصل إليها، حيث تعتبر حجر الأساس الذي ترتكز عليه أي دراسة في بداية الأمر. وتساهم الدراسات السابقة في مساعدة الباحث على إنجاز بحثه، وذلك بإعطائه نظرة عن الطرق والقواعد المنهجية التي يستعملها في إنجاز بحثه، كما تعطي له خلفية نظرية عن الموضوع. واطلعنا في هذه الدراسة على الأدبيات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية التي تناولت الموضوع لتكوين خلفية تساعد على استيعاب مختلف العناصر المرتبطة به.

لكن على الرغم من أن الزواج من أكثر المواضيع التي اهتم بها علماء الفلكلور بين سنوات 1870 و 1950 إلا أن وصفهم لها كان محبطاً، فهي لا تخص إلا مرحلة من الزواج ولا تقول شيئاً عن الجماعة التي وصف بها طقس ما. وعليه فمن العسير من خلال هذه المصادر الفلكلورية معرفة كيف كان يتم الزواج في حضن جماعة معينة أو في فترة زمنية بعينها¹.

وانحصرت غالبية الدراسات التي أجريت على ظاهرة المراسيم الزوجية، على الأقل تلك التي تمكنا من الإطلاع عليها في وصف جاف للطقوس المصاحبة لها، ولم تخص تلك المأخوذة منه بجانب من البحث. هذا الصمت المحيط بدراسة المراسيم الزوجية من وصفها، والتحدث عن المكان الذي تقام به وتحديد الجماعات التي درست فيها، يثير العديد من التساؤلات وقد ينبؤنا بعدم تقدير لهذه الممارسات، اعتبارها بلا جدوى رغم أن أهميتها بارزة بالنسبة للفاعلين الذين يحاولون الحفاظ عليها. وبناء على الدراسات السابقة المطلع عليها قسمنا هذه الدراسات إلى: عربية، عربية، جزائرية وذلك من خلال هذا الفصل.

¹ –Segalen، Martine. *Rites et rituels contemporains*. Paris، éd. Nathan، 1998، p. 962)

1-الدراسات الغربية:

1-1-دراسة روجي كايوا Roger Caillois:

نظرا لقلة الدراسات التي تناولت موضوع البحث «التغير الاجتماعي في عرف سيدي معمر» قمنا باختيار بعض الدراسات القريبة من موضوع بحثنا ذات الطابع الأنثروبولوجي فقمنا باختيار هذه الدراسة لأنها تناولت بعض المفاهيم الموجودة في بحثنا.

لا يمكن الحديث عن الزواج دون ان نشير إلى دراسة "روجي كايوا " الذي قدم لنا من خلال مؤلفه "الإنسان والمقدس عام 1950، نظرية متكاملة حول العيد حيث قام بدراسة مقارنة بين المجتمعات البدائية والحديثة، إذ ركز خلالها على الحياة المقدسة للإنسان ¹. وقد جاء الكتاب في خمسة فصول، تناول الفصل الأول العلاقات العامة بين المقدس وديوي، أما الفصل الثاني ناقش موضوع ازدواج المقدس، ويبحث الفصل الثالث مقدس الإحترام ونظرية المحظورات. ثم تعرض في الفصل الرابع المقدس الانتهاك ونظرية العيد، فقسم هذا الفصل إلى عدة اجزاء وهي العيد، لجوء إلى المقدس، وجزء آخر إعادة خلق العالم يلي وظيفة الفسق. أما الفصل الخامس وهو المقدس شرط الحياة وبوابة الموت فأتبعه بملاحق، الملحق الأول: الجنس والمقدس الملحق الثاني: اللعب والمقدس. أما الملحق الثالث: وهو الحرب والمقدس حيث قام بمقارنة بين الحرب والعيد وجزء بعنوان الحرب وجزء آخر: وهو صوفية الحرب.

¹ Caillois Roger, L'homme et le sacré, édition Gallimard France, 1950, Tables des matières.

1-2-دراسة مرسل موس Marcel mauss :

بحث في الهبات والهدايا الملزمة "Essai sur le don" درس "مارسل موس" موقع الهبة او الهدية في المجتمعات البدائية في كل من بولنيزيا وميلانيزيا والشمال الغربي الأمريكي. استطاع ان يثبت ان الهدية لا تمنح عن الكرم، وإنما عن إلزام. وان الهدية تتصف بصفة الإلزامية، التي تأخذ ثلاثة مظاهر: العطاء، الأخذ، الرد. وتطرق لتبادل الهدايا بين القبائل الذي يتم اثناء احتفال كبير ويدوم طويلا والمقام للغرض ذاته، وسط إفراط في الاستهلاك والتبذير، ولقد أطبق عليها "موس" تسمية "البتلاتش" كما اظهر إن القبيلة التي لا تحترم مظاهر الإلزام (سواء رفض العطاء أو رفض الأخذ أو رفض الرد) فإنه بمثابة تحد تدخلها في حروب لانهاية لها.¹

1-3-دراسة إميل دوركايم Emile Durkheim :

من بين أشهر مؤلفات دوركايم نجد مؤلفه الأنثروبولوجي بعنوان "الأشكال البدائية للحياة الدينية".

قام دوركايم في هذه الرسالة بتطوير نظرية عامة عن الدين والتي تبلورت خلال تحليل المؤسسات الدينية الأكثر بساطة وبدائية، فقام بدراسة الدين في أشكاله الأساسية والبدائية، جاء البحث في ثلاثة كتب. الكتاب الأول جاء على شكل مقدمة تناول فيها تعريف الظاهرة الدينية كما تطرق للطوعم كدين اساسي في إحدى القبائل البدائية بأستراليا. أما الكتاب الثاني: تناول فيه لعقائد الأساسية وأصول هذه العقائد. أما الكتاب الثالث، فتحدث فيه عن العبادات السلبية. أما الفصل الثاني والثالث والرابع خصصها

¹-موس مارسيل، بحث في الهبة والهدايا الملزمة، ترجمة محمد طلعت عيسى، دار الفكر العربي، ط1، 1971، ص13.

للعادات الإيجابية. الفصل الرابع تحدث فيه عن العيد والإحتفالات ودورها في حياة الفرد وفي الخير الخاتمة.¹

4- دراسة فون جينيب Van Geb1

ومن أهم الدراسات التي تناولت موضوع مراسيم الزواج والتي تمكنا من الإطلاع عليها نذكر دراسة فان جينيب Van Genep (1) التي جاءت في جزئين وخصت طقوس الانتقال بفرنسا بوصف دقيق ومفصل من الولادة حتى الموت حيث تم التطرق لمراسيم الزواج في الجزء الثاني وهي أحد أهم الدراسات عن مراسيم الزواج.²

1-5- دراسة "وستار مارك Westermarck":

أما الدراسات التي خصت المغرب الكبير نجد أن المغرب الأقصى قد حظي في غالبيتها باهتمام خاص، ونذكر من أهمها دراسة وستار مارك Westermarck، والتي خصت عدة قبائل وتعد مصدرا أساسيا لكل باحث عن المغرب الأقصى ونجد أيضا كتاب لاووست La oust، حيث خص هذا الأخير قبائل بربرية في المغرب الأقصى بدراسته. وأهم ما يميز هذا الكتاب الذي نشر بعد وفاة مؤلفه بسنوات عديدة أنه يجمع بين النص الأمازيغي (اللغة الأصلية لمنطقة الدراسة) والنص الفرنسي إضافة عرضه لعدد من الصور الفوتوغرافية.³

¹ –Durkheim Emile, les formes élémentaires de l vie religieuse, p, u, f, paris, 1968.

² –Van Genep, Arnold, *Manuel de folklore français contemporain*, tome 2 : du berceau à la tombe (maria).

³– Westermarck, Edward, *Les cérémonies du mariage au Maroc*, traduit de l'anglais par Arin, J. éd. Ernes .

من الملاحظات التي يجب التنويه بها أن معظم الدراسات الفلكلورية التي تمت حول المغرب الكبير كانت في الفترة الاستعمارية وعليه فهي مرتبطة بالجو الثقافي، الاجتماعي والسياسي السائد آنذاك باعتبار أن هذه الدراسات أقيمت على مجتمعات غير متحضرة حسب التصنيف الاستعماري وعليه لابد من أخذ ذلك بعين الاعتبار عند التعامل مع هذه المؤلفات.

2-الدراسات الجزائرية:

1-2 دراسة الأستاذة الدكتورة أنيسة براهيم الرحماني **Brahim Arahmani** : Anissa

قدمت الباحثة الاجتماعية الدكتورة أنيسة براهيم الرحماني دراسة دكتوراه من الدرجة الثالثة تحت عنوان:

Contribution a une sociologie des loisirs : Thèse de doctorat
troisième cycle » (des loisirs passetemps ou temps du
loisir) :parisVII1982

حيث تطرقت في لبداية لتمهيدات مختلفة لتنتقل إلى دراسة نظرية "دوما زودي"
DUMAZEDIER ونظريته في الترويح كما خصصت فصل خاص بأوقات الفراغ
التقليدي حيث تناولت المنسبات الاجتماعية لحقبة تاريخية ماضية تظهر فيها عادات
استقبال المولود الجديد في الأسرة وكذا مناسبة الختان لتنتقل إلى الزواج ب استعراض
طريقة المهر الأكثر استعمالا في المجتمع الجزائري وكافة العادات المتعلقة بالخطوبة
ويوم العرس من الصفحة 78 إلى الصفحة 92.

ملاحظة: نسخة الأطروحة غير متوفرة في المكتبات بحكم أنها أنجزت ونوقشت في باريس تحصلنا، عليها من طرف الأستاذة¹.

2-2 دراسة ماتيا قوي دري Gaudry Mathea :

أما الدراسات التي تمكنا من الإطلاع عليها حول مراسيم الزواج في الجزائر فهي قليلة، مما يستوجب التساؤل عن هذا الاهتمام الخاص بالمغرب الأقصى. كانت الدراسات حول الجزائر إما دراسات متفرقة موجودة ضمن مؤلف أي أنها لا تشكل الموضوع الرئيسي للكتاب وخصت مناطق محددة دون الأخرى وقد أخذت منطقة القبائل الكبرى ومنطقة. الأوراس (الشاوية) الحظ الأوفر منها.

ومن بين هذه الدراسات على سبيل الذكر لا الحصر، كتاب ماتيا قودري Gaudry, M² الذي خص المرأة الشاوية بالدارسة حيث تناولت المراسيم الزوجية في أحد الفصول حينما تطرقت مؤلفته لمؤسسة الزواج، كما تناولت المراسيم الجنائزية في فصل آخر.

ويمكن القول بأن الفضل يعود لهذه الباحثة في جمع أكبر قدر من المعلومات عن المراسيم في منطقة لأوراس مع بداية القرن 20، ونجد أيضا دراسة سيرتو وكار نوي Carnoy³ et Certeux، كما نجد دراسة لاوست شونتريو Laoust -

¹ Brahim Erahmani Anissa, **du loisirs passe temps ou temps du loisir**, Doctorat 3ém sycle, Paris VII ,1982,P78-92.

² – Gaudry, Mathea, **La femme Chaouia de l'Aurès**. Etude de sociologie berbère, Paris, éd. L.O.P.G. 1929.

³ Certeux et Carnoy, **L'Algérie traditionnelle : légendes, contes, chansons, musiques, mœurs, coutumes**.

Chantauriau التي تتخللها أجزاء مخصصة لوصف مراسيم الزواج في منطقة القبائل الكبرى حتى الخمسينيات ومن الخمسينيات حتى الوقت الحاضر. المنهج المتبع هو المنهج الأنثربولوجي.

خلاصة الفصل:

يعرض هذا الفصل بعض الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية التي تناولت موضوع الثقافة الفرعية للزواج كمفهوم في حد ذاته، كما تناولت دراسات شملت مجتمعات بدائية درست فيه الظواهر الإحتفالية المختلفة وكذا الخاصة بالزواج والطقوس المصاحبة له وقد جاء الفصل في جزأين وهي دراسات أجنبية، ودراسات جزائرية. ولقد حصرنا الدراسات الأجنبية في دراسة "روجي كايوا" و"مارسل موس" و"إميل دوركايم" ثم فان جوبن "Vanne Genep"، و"وستر مارك Waster Marc" التي تناولت الزواج من منظور انثروبولوجي. لنختتم الفصل بدراسة "الأستاذة الدكتورة/ أنيسة براهيم الرحماني" وبحثها حول الترفيه والتسلية بتناولها لترفيه التقليدي وكذا مناسبة الختان لتنتقل الى الزواج باستعراض طريقة المهر الأكثر إستعمالا في الجزائري وكافة العادات المتعلقة بالخطوبة ويوم العرس، إضافة إلى بعض الدراسات الأخرى "ماتيا قويدري".

الباب الأول

الجانب النظري

الفصل الثالث

العادات والتقاليد الإجتماعية

- 1- العادات الإجتماعية نشأتها وأهميتها
 - 2- روافد العادات الإجتماعية وأنواعها
 - 3- أنواع العادات الإجتماعية
 - 4- خصائص العادات الاجتماعية ووظائفها
 - 5- التقاليد
 - 6- أهمية التقاليد
 - 7- خصائص التقاليد
- خلاصة الفصل

1-العادات الاجتماعية نشأتها وأهميتها:

1-1تعريف العادات:

أ-لغة:

تعتبر لفظ العادة مفرد لجمع مؤنث السالم العادات، وهي مأخوذة من تعود يتعود مصدره تعويد لغة هي كلما أعتيد حتى صار يفعل من غير جهد، والعادة هي الحالة تتكرر على نهج واحد¹ وعليه فهي تعني كل ما تعود الناس ودرجوا على فعله والقيام به وتكرر عمله حتى أصبحوا يؤلفونه، وتعودوا عليه.

ب -إصطلاحا:

فإن العادة تعبر عن نمط السلوك يرتضيه الفرد أو الجماعة لأنفسهم، وبذلك يصبح ثابتا مع مرور الزمن، وينتقل وراثيا هذا الانتقال بين الأجيال يساعدها على التوسع، والنمو وبذلك تكتسب سلطانا في المجتمع².

وتعتبر العادة ظاهرة إجتماعية، وقد اختلف العلماء في تعريفهم للعادات ولكن اهتموا بها كدراسة للظواهر الاجتماعية حيث إستعمل "p.Bourdieu مفهوم الهابيتوس Habitus إذ يعبر مفهوم الهابيتوس "عن النزوع الشخصي الاجتماعي ويشير إلى عملية إنتاج الأفكار، ثم إعادة إنتاجها عبر الزمن، وحسب الظروف الاجتماعية المتغيرة واستمرارية هذا النشاط مع استمرارية تطور المجتمع والتفاعل بينهما ما هو إلا الهاجس الذي يشغل المجتمع

¹ - الحسن عيسى، موسوعة الحضارات، ط1، الأهلية لنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص47.

² - عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ص150.

فالهابيتوس يكتسبها الفرد من مجتمعه وتصبح بمثابة القواعد التي تولد الممارسات، ويجعلها رأسماله الرمزي¹.

وقد رأى بورديو **Bourdieu** أن الهابيتوس "مجموعة من الاستعدادات المستدامة والقابلة للنقل"، وهذه الاستعدادات تساعد على تنظيم الممارسات التي تكون موحدة بين أفراد الجماعة، لذلك يصبح الهابيتوس وسيلة تجعل الأفراد يتكيفون مع وسطهم.

ويعبر مالينوفسكي **Malinowski** عن العادة "بأنها روتين الحياة الذي يشهدها الأفراد، ذلك الروتين الذي يتعلق بطبيعة اللهجة، واللغة التي تستعمل في الحياة اليومية والتي تتفاعل مع الرموز السلوكية فتكون جملة الظواهر الاجتماعية، المعقدة يصعب على العالم تدوينها أو وصفها، أو تحويلها إلى أرقام لكن يمكن مشاهدتها وقت حدوثها"².

ومن كلمة روتين التي جاء بها مالينوفسكي فإنه يقصد العادة "لأن الروتين هو ما تكرر فعله وأصبح معتادا لذلك يمكن اعتبار العادة أنماط من السلوك التي تنتقل من جيل لآخر، وتستمر فترة طويلة، حتى تثبت ونستقر وتصل إلى درجة إعراف الأجيال المتعاقبة بها"³، وبما أنها أنماط من السلوك فهي قاعدة السلوك الجمعي، وعموما فإن العادة تمثل كل الأعمال والأفعال التي يقوم بها الأفراد ويتعودون عليها، لذلك فهي ممارسات تتطلبها الحياة الاجتماعية في أي مجتمع، لأنها تشمل كل الأفعال التي تنتج عن علاقة الأفراد ببعضهم البعض فتشكل سلوك مكتسب اجتماعيا يتعلمه الأفراد من مجتمعهم ويمارسونه فيه.

¹ -Pierre Bourdieu، **Le sens Pratique Le sens commun**، Maison des sciences de l'homme، édition de Minuits، Paris، 1980، p88

²-دنكن ميشال، معجم علم الاجتماع، تر: إحسان محمد الحسن، ص157.

³-رشدان عبد الله، علم اجتماع التربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2004، ص139.

ويرجع "سمنر" نشأة العادات الاجتماعية إلى حاجات المجتمع الضرورية التي تتطلب إرضاءها وإشباعها حيث يرى أن "في سبيل أن يتم إرضاء الحاجات الضرورية، لابد من قيام الناس أفرادا وجماعات بطرق أو أساليب مختلفة من النشاط، تغلب عليها المحاولة العشوائية ولابد من هذه الأساليب أن تكرر في كل مرة، وأثناء التكرار ومن خلال التكرار، وعن طريق التجربة ويكتشف الناس عن طريق التجربة والخطأ أن هناك طرقا ناجحة صائبة ومفيدة وطرقا ضارة، فيختارون ما يناسبهم و يفيدهم ويتمسكون به مع مرور الزمن تتبلور، فتصبح عادة اجتماعية ويتعارف الناس عليها ويعملون على ترسيخها وتأصيلها في نفوس الأفراد، ويعملون على نقلها أفقيا في الجيل الواحد ورأسيا إلى الأجيال المتعاقبة على شكل أعراف وتقاليد تحرص عليها الجماعة وتحترمها.

لذلك أعتبر "سمنر" العادات الاجتماعية قوة نابعة عن تكرار مستمر لبعض الأفعال التي تصدر عن مجموعة كبيرة من افراد المجتمع، فالعادة تنشأ نتيجة حاجات الإنسان التي يريدها، ويريد إشباعها وعندما يعرف الناس أن هناك أسلوب صالح من طرق السلوك التي ترضى حاجاتهم فيكررونها في كل المناسبات، ويحاولون التمسك بها عبر الزمن وتصبح بعد ذلك عادة اجتماعية.

وبعد ذلك تتحول العادة الى أسلوب شعبي يتمسك بها افراد المجتمع كلهم، دون التفكير في أصل هذه العادة ولا كيف وجد، لأنهم وجدوها متداولة بينهم مما جعل العادات تنتقل بطريقة لاشعورية، بعد أن تكونت بصفة تلقائية، والعادات الاجتماعية عندما تتكرر تصبح مهمة لدى الأفراد لأنه عندما يتكرر الفعل يصبح راسخا في أذهان الجماعة، فإن تولد لديهم الشعور بضرورة إحترامه¹.

¹ - دياب فوزية مرجع سبق ذكره، ص 119.

ويرى "سمنر" أن هذه العادات تنشأ تلقائياً ثم تصبح مترسخة في المجتمع، ويألفها أفراد دون أن يعرفوا تكوينها وأصلها، بل هم مجبرون فقط على الإمتثال لها، وهنا تكمن أهمية العادات في كونها تشكل سلوكيات متكررة تفرضها الجماعة على الفرد، ويبتكر المجتمع هذه العادات كوسيلة لإشباع حاجات أفراد المعيشية وفرض شخصيته و كيانه وإثبات هويته، لذلك جعل علماء الاجتماع من العادات الاجتماعية الأساس الأولي الذي يقوم عليه التراث الثقافي في كل مجتمع، بما أنها المعيار والقوة الضابطة التي توجه سلوك الأفراد وتنظم طريقة حياتهم، وبذلك تدعم الحياة الاجتماعية وتؤدي إلى تعزيز وحدة الجماعة، وتقوي الروابط بين الأفراد.

لذلك تلعب دوراً في نشأة النظم الاجتماعية وإستقرارها، لذلك يمكن تصور مجتمع دون عادات إجتماعية، إذ تشكل ضرورة حتمية إجتماعية لتنظيم العلاقات وضبطها بين الأفراد. إذا كان القانون سلطة المجتمع المكتوب، فالعادات سلطته الغير مكتوبة ودستوره المحفوظ في صدور الناس هذه السلطة التي تجعل الفرد خاضعاً لهل، ولماضيها وتابعا لأسلافه حتى يندمج في نظام إجتماعي سبق وجوده.

ومما سبق يظهر بأن العادات هي بمثابة قواعد تحقق النظام الداخلي للمجتمع البشري، فهذه المنظومة من العادات، هي عبارة عن تجليات للتعبير الثقافي فهي أشكال مختلفة، ومتنوعة من المدلولات المفصحة عن الذات والوجدان الفردي والجمعي، وحسب "كلود ليفي ستروس **Cloud lewystrouse**" هي إثبات للهوية من خلالها يخرج ما بداخل الذاكرة من معطيات قابلة للتحليل الإجتماعي لذلك تعتبر رأسمال رمزي "**Capital Symbolique**"¹.

¹ –Georges Balandier ,Anthropologies, l' **librairie** générale française, Paris, 1985, p28.

وقد تحدث "إبن خلدون" عن أهمية العادات الاجتماعية وذكر كيف ان الإنسان ابن لعوائده لا ابن طبيعته "إن أهل البداوة أقرب الى الشجاعة من الحضرة وأصله أن لإنسان ابن عوائده، ومألوفه لا ابن طبيعته ومزاجه فالذي الفه في الأحوال حتى صار خلقا، وملكة وعادة تنزل منزلة الطبيعة والجملة"¹.

2-روافد العادات الاجتماعية وأنواعها: تتعدد الروافد التي تجعل العادات تستمر ومن أهمها:

أ- الشعائر:

تشكل الشعائر نوعا من الممارسات الجماعية ،التي تتم وفق قوانين وقواعد تقرها الجماعة وذلك من أجل متابعة بعض الأفعال والأقوال بغرض تحقيق غاية معينة، والتي يجب أن تكرر كما هي دون أن يمسه تغيير في الشكل .وغالبا ما ترتبط الشعائر بالمجال الديني لتشكل سلوك يرتبط بواسطته الفرد بخالقه وهذا ما يجعل الشعائر تتصف بالقدسية ،وتوجد شعائر تتعلق بما يقوم به الإنسان في الحياة اليومية، كشعائر الزواج التي عندما التي عندما تتكرر تحافظ على التقاليد، وبذلك يمكن أن نعتبر الشعائر كل ما يصدر عن الإنسان من إشارات وأفعال يعبر بها عن شيء ما خلال عملياته الإتصالية.

ب-الرموز:

كل ما يقوم به الإنسان في الحياة اليومية من سلوكيات هو نابع من إستعمال الرموز، وقد إعتبرت الرموز عند العديد من العلماء وسيلة مثلى للإتصال بين أفراد المجتمع، وهذه

¹ - عماد عبد الغني، مرجع سبق ذكره، ص153.

القدرة الإتصالية التي يكتسبها الأفراد تعمل على تراكم التراث البشري، ونمو الثقافة وتطورها. وتعتبر اللغة من أهم الرموز لأنها الأداة التي يتواصل بها المجتمع الإنساني، ويتماسك بها أفرادها لأنها كوسيط لنقل تراث المجتمع الثقافي والاجتماعي. ومما سبق يمكن إعتبار الرمز وسيلة هامة للتعبير عن النشاط الإنساني الاجتماعي، وحسب "وايت" فإن الرموز شيء يكتسب قيمته أو معناه ممن يستخدمونه¹ وهذا ما يجعل الرموز تختلف من مجتمع لآخر.

ج-الإحتفالات:

هي عبارة عن ممارسات إجتماعية لها طابع الرسمية تعبر بوضوح عن إستقرار الناس، حيث تلتقي فيها الشعائر والطقوس والرموز، وبذلك هي عادة إجتماعية موحية بالفرحة ومعبرة عن إبتهاج أصحابها، تمارس في مختلف المناسبات مرتبطة بعواطف وأحاسيس معبرة لذلك لا يستغني عنها الأفراد.

3- أنواع العادات الاجتماعية: تنقسم العادات إلى قسمين :

3-1- عادات فردية:

هي حسب ما نلاحظه يوميا مجموعة من العادات المتعلقة بالمظهر السلوكي الذي يمارسه الأفراد مثل عادة تصفيف الشعر أو عادة الكلام. لذلك يمكننا أن نقول انها عادة متعلقة بشخص الإنسان، لأن يمكن للفرد أن يمارسها دون حاجة المجتمع، ويوجد لها حاجته حتى يتمكن من تنظيم حياته، وعليه فهي تعبير شخصي عن إستجابات لظروف الحياة.

¹-عماد عبد الغني، مرجع سبق ذكره، ص135.

3-2- عادات جماعية:

تشكل العادات الجماعية أسلوباً في الحياة لا يخرج عن إطار الحياة الاجتماعية، ونتيجة عن تفاعل أفراد المجتمع مع بعضهم البعض لذلك لا يستطيع الإنسان أن يخرج عن إطارها، كما أنها وسيلة لحفظ كيان المجتمع، وتنشأ تلقائياً من أجل تحقيق أغراض متعلقة بأوضاع الجماعة ومظاهر سلوكها.

فهي تعبر عن مجموع الأنماط السلوكية التي تبقى عليها الجماعة وتتناقلها عن طريق التقليد وتفاعل مع الآخرين¹ والعادات الجماعية نوعان:

3-3- العادات التقليدية :

وهي قديمة ومتوارثة عبر الأجيال، مستمرة مع استمرار الحياة رغم أنه من يوجدها قد يختفي تربط الماضي بالحاضر، كما تحفظ الموروث الثقافي واعتبرها كلاكهون" Kluckohn و "كلي" Kelly وسائل إرشاد توجه سلوك الناس في المجتمع² وذلك لأنها تخطط للفرد سلوك حياته الذي ترتضيه الجماعة مثل كيفية القيام بحفلات الزفاف.

3-4- عادات حديثة:

وهي التي يسمها الناس بالموضات، وهي كل ما يدخل المجتمع من ممارسات جديدة على شكل موضات بحيث تتقبلها الجماعة، وتنتشر وأحياناً تكون مدة بقائها قصيرة، وتعبر عن اللباس والهيئة وتمس أفكار الناس ومعتقداتهم، مثل استعمال قاعة الحفلات في الأعراس لذلك يمكن القول أنها آنية مرتبطة بالفترة التي وجدت فيها، وبالحاجة التي وجدت لأجلها.

¹ -عماد عبد الغني، مرجع سبق ذكره، ص 153.

² -دياب فوزية مرجع سبق ذكره، ص 152.

وعموما فإن العادة الجماعية تملك سلطة أكثر من العادة الفردية، خصوصا وأنها تحفظ كيان المجتمع وتنظم سلوك الأفراد.

4-خصائص العادات الاجتماعية ووظائفها: تتميز العادات الاجتماعية بخصائص متعددة:

أ-فعل إجتماعي:

وذلك لأن العادات تظهر نتيجة تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض، مما ينتج ممارسات تتطلبها الجماعة من أجل إشباع حاجاتها الاجتماعية.

- تاريخية الطابع لأنها يتوارثها الأجيال ويحافظون عليها في إطار تراثهم الذي يحميها ويعمل على نقلها.

- ترتبط بزمان والمكان لأنها تمارس في زمن معين مثل المناسبات، ومكان معين ولأنها تختلف من مكان لآخر باختلاف ثقافة المجتمع.

ب-التلقائية:

تنشأ العادات بصفة تلقائية، وتمارس بطريقة لاشعورية لأنها تتبع من حاجة الناس مما يجعلها ضرورة اجتماعية، تربط بين الأفراد وتزودهم بماضيهم وتراثهم القديم.

ج-الإلزام والجبرية:

تمارس العادات الاجتماعية سلطة على الأفراد، لأنهم ملزمون للقيام بها والخضوع لها، لذلك تتميز بكونها ملزمة وجبرية وهذا ما عبر عنه "دوركايم" بالعقل الجمعي ذلك أنه مصدر كل الظواهر الاجتماعية، فالعادات الاجتماعية ينتجها العقل الجمعي كنماذج سلوكية وبذلك تمارس سلطة على المجتمع وعلى الأفراد.

د-الاتصال بنواحي خرافية وأسطورية:

من خصائص العادات الاجتماعية أنها متصلة بنواحي أسطورية كالإعتقاد بأن أرواح الأجداد قد تغضب، إذا حاولنا تغيير عاداتهم وهذا كله مرتبط بالاعتقادات السائدة عند الناس، والمرتبطة في جوهرها بغضب الأجداد عند الخروج عن قانون العادات، وهنا لك من العادات ما يرتبط بالأمكان المقدسة مما يجعل الناحية الأسطورية غالبية عليها.

هـ-التنوع والنسبة:

أن العادات الاجتماعية متنوعة من منطقة لأخرى، وتختلف من حيث طرق ممارستها، حيث هناك من يبالغ فيها وهناك من يمارسها على حالها، وتتغير من مجتمع لآخر، ومن مكان ومن زمان لآخر، لذلك فإن لكل مجتمع طريقته في ممارسة العادات الاجتماعية تتناسب وقيمه ومعاييره.

د-الاستمرار والدوام:

العادات مستمرة الوجود، لأنها يتوارثها الأجيال في إطار التراث الثقافي ولكن شكلها يتغير ويبقى مضمونها محافظ عليه، وهي غير مكتوبة بل تحتفظ بها ذاكرة الناس وجسدها سلوكهم، هذا التوارث الذي يكسبها صفة القدسية، والاحترام الشيء الذي يجعلها راسخة ومستمر.

و-الرغبة في التمسك بها:

يعمد الأفراد في المجتمع على الحفاظ على عاداتهم ويرغبون في التمسك بها ويدفعهم لذلك المجتمع من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي الذي يمارسه

الضمير الجمعي على الأفراد ويهدف المجتمع وراء ذلك إلى تكوين فرد يتوافق سلوكه مع السلوك العام للمجتمع¹.

ي-الوظيفة الإرشادية:

تعمل العادات الاجتماعية على إرشاد الفرد وتوجيهه، وذلك من خلال ما تقدمه من أساليب عامة للسلوك يوجدها المجتمع في إطار عملية التفاعل التاريخي والاجتماعي وما عل الفرد إلا أن يمتثل لهذا السلوك بعد أن يتشربها، ويقوم بها وهو يتلقاها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية.

ز-الوظيفة الضبطية التنظيمية:

من وظائف العادات الأساسية تنظيم وضبط المعاملات بين الأفراد وعلاقاتهم وما تتضمنه من أوامر ونواهي إذ هي بمثابة القانون الشفهي الذي عند الخروج عنه يختل توازن المجتمع مما يفرض إحترامه. لذلك نستخلص أن العادات وسيلة مهمة في تحقيق النظام والضبط، حتى تحافظ على كيان المجتمع وتماسكه.

ي-الوظيفة الإرشادية:

تعمل العادات الاجتماعية على إرشاد الفرد وتوجيهه، وذلك من خلال ما تقدمه من أساليب عامة للسلوك يوجدها المجتمع في إطار عملية التفاعل التاريخي والاجتماعي وما عل الفرد إلا أن يمتثل لهذا السلوك بعد أن يتشربها، ويقوم بها وهو يتلقاها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية.

¹-دياب فوزية، مرجع سبق ذكره، ص 136.

ز- الوظيفة الضبطية التنظيمية:

من وظائف العادات الأساسية تنظيم وضبط المعاملات بين الأفراد وعلاقاتهم وما تتضمنه من أوامر ونواهي إذ هي بمثابة القانون الشفهي الذي عند الخروج عنه يختل توازن المجتمع مما يفرض إحترامه. لذلك نستخلص أن لعادات وسيلة مهمة في تحقيق النظام وضبط، حتى تحافظ على كيان المجتمع وتماسكه.

5- التقاليد:

5-1- مفهوم التقاليد:

التقاليد في اللغة الإنجليزية مشتقة من الأصل اللاتيني لكلمة "trad." وتعني النقل والتجارة وفي الإنجليزية "trad." هي نقل الشيء من مكان لآخر، والتقليد في اللغة العربية مصدر من الفعل قلد ولغة هوما انتقل الى الإنسان من آبائه ومعلميه ومجتمعه من العقائد العادات والعلوم¹.

أما اصطلاحاً فالتقاليد عبارة عن مجموعة من قواعد السلوك التي تنشأ عن الرضا والإتفاق الجمعي، وهي تستمد قوتها من المجتمع، وتحتفظ بالحكم المتراكمة وذكريات الماضي التي مر بها المجتمع يتناقلها الخلف عن السلف جيل بعد جيل².

فالتقاليد هي كل ما إتفقت عليه الجماعة ودل على الماضي والقديم، حيث تتناقل من الخلف إلى السلف لذلك هي عادات إجتماعية تقليدية، لأنه عندما نستمر في استعمال

¹ -البستاني فؤاد إفرام، منجد الطلاب دار المشرق، بيروت، لبنان، 2001، ص906.

² -رشوان حسن عبد الحميد أحمد، الثقافة دراسة في علم الإجتماع الثقافي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006، ص159.

عادات إجتماعية لفترة طويلة تصبح تقليداً، والتقاليد في المفهوم الديني والإجتماعي تؤكد فكرة الوديعة أو بالأحرى ما يسلمه الجيل القديم للجيل الجديد للحفاظ عليه، أي ما يودع عند الجيل للمحافظة عليه، وحمايته ليس خوفاً منهم، بل بدافع المحافظة على تلك الوديعة والإمتثال لما تركه الأجداد.

وبالتالي ما يجسد الإمتثال للعلاقات وتفاعلات الاجتماعية rapports sociaux هذا ما يعطيها صفة القداسة، "العلاقة بالأجداد تعني رمزياً الإمتثال للعلاقات والتفاعلات الاجتماعية rapport sociaux الموجودة، ويفسر في لغة المقدس¹.

وتتميز التقاليد بصفة التوريث والتوارث، أهم خاصية في التقاليد لأنها تنتقل من جيل لآخر إلا عن طريق التوارث، كما أنها تتميز بميزة التحفظ من جانب الأسلاف المورثين وهذا ما يظهر التقبل الواعي لهذه العادات القديمة، مع الشعور بالإعجاب بها والإعتراف بها، وهذا ما يفسر طغيانها وسيطرتها على حياة الناس.

6-أهمية التقاليد:

تمثل التقاليد روح الأمة لأنها مهمة في تسير الحياة اليومية للأفراد، وتعطي لهم قوانين ونظم، فهي متواجدة قبل وجود الإنسان، تعطي للفرد مجموعة من الأنماط السلوكية المتفق حتى يتبعها لكي يتمكن من تحقيق الحاجات الإنسانية، وبذلك هي ترسم له الأساليب والتصرفات التي تسمح بالتفاعل فهي عامل أساسي في الحفاظ على التماسك الإجتماعي، لأنها تمثل قيم ومعتقدات القدماء التي يتوارثها الأجيال، فهي تجسد نظاماً غير رسمي، أو ما يطلق عليه نظام عرفي يتفق عليه هذا النظام الذي يتحكم في الأفراد، ويسير حياتهم

¹ -دياب فوزية، مرجع سبق ذكره، ص164.

فكل ما يصدر من الأفراد من سلوكات هو نابع من النظام العرفي للتقاليد الذي ينظم سلوك الأفراد، ويسمح بتفاعل بينهم. تحظى التقاليد بالتقدير والتبجيل، لأنها تمثل التاريخ الأساسي لماضي أي شعب هذا التاريخ المشترك بين جميع أفراد المجتمع، وتعبّر عن مظاهر السلوك الجمعي المتكرر وهذه الأساليب تغذيها الذاكرة الجمعية، ويحميها الضمير الجمعي لأن الذاكرة هي التي تحتفظ في الحاضر بما أنجزه الأجداد من خبرات في الماضي، وبالتالي تحتفظ بالتاريخ المتوارث "التقاليد تظهر في آن واحد داخل الوعي الجمعي والفردى وداخل العلاقات وتفاعلات المكونة للحياة الاجتماعية"¹ فتقاليد تعكس لنا قيم الأسلاف، ومعتقداتهم وتصوراتهم الجماعية.

تظهر أهمية التقاليد حسب "لفي بروهل Levy Brühl" الماضي عند المجتمعات التقليدية، والذي تحفظه الذاكرة الجمعية ليتوسع أبداً إنه يفقد للتعمق فيصبح ميكرو - تاريخي معبر عن الروايات أو النوادر² Anecdote وهذا ما يفسر كون التقاليد تترسخ في الذاكرة الجمعية التي أمرا أساسيا وتاريخ أمة، فنقتصر على ما هو محتفظ به ومنقول بفضل القصص والروايات أي التراث الشفهي من جيل لآخر.

7- خصائص التقاليد:

تعتبر التقاليد أهم ما يتوارثه الأجيال لأنها تنتقل من السلف الى الخلف يتمسك بها آباؤنا ونولد نحن ونجدهم متمسكين، وحريصين على القيام بها "لذلك كان أصعب دور كلف به الأنبياء والرسل هو تغيير عادات القوم المتوارثة أي تقاليدهم"³ لذلك اهم خاصية تتميز

¹ -Geoges Balondier, **Opcit**, p227.

² -Geoges Balondier, **Ibid**, p204.

³ -الساعاتي حسن، علم الاجتماع القانوني، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1668، ص51.

بها التقاليد هي أنها متوارثة، كما أنها مقصودة لأنها عملية نقل من السلف إلى الخلف تكون بطريقة متعمدة ومقصودة بواسطة عملية التنشئة الاجتماعية، ويتقبل الخلف هذه العادات ويحرصون على القيام بها وهذا يدل على مدى تقبلهم الواعي لهذه العادات.

هذا التقبل الذي يكون بإرادتهم دون الإعتراض عليها ويمارسها الخلف وهم يشعرون بأهميتها ومعجبون بها لأنها من مخلفات الأجداد وتبقى التقاليد بذلك ثابتة من الصعب أن تتغير وذلك لأننا نتمسك بها ونحتفظ بها فتستقر في سلوكنا تناولا يتمكن أحد من تبديلها، لذلك تعتبر التقاليد في مفهومها الاجتماعي وديعة أي عادات يتمسك بها الجيل الجديد، عن الجيل القديم على شكل وديعة وعند القيام بها يشعر الفرد بالراحة والإطمئنان لأنهم امتثلوا للسلوك العام، الذي يرتضيه المجتمع فيكتسبون رضى الجماعة التي يعيشون فيها.

ومن خصائص التقاليد أنها عادات إجتماعية، وقواعد سلوكية تنظم الجماعة لأنها تترسخ عن طريق الرمزية¹.

فلا يمكن للجماعة أن تحتفظ بوحدتها، وتمسكها دون أن يكون لها شعائر ورموز تعمل على أن تغرس في نفوس الأفراد ما تحمله من معاني ودلالات وما تنطوي عليه من قوة وما تلعبه من دور في تدعيم التربية الاجتماعية، عن طريق صيانة الآداب العامة الضابطة وإضافة إلى ذلك تتميز التقاليد بخاصية القهر والإلزام² بحيث أنها قوة إلزامية وقهرية ويظهر ذلك في الجزاءات التي تنتظر كل من يخرج عنها أو ينتهكها لذلك تشكل دستوراً يقوم عليه النظام الاجتماعي.

¹-مصلح الصالح، الضبط الاجتماعي، الوراق للنشر وتوزيع، الأردن، 2004، ص205.

²-مصلح الصالح، مرجع سبق ذكره ، ص207.

خلاصة الفصل:

تشكل الثقافة وتراث مصطلحين متلازمين لا يستغني أحدهما عن الآخر وما العادات الاجتماعية وتقاليد لا نتاج عنهما ووليد لهما، يتوارثها الأجيال ويحافظون عليها، وفي الحقيقة ماهي الانعكاس لهويتهم الاجتماعية والثقافية.

لذلك تشكل هذه العادات وتقاليد على مرور الزمن قوة وسلطة المجتمع الغير مدونة وتعتبر عن روح الجماعة ويسعى الأفراد إلى الحفاظ عليها، لأنها تربطهم بماضيهم وبأجدادهم لذلك هي تشكل الأساس الأول.

الفصل الرابع: الثقافة الفرعية

تمهيد

- 1- مفهوم الثقافة الفرعية
- 2 - أهمية الثقافة الفرعية ووظائفها
- 3- وظائف الثقافة الفرعية بالنسبة للفرد
- 4- وظائف الثقافة الفرعية بالنسبة للمجتمع
- 5- خصائص الثقافة الفرعية
- 6- الثقافات الفرعية والجماعات العرقية
- 7- الثقافات الفرعية والجماعات المجتمعية الفرعية
- 8-العوامل والعناصر التي ترتبط بالثقافة الفرعية

خلاصة

تمهيد:

الثقافة هي وليدة البيئة وثمره التفاعل بين الأفراد لبيئاتهم لذلك كان من الطبيعي أن تتعدد تعددا بيئا وتختلف باختلاف البيئات لأن هذه الأخيرة مختلفة اختلافا واضحا وكان من الطبيعي كذلك أن تتعدد تعريفاتها وتختلف، فمنها ما هو بالغ العمومية والاتساع، كتعريفها على أنها طريقة حياة شعب من الشعوب أو هي من نتاج التفاعل الإنساني، وليست كل طريقة من طرق الحياة وليس كل نتاج التفاعل الإنساني ثقافة، لأن الثقافة تقتضي اشتراكا، فثمة طرق وتفاعلات خاصة بل بالغة الخصوصية، ومنها ما هو بالغ الخصوصية كتعريفها على أنها مجموعة من المعتقدات والممارسات المتوارثة اجتماعيا أو هي كل أنواع السلوك التي تنتقل بواسطة الرموز أو هي تنظيم خاص من الرموز فالثقافة لا تقتصر على الموروثات الاجتماعية التي انحدرت من الماضي فحسب و الثقافة كذلك لا تنحصر في تنظيم خاص من الرموز لأنها أوسع من ذلك بكثير، ومن خلال ذلك يقوم الباحث بتوضيح الثقافة الفرعية من خلال توضيح مفهومها، وأهميتها، ووظائفها، وخصائصها، والثقافات الفرعية والجماعات العرقية، وأيضا الجماعات المجتمعية الفرعية، والعناصر التي ترتبط بالثقافة الفرعية.

1- مفهوم الثقافة الفرعية:

ليس هناك مصطلح علمي أثار من الجدل والنقاش ما أثاره مصطلح الثقافة "culture"، وقد استطاع تايلور أن يحسم الجدل لفترة بسيطة عندما حدد أن الثقافة هي كل المركب الذي يشمل على المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وتقاليد، وأي قدرات أخرى أو عادات يكتسبها الفرد باعتباره عضوا في المجتمع، غير أن الجدل قد

ثار مرة أخرى فقد صيغت تعديلات كثيرة، حيث يرى بعضهم أن الثقافة سلوك مكتسب في حين يرى بعضهم الآخر أنها تجريدات للسلوك¹.

ويرى بعض العلماء أن الثقافة تشمل فيما تشمله الأشياء المادية مثل: الآلات والملابس ونحوها بينما يقتصر بعضهم الآخر على الأفكار وأنماط السلوك، بل إن العلماء الذين يعرفون الثقافة بأنها أفكار قد اختلفوا فيما بينهم حول تحديد مكان هذه الأفكار، فمنهم من يرى أن ثقافة مكانها عقول الأفراد ومنهم من يرى أن مركزها عقول علماء الأنثروبولوجيا، ويبرز فريق آخر ليقدر أن الثقافة هي كل الأشياء كالأفعال الخارجية التي يمكن ملاحظتها، ولكن مهما تنوعت هذه التعريفات، فيمكن ردها في النهاية، كما أشار وصفي إلى اتجاهين²:

1 . اتجاه واقعي يرى أن ثقافة هي كل متكامل يتكون من كل أشياء السلوك المكتسب الخاص بمجتمع إنساني معين أو جماعة معينة من البشر.

2 . اتجاه تجريدي يرى أن الثقافة مجموعة أفكار يجردها العالم من ملاحظاته للواقع المحسوس الذي يشمل على السلوك المكتسب الخاص بمجتمع أو جماعة معينة.

وفي الحقيقة أن مفهوم الثقافة يقوم على ضم الاتجاهين معا، بمعنى أنه ينبغي النظر إلى الثقافة على أنها تجريد لأنماط السلوك الواقعية المشتقة من الواقع الحسي المعروف، التي تقوم على إشباع الاحتياجات الإنسانية البيولوجية والاجتماعية المختلفة، واستخدامنا لكلمة تجريد هنا لا يفيد المعنى الصوري لهذه الكلمة ولكنها عبارة عن مقولة تضم أنماط السلوك الواقعي، فهي ليست ابتداعا أو خلقا من خيال أو من عقول ولكنها تعبير عما يمارس في

¹ الربابعة أحمد، أثر العوامل الاجتماعية في الدافع إلى ارتكاب الجريمة، دراسة إستطلاعية من منظور إجتماعي على عينة من المسجونين في لمجتمع الأردني، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، العدد الأول، جامعة الأردن، 1984، ص 18.

² علي تونس فتحي وآخرون، اللغة والتواصل الإجتماعي، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1993، ص 47.

الواقع، واستخدامنا لمفهوم الحاجات إنما يشير إلى إمكانية تفسير السلوك ورده إلى أصوله الحسية التي تقوم أساساً على إشباع الحاجات الإنسانية البيولوجية الاجتماعية.

و تضم الثقافة مجموع العقائد والقيم التي يقبلها، ويمثل لها أفراد المجتمع، ذلك أن الثقافة هي قوة وسلطة موجهة لسلوك المجتمع، تحدد لأفراده تصوراتهم عن أنفسهم والعالم من حولهم وتحدد لهم ما يحبون ويكرهون ويرغبون فيه ويرغبون عنه كنوع الطعام الذي يأكلون، ونوع الملابس التي يرتدون، والطريقة التي يتكلمون بها، والألعاب الرياضية التي يمارسونها والأبطال التي¹ يريخون الذين خلدوا في ضمائرهم، والرموز التي يتخذونها للإفصاح عن مكونات أنفسهم ونحو ذلك¹.

ومن خلال التعريف السابق، يمكن توضيح ما يلي:

1 . ذات نمو تراكمي على المدى الطويل: بمعنى أن الثقافة ليست علوماً أو معارف جاهزة يمكن للمجتمع أن يحصل عليها ويستوعبها في زمن قصير، وإنما تتراكم عبر مراحل طويلة من الزمن.

2 . تنتقل من جيل إلى جيل عبر التنشئة الاجتماعية: فنقطة المجتمع تنتقل إلى أفراد الجدد عبر التنشئة الاجتماعية، حيث يكتسب الأطفال خلال مراحل نموهم الذوق العام للمجتمع.

3 . ذات طبيعة جماعية: أي أنها ليست صفة خاصة للفرد، وإنما للجماعة، حيث يشترك فيها الفرد مع بقية أفراد مجتمعه، وتمثل الرابطة التي تربط جميع أفراد.

وهكذا تميز ثقافة شعب ما نمط حياته عن أنماط الشعوب الأخرى، ولكنها لا تعزله ولا تقوده بالضرورة إلى حالة خصام مع الثقافات الأخرى. وقد يوجد داخل كل ثقافة من

¹ . الجوهري محمد، الثقافة العربية والحضارة الإسلامية، دار المأمون، الخرطوم، د.ت، ص 31 . 32.

يدعوا إلى العزلة والانقطاع عن الآخرين، أو أسوء من ذلك إلى التعالي وتقويم الذات واحتقار الآخرين، وقد يصل هذا إلى مرحلة العداء، للآخرين وتشكيل خطر على وجودهم، ولذلك لا بد للحوار حتى يخفف من حدة هذا العداء ويجعل أصحاب الثقافات يتعايشون ويفهم كل منهم الآخر.

وهي أيضا مجموعة من الممارسات تشتمل على أشياء وأحداث ووقائع وسلوك تحمل جميعا أبعادا رمزية أي ضربا من ضروب التجريد دون أن يبعدها هذا التجريد أو الترميز . بمعنى كونها رموزا عن أن تكون واقعية وحقيقية. وهذا المعنى قد يكون فيه بعض الحيادية أو التجني على بديهيات الثقافة وشخصها الكثير من الماديات، بما هو ظاهر بمعنى من المعاني.

ويعرف الخالدي الثقافة على أنها ((طائفة من القيم والقواعد والمثل الأخلاقية والأنماط السلوكية التي تعبر عن أسلوب حياة جماعة من الناس في زمان ومكان معين)).

ويعرفها (Miller) على أنها النمو التراكمي للتقنيات والعادات والمعتقدات لشعب من الشعوب يعيش في حالة اتصال مستمر بين أفرادها، وينتقل هذا النمو التراكمي إلى الجيل الناشئ عن طريق الآباء عبر العمليات التربوية.

وأشار (Gelder) إلى أنها جهاز فعال ينتقل بالإنسان إلى وضع أفضل، وضع يواكب المشكلات والطروح خاصة التي تواجه الإنسان في هذا المجتمع أو ذاك في بيئته وفي سياق تلبية احتياجاته الأساسية.

ويرى (Cohen) أنها الجهد المبذول لتقديم مجموعة متماسكة من الإجابات عن المآزق المحيرة التي تواجه المجتمعات البشرية في مجرى حياتها، أي هي المواجهة المتكررة مع

تلك القضايا الجذرية والأساسية التي تتم الإجابة عنها عبر مجموعة من الرموز ، فتشكل بذلك مركبا كليا متكامل المعني متماسك الوجود)).

وأشار كانت (Cante) إلى أن الثقافة تعبر عن التراث الاجتماعي الذي يشتمل على العناصر المادية الموروثة والسلع والعمليات التقنية والأفكار والعادات الفردية والقيم، والثقافة تصبغ على الإنسان امتدادا لجهازه العضوي، فهي تولد من خلال إشباع الحاجات البيولوجية ، فتظهر الثقافة على هذا الأساس على أنها دافع كبير وعريض من الوسائل، فهي من هذه الناحية مجموعة أدوات العمل والسلع ومواثيق التنظيم الاجتماعي والأفكار والعادات والمعتقدات والقيم، وجميعها تتيح للإنسان إشباع احتياجاته البيولوجية من خلال التعاون، إذن فالثقافة في جوهرها عبارة عن مجموعة الوسائل التي يصبح الإنسان بفضلها في موقف أفضل لمجابهة المشكلات القائمة التي يقابلها، أو يواجهها في بيئته الاجتماعية والطبيعية في أثناء محاولاته إشباع احتياجاته ، فهي على هذا الأساس وسيلة إشباع الحاجات البشرية الأساسية.

ومن مسلمات أي نظرية علمية للثقافة أن كل ثقافة يجب أن تشبع الاحتياجات البيولوجية للإنسان مثل التغذية والتناسل والحماية من قسوة الظروف المناخية ومن الحيوانات المفترسة، كما أن الإنجاز الثقافي ما هو إلا تدعيم آلي وتلقائي للفسولوجية البشرية لأنه مرتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بإشباع الاحتياجات البيولوجية.

ويتضح من خلال ما تقدم، أن تحليل الثقافة على أنها إشباع احتياجات ضرورية، إنما يريد أن يوضح أنها هي ذاتها الظروف التي يجب أن يعيها المجتمع إذا كان يريد البقاء، ويدعم ذاته بفكرته عن أن التنظيم الاقتصادي والقانوني وتربية والفن هي حاجات ضرورية من أجل بقاء الإنسان، ويجب أن ينظر إليها كضرورات موحدة، فكم الأنشطة والاتجاهات

التي تمارسها الجماعات الإنسانية، إنما هي وسائل إلى غايات، وهذه العناصر تعمل بصورة الاعتماد المتبادل.

ثم إن هذه النشطة والاتجاهات منظمة في وسائل حيوية ومهمة على شكل نظم، كالمجتمع المحلي والقبيلة والنظام السياسي والاقتصادي والقانوني وتربوي.

ومن جهة نظر ديناميكية، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار نمط النشاط، فإن الثقافة يمكن أن تحلل إلى عدد من الاتجاهات التربوية والضبط الاجتماعي والاقتصادي والمعرفة والمعتقدات والأخلاق وأساليب الإبداع الفني، فالجماعات الإنسانية تعمل دائماً باستمرار بصورة منتظمة، وهذا التنظيم الذي يتخذ شكل النظم الاجتماعية إنما هو من خلق البشر ومن صنعهم، فهي أحد مكونات الثقافة، فالجماعات المنظمة هي أحد أبعاد ثلاثية للعملية الثقافية، ولا يمكن عزل واحدة منها، بل هي تعمل بصورة متصلة بعضها ببعض.

وطبقاً للتعريفات السابقة ، فإن الثقافة في معناها العام تشير إلى أساليب الحياة التي تنتشر في كافة المجتمعات الإنسانية ، خلال فترة زمنية محددة، مع الأخذ في الاعتبار ألا نخلط بين الثقافة كمفهوم تجريدي، وبين الأنشطة والأفعال الفردية المادية، التي جاءت في صورتها المصنعة، نتيجة لأنماط معينة من السلوك الإنساني، فالإنسان يحقق توافقاً جمعياً من خلال الثقافة مع بيئته المحيطة والظروف التاريخية، لأمر الذي يجعلنا نفهم الثقافة على أنها استجابات توافقية لمثل هذه الظروف ، التي يعمل الإنسان من خلالها على تطوير الثقافة ، حتى لا تحد أو تعوق من حركته وممارسته السلوكية.

وقد ظهر مفهوم الثقافة الفرعية لأول مرة في مجال العلوم الاجتماعية، خلال البحث الذي أجراه فريدريك تراتشر (Frederic Trasher)، حول عصابات مدينة شيكاغو الأمريكية في عام 1927م، حيث يرى تراتشر أن هذه الجماعات الجانحة لها تقاليدها

وقيما من خلال تأثير البيئة التي تنشأ فيها أفراد أو أعضاء تلك العصابات والتي جعلتهم معتزلين بل ومنفصلين عن الوسط الاجتماعي السوي، ثم إتجه علماء الاجتماع بعد ذلك نحو دراسة وتطوير فكرة الثقافة الفرعية، حيث ظهرت في عام 1909 م، لدى كل من سيزر لاندولينجشيد (Sutherland Hollingshead)، وذلك من خلال مناقشتها لفكرة أنساق السلوك التي اهتم بتوضيحها سيزرلاند ، وفكرة الأنماط العامة للسلوك بين الجماعات الاجتماعية الخاصة والتي اهتم بتحليلها هولينجشيد¹.

وعلى الرغم من الاستخدام المبكر لاصطلاح الثقافة الفرعية في النظرية الاجتماعية وخصوصا في الاهتمامات والدراسات التي ارتبطت بفهم الجناح الانحراف، إلا أن مفهوم الثقافة الفرعية ظل مبهما وغير واضح، وقد حاول بغض العلماء والباحثين أمثال أرنولد وميلتون (Arnold et Milton) وفي عام 1947م ، أن يضعوا معادلة متساوية فيما يتعلق بمفهوم الثقافة الفرعية واصطلاح المجتمع الفرعي ، وهما ينظران إلى معالجة الظواهر الثقافية على أنها تمثل عنصرا انقساميا مع سكان المجتمع الكلي ، بينهما نجد عالين آخرين وهما الترميلر وألبرت كوهين في عام 1958م، من خلال تحديدهما لاصطلاح الثقافة الفرعية أكدا على أهمية موجهات القيم الأساسية لأعضاء المجتمع الفرعي فيما يتعلق بالمعايير وأنماط السلوك، وهو الاتجاه التفاعلي الذي تبلور بعد ذلك على أيدي العلماء التفاعلية الرمزية، وهم كل من هوارد بكر وبلانش جير ومالكولم سبيكتور وذلك في عام 1973م ، وهو الاتجاه الذي يرى ضرورة الإشارة إلى الثقافة الفرعية ومعالجتها من خلال مستويات القيم الخاصة بأنماط سلوك الجامعات، وخصوصا ما يرتبط منها بالوظائف الكامنة لسلوك أفراد الجماعة الفرعية².

¹-عاطف إسماعيل، مرجع سبق ذكره، ص34.

²-الجوهري محمد الجوهري، مرجع سبق ذكره، ص 126.

ويقصد بالثقافة الفرعية أن هناك جماعة من الناس يشتركون في أنماط متميزة من قيم ومعتقدات ، وتتميز طريقة حياتهم عن الثقافة الكلية التي تسود المجتمع الأكبر في بعض الأنماط السلوكية الخاصة بهم، واستخدام مفهوم الثقافة الفرعية لم يكن بالأمر المستحدث في البحوث الأنثروبولوجية والاجتماعية، حيث استخدام في أغلب الدراسات التي أجريت على جماعات المراهقين تحت مفهوم "الثقافة الفرعية للمراهقين" كجماعة متميزة لها طريقة حياتها وأنماط سلوكها واستجاباتهم التي تختص بها دون غيرها من الجماعات الأخرى ، كما أن هناك دراسات أجريت حول الثقافة الفرعية للضواحي الحضرية والثقافة الفرعية للجماعات الفقيرة وغيرها.

ولهذا فإن الثقافة الفرعية هي نمط من المعيشة يختلف عن الثقافة الكلية، أو بمعنى آخر هي نمط من السلوك تتميز به الجماعات الخاصة التي تعيش داخل المجتمع الأكبر، وقد يختلف سلوك أفراد تلك الجماعات عن سلوك أفراد المجتمع الكلي، ولكن في نفس الوقت تضمن ثقافتهم الفرعية عن عناصر تشترك فيها مع الثقافة الكلية، كما تحتفظ لنفسها بعناصر أخرى تميزها عن غيرها من الثقافات¹. وأشار Cohen إلى أن الثقافة الفرعية ((هي مجموعة من الخصائص الثقافية والأنماط السلوكية التي تتميز بها جماعة معينة أو مجتمع فرعي معين، ولكنها لا تتعارض في أدائها وتحقيق أهدافها مع الثقافة الكلية للمجتمع الأكبر وأنها تضيف على أعضائها سمات ثقافية وخصائص محددة لا يتميز بها سوى الأعضاء في تلك الثقافة الفرعية)).

¹ عاطف إسماعيل: مرجع سبق ذكره، ص 27.

وأشار لخالدي: إلى أن مفهوم الثقافة الفرعية يشير إلى ((الخصوصيات الثقافية التي تتميز بعضها من الأقوام والفئات الاجتماعية الأقليات التي تعيش في إطار ثقافة عامة مهيمنة في مجتمع مانحو الثقافات الفرعية والمحلية التي نشأت في إطار المجتمع العربي الكبير)). ويرى الضحيان أن الثقافة الفرعية تعرف على أنها ((تعبير ينطبق على السمات المميزة للتجمعات التخصصية أو تجمعات الأقلية الواقعة في نطاق القالب الثقافي الرئيسي مع ما يعنيه ذلك من أن الفوارق والسمات الفردية هي نسبيا غير ذات الأهمية مقارنة بجوانب التشابه)).

ويتميز مفهوم الثقافة الفرعية بمعنيين مختلفين، ومهما على نحو التالي:

المعنى الأول:

قد يقصد بالثقافة الفرعية وجود فئات أو جماعات قائمة على أسس قومية، دينية أو ثقافية داخل مجتمع معين، وتمتاز بخصائص محددة داخل المجتمع الأكبر الذي توجد فيه، وهذه الفئات أو الجماعات على هذا الأساس تمثل ثقافة فرعية كجزء من ثقافة المجتمع الأكبر الذي توجد فيه.

المعنى الثاني:

يقصد الأغلبية السلوكية والمعايير ونظام القيم وكل ما يميز حياة المهاجرين أو الوافدين الذين قدموا إلى المجتمع يمتاز بثقافة تختلف في صفاتها وخصائصها الأساسية عن ثقافة المجتمع الذين قدموا منه، وهذا المعنى ينطبق إلى حد كبير على المهاجرين أو الوافدين الأجانب والأسويون منهم بوجه الخصوص، الذين قدموا إلى أقطار الخليج يضاف إلى ذلك أن مجتمع المهاجرين الوافدين الأجانب لا يمثل ثقافة فرعية وحدة، بل عدة ثقافات فرعية

يمكن تمييز بعضها عن البعض الآخر كثقافات فرعية متنوعة عن ثقافة المجتمع الذي قدموا إليه.

ويتضح من خلال ما سبق، أنه عند استخدام مفهوم الثقافة الفرعية تبين أن هناك كثير من المشكلات النظرية والمنهجية حول تفسير الأنماط السلوكية التي تختلف عن السلوك العام داخل النسق الاجتماعي، فنجد أن ميلتون يميز بين استخدامين لمفهوم الثقافة الفرعية، فيشير الاستخدام الأول إلى الأنماط المعيارية للجماعات التي تختلف عن المجتمع الأكبر، هذا الاستخدام هو الشائع لمفهوم الثقافة الفرعية، بينما يشير الاستخدام الثاني إلى وجود فكرة الصراع بين الجماعة والمجتمع الأكبر وذلك عنده في مفهوم الثقافة المضادة. والثقافة الفرعية في الاستخدام الأول تتصف بالشمول، لأنها تقوم على أساس علاقات الجماعة مع نسق الثقافي الاجتماعي الرئيسي، بينما الثقافة المضادة يكون الصراع فيها هو العنصر الرئيسي فقط.

ويرى الباحث أن الثقافة الفرعية هي الثقافة الخاصة بالجماعات الاجتماعية (مثل العمالة الأجنبية في المملكة العربية السعودية) والتي تتميز بأنها ثقافة مستقلة ومتغايرة عن الثقافة الكلية للمجتمع ولكنها لا تتعارض معها.

2- أهمية الثقافة الفرعية ووظائفها:

أ. أهمية الثقافة: يمكن توضيح أهمية الثقافة على نحو التالي:

1. تعد الثقافة في شموليتها المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته وهي حسب تعريف المنظمة العربية لتربية والثقافة والعلوم الذي يشير إلى أنها "تشمل على جميع السمات المميزة للأمة من مادية وروحية وفكرية وفنية ووجدانية، وتشمل جميع المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية المستقرة فيها، وطرائق التفكير والإبداع الجمالي والفني والمعرفي

والتقني، وسبل السلوك والتصرف والتعبير، وطرز الحياة، كما تشمل تطلعات الإنسان للمثل العليا ومحاولاته في إعادة النظر في منجزاته، والحث الدائم عن مداولات جديدة لحياته وقيمه ومستقبله، وإبداع كل ما يتفوق به على ذاته، كما تعرف أيضا بأنها ((شبكة من المعاني والرموز والإشارات التي نسجها الإنسان لنفسه لإعطاء الغاية والمعنى لنفسه وجماعته والعالم والكون من حوله)) وهي أيضا ((منظومة متكاملة، تضم النتاج التراكمي لمجمل موجات الإبداع والابتكار التي تتناقلها أجيال الشعب الواحد

وتشمل بذلك كل مجالات الإبداع في الفنون والآداب والعقائد والاقتصاد والعلاقات الإنسانية، وترسم الهوية المادية والروحية للأمة لتحديد خصائصها وقيمتها وصورتها الحضارية، وتطلعاتها المستقبلية ومكانتها بين بقية الأمم انطلاقا من هذه التعاريف وغيرها تكون الثقافة إرثا تاريخيا يحمل معه الطابع الخاص بكل أمة، غير قابل لأي شكل من أشكال العولمة.

2- تؤدي الثقافة دورا كبيرا في حياة الإنسان، في متنفسه الوحيد في كل وقت وحين، خاصة في أوقات الأزمات وشدائد، فالكثير من الأعمال الأدبية والفكرية هي نتاج ظروف وأزمات مر بها أصحابها، ومن ثم أصبحت فيما بعد أعمالا خالدة. كما تعود أهمية الثقافة لفاعليتها في قيم الأفراد ومعتقداتهم الثابتة. وتتمثل هذه الأهمية في القيم والمعتقدات الراسخة التي أثبتت فاعليتها في الماضي، باعتناق الناس لها وتقبلها.

3 وتتمثل أهمية الثقافة في القيم والمعتقدات الراسخة التي أثبتت فاعليتها في الماضي، باعتناق الناس لها وتقبلها والثقافة يمكن أن تفيد الدولة بخلقها لبيئة تساعد على تطوير الأداء وتوفير إدارة التغيير.

4 . أن الثقافة هي أساسيات بناء الشخصية وهي القوة الدافعة لبناء المجتمع ولا بد لأي مخلوق بشري أن يتشبع بها، لكونها عنصرا مهما لصقل المواهب والقابليات الإبداعية في جميع المجالات العلمية والأدبية والفكرية والاجتماعية والفنية. لأن الإنسان يولد فطريا ومتساويا في القابليات الذهنية والعقلية، ولن هناك عوامل عديدة تؤثر في هذا المخلوق البشري، محيطة به تؤثر في تكوينه ونشوءه ومن أهمها البيئة لأنها المكان الذي يمكن للإنسان ومن خلاله التفاعل الاجتماعي أن يتأثر بها وهي العنصر المهم في تكوين شخصيته. وأحيانا قد يكون تأثيرها سلبيا في بناء الشخصية بسبب عوامل الطبعة المحيطة التي تحول دون بلوغ المرء إلى مسعاه.

ب . أهمية الثقافة الفرعية:

إن الثقافة الفرعية مفهوم نسبي ومتحرك، قابل للزيادة ونقصان، أي لمزيد من التشطي والتشميل، والتحول إلى ثقافة مضادة ذات تأثير خطير في النسق العام، ومن خلال ذلك يمكن توضيح أهمية الثقافة الفرعية على النحو التالي:

1 . ترتبط الثقافة الفرعية بالكل الاجتماعي، أي بالثقافة التي تطابق مجتمعا وطنيا عاما تحدد هويته الثقافية، بغض النظر عن خصوصيات بعض الجماعات التي تعجز عن تحقيق ذاتها بمعزل عن الأغلبية وثقافتها المطابقة، وفيما لو وجد هذا المجتمع، أو عرف نفسه جزءا من ثقافة أوسع قادرة على استغراقه من حيث المبدأ، فإننا أمام مجتمع تحول بثقافته الكلية إلى ثقافة فرعية.

2. لكل ثقافة مجموعة قيم ومعايير لممارستها، وهي مجموع القواعد اللازمة والملزمة للجماعة، على صعيد السلوك والتفكير، تتمسك بها الجماعة وتسير على هداها. وتبقي منظومة ثقافية ومعايير منتجة مادامت تحقق الإشباع والرضا الذاتي، لدي الجماعة. أما

إذا فقدت الجماعة إيمانها بقيمها أو بمعاييرها فستدخل حتماً في أزمة تتطلب منها البحث عن وسيلة جديدة لإعادة توازنها لذاتها، باستعارة نموذج ثقافي خارجي من الآخر، أو الانقلاب على الذات وإعادة بناء قيمها الخاص بها، ومازلت المجتمعات الانتقالية كالمجتمعات العربية التي خرجت من التقليد ولم تلج الحداثة، بعد وتحاول جاهدة كسر حلقة التقليد الاستبداد لدخول في الحداثة السياسية والفكرية ومازلت تعاني الازدواجية والانقسام المركب، عمودياً وأفقياً، ويتمثل ذلك بوجود جماعات وأقليات تحمل ثقافات فرعية، ولا تتبنى نظام القيم العام، ولا المعايير الكلية التي تلتزم بها الأغلبية .

3. رغم التباين الظاهري، بين الثقافة الفرعية والثقافة الأم الكلية، نجد أن معظم الهويات الثقافية الفرعية، التي تمثل جماعات وثقافات ثانوية، تلتقي بشكل أو بآخر والثقافة الكلية ضمن قواسم مشتركة. ولا يعني الاختلاف وتمايز إلا رؤية الثقافة الفرعية طبيعة أهدافها، وكيفية ترتيب أولوياتها، جاعلة قيمها الثانوية أساسية، والعكس بالعكس. وتبقى (القوى الاجتماعية) . رغم انكفائها وتكتلها . جزءاً من النسيج العام، مدللة على حسنات التعدد والتنوع الثقافي.

مع اشتداد وتيرة الصراع تلجأ القوى الاجتماعية المتصارعة إلى نموذج صراعي يقودها لمزيد من الاستقطاب والارتداد إلى بناها الأولية ، أي إلى أقصى ما هو طبيعي في العلاقات الإنسانية، نحو الطائفة والعشيرة ، وشيئاً فشيئاً تزداد الهوية اتساعاً بين الثقافة الكلية وثقافة الفرعية، وتتحول الأخيرة إلى ثقافة مضادة رافضة قيم النظام السائد ، وتعمل على هدمه من أساسه وبناء نظام قيم جديد بمعايير مطابقة لمعطياتها الأولية، وبإزاء ممانعة القوى المسيطرة لتغير بالنظر إلى تحجر ثقافتها وممارستها السياسية. تسوغ (الثقافة المضادة) لنفسها الخروج على النظام العام والتمرد عليه، وإعلان اكتفائها أو استقلالها الذاتي، وتكسير عزلتها. وقد تبقى ثقافة مضادة في حدود المعقول خاضعة للقانون الأخلاقي الجماعي،

وتسيطر ثقافتها الكلية عليها وعلى مخرجاتها، ولا تشكل تهديدا إلا عندما تخرج عن طبيعتها العدمية: الرفض من أجل الرفض، وطرح البدائل لكل ما هو سائد، وهنا تكمن أبعادها الاستثنائية والخطيرة في المجتمعات الإنتقالية.

تبقى الثقافة الفرعية ثقافة مكملة لثقافة الأم . الكلية . ولا تعادي الاندماج إلا لتفادي التناهي فيها، وفي لحظة تتراجع فيها الجماعات عن توابثها، تتحول ثقافتها المضادة إلى ثقافة فرعية تختلف عن الثقافة الكلية بالدرجة لا بالنوع. فغالبا ما تزيد الثقافات الفرعية جماعتها هامشية، ولا تحقق مطالبها في عصر يتطلب الإنتاج والإستهلاك والتواصل تجسير الفجوة بين العام والخاص.

ج . وظائف الثقافة الفرعية:

تختلف المجتمعات من حيث الثقافة التي تسودها، أي بمعنى مادامت الثقافة من صنع الإنسان، فمن الطبيعي أنها تختلف من مجتمع إلى آخر، لأن من الواضح ما يفعله الناس، وما يعتقدون وما يعطونه قيمة وغير ذلك، يخلف من مجتمع إلى آخر، وإن ما يعتقدوه فرد معين، وما يفعله وأسلوب الاستجابة المختلفة للمتغيرات في بيئة ما يتوقف على الثقافة التي نشأ في ظلها هذا الفرد، إذ تلعب الثقافة دورا هاما في حياة الفرد والجماعة، وبالتالي لا يمكن وضع تفسيرات وإجراء المناظرات عن سلوك الفرد أو الجماعة، أو حتى مجتمعا كاملا دون الرجوع إلى الثقافة السائدة في المجتمع، ومن خلال ذلك يمكن توضيح وظائف الثقافة كما يلي:

1 . تحديد ثقافة أي مجتمع أسلوب الحياة من ناحية وسائل الإنتاج والتعامل والأنظمة السياسية والاجتماعية أو من ناحية الأفكار والقيم والعادات والتقاليد وآداب السلوك وغير ذلك.

2. تعبر عناصر الثقافة في أي مجتمع عن خلاصة التجارب والخبرات التي عاشها الأفراد في الماضي مشتملة على ما تعرضوا له من أزمات وما حدوده من أهداف وما استخدموه من أساليب وما تمسكوا به من قيم ومعايير وما نظموا من علاقات وبهذا المعنى تعد الثقافة أساسا للوجود الإنساني للفرد والمجتمع الذي ينتمي إليه.

3. توفر الثقافة للفرد الإتجاهات والقيم ما يساعده في تكوين ضميره الذي يتواءم به مع جماعته ويعيش معها.

4. توفر الثقافة للفرد ما يشعره بالانتماء وما يربطه بسائر أفرادها لتمييزهم عن سائر الجماعات الأخرى.

5. إن القيمة الحقيقية لثقافة المحلية في أي مجتمع من المجتمعات تكمن في كونها ترتبط بالحياة اليومية للناس فتضع لهم الضوابط والقيم وتحدد العلاقة فيما بينهم وترسم لهم الرؤية والسلوك الذي يستهدف خير الوطن والأمة، ومتى نجحت الثقافة في القيام بهذه المهمة حق لأهلها الحفاظ عليها والتمسك بها، والثبات في الدفاع عنها، فتقدم الأمة أو تأخرها مرتبط إلى حد كبير بنوع ما فيها من ثقافة.

وتنقسم وظائف الثقافة الفرعية إلى وظائف بالنسبة للفرد، ووظائف بالنسبة للمجتمع، ويمكن توضيح هذه الوظائف على النحو التالي:

3-وظائف الثقافة الفرعية بالنسبة للفرد: يمكن توضيح وظائف الثقافة الفرعية بالنسبة للفرد على النحو التالي:

3-1 . الثقافة الفرعية وسيلة لتأكيد الذات:

تحدد الثقافة الفرعية ذات الإنسان من خلال علاقته بربه، وعلاقته مع بني جنسه، وعلاقته بالطبقة التي تعيش فيها، ذلك من خلال تعايشه فيها وعلاقته بها، في مختلف مجالات الحياة، كما تقوم الثقافة بتحقيق إشباع حاجات الإنسان الضرورية مثل: المأكل والمشرب والملبس، فهي بمثابة عماد للحياة الإنسانية على الأرض

3-2. تشكيل البعد النفسي للفرد:

تشكل الثقافة الفرعية بعدا نفسيا مهما للفرد داخل جماعته، حيث يشعر بالطمأنينة كونه يفهم ويتعامل معهم على أساس الآخر والإنسان مع النظم والقيم التي ارتضتها له جماعته لنفسها.

3-4 . الثقافة الفرعية وتزود الفرد بأنماط السلوك والقيم:

الإنسان أسير ثقافة مجتمعه، فهي تحدد له أنماط السلوك والأهداف المطلوب إتباعها منذ الولادة حتى الوفاة. كما أن الإنسان من خلال ثقافة مجتمعه يتعلم حدود القيم وضوابطها فمن طريق الثقافة يتعلم قيم الحق والخير والجمال بطريقة شعورية أو بطريقة لا شعورية كما يتعلم اللغة التي يتم التفاهم والتفاعل مع أفراد المجتمع من خلالها.

4-وظائف الثقافة الفرعية بالنسبة للمجتمع :

تتألف الثقافة الفرعية من أنماط مستترة وظاهرة للسلوك المكتسب تظهر في المجتمع عن طريق الرموز التي يتداولها أعضاء هذا المجتمع فضلا عن الإنجازات المتميزة للجماعات الإنسانية بشكل عام. وعلى هذا الأساس وجد الباحثون الاجتماعيون أن هناك وظائف اجتماعية تؤديها الثقافة الفرعية في المجتمع، يمكن إجمالها فيما يلي:

4-1 . تماسك البناء الاجتماعي :

من وظائف الثقافة الفرعية في المجتمع إيجاد شبكة واسعة جدا من العلاقات الاجتماعية التي تزود المجتمع بقوة الضبط الاجتماعي، عن طريق تنظيم العشيرة أو الأسرة أو النظم الاجتماعية الأخرى التي من شأنها أن تؤدي إلى إيجاد وسيلة لارتباط المجتمع بصورة موحدة متماسكة.

والواقع أن تحقيق التماسك في المجتمع يساعد على الحفاظ على وجوده واستمراره. وهكذا تعمل الثقافة الفرعية على تماسك البناء الاجتماعي داخل المجتمع حيث يعرف كل شخص موقعه داخل جماعته، ومن ثم يؤدي أدواره الاجتماعية المطلوبة منه دون أن يتصادم مع غيره من الأفراد داخل المجتمع، الأمر الذي يؤدي إلى تماسك المجتمع وإزالة عناصر الصراع فيه.

4-2 . تمييز المجتمعات على بعضها :

تعمل الثقافة الفرعية على تمييز المجتمعات البشرية عن بعضها وتوضح السمات العامة التي يتصف بها أفراد كل مجتمع عن الآخر، كما أن الثقافة الفرعية تحدد الهوية الخاصة في المجتمع.

وهي وسيلة تأكيد الذات الاجتماعية والتمايز عن المجتمعات الأخرى، فهي تقرب الفرد من مجتمعه من خلال سماته الخاصة وتكشف عن تباين باقي البشر عنه وتقرده الإنساني عنهم.

4-3- إيجاد سبل التفاعل الاجتماعي :

الثقافة الفرعية قوام الحياة الاجتماعية، وظيفة وحركة فليس من عمل اجتماعي أو حتى جمالي أو فكري يتم خارج دائرتها، وهي بالتالي تيسر للإنسان التفاعل مع محيطه، كما تعمل على إيجاد اهتمامات مشتركة بين أفراد المجتمع الواحد وتوحيد الأهداف المشتركة، ومن ثم العمل على تحقيق هذه الأهداف التي من شأنها ربط أفراد المجتمع ببعضهم ببعض.

5- خصائص الثقافة الفرعية : هناك العديد من الخصائص المختلفة للثقافة الفرعية، يمكن توضيح هذه الخصائص على النحو التالي :

5-1. الثقافة الفرعية مكتسبة :

الثقافة اكتساب إنساني عن طريق مفهوم التنشئة الثقافية، حيث أن الشخص يحصل على الثقافة باعتباره فرد في المجتمع، فالحياة الاجتماعية تصبح صعبة ومستحيلة من غير العلاقات والتبادل والتفاهم والممارسات المتبادلة التي يشارك فيها الأفراد والمجتمع جميعاً.¹

ويكتسب الإنسان الفرعية من مجتمعه عبر التعلم والمحاكاة، سواء من تراثه السابق أو من خبراته الخاصة أو من احتكاكه بالآخرين في مجتمعه أو المجتمعات الأخرى. وقد تكونت الثقافة على مدار تاريخ المجتمع، وشارك فيها أفراد المجتمع ككل، أو على الأقل في جانب منها معين، وهي تنتقل بين المجتمعات والأجيال، وكل مجتمع وجيل يضيف إلى ما اكتسبه، وبهذا تتكون الثقافة من مجموع هذه الإضافات. على أن تبقى الأسس الثابتة للثقافة بلا تغيير، وإلا انهارت الثقافة. ويتم هذا الاتصال بين الأجيال المختلفة عن طرق التنشئة الاجتماعية تلك التي بموجبها تنقل الثقافة من جيل لآخر.

¹ . زكريا محمد فؤاد ومصطفى شاکر الثقافة العربية ولإعتماد على الذات، دار الشباب، قبرص، 2003، ص 41، 42.

5-2 . الثقافة الفرعية إنسانية :

أي أن الثقافة تختص بالعنصر البشري دون غيره من المخلوقات، إذ إن الإنسان هو الذي له تاريخ يتذكره، ويتعظ بأحداثه وله خبرات يستفيد منها ويعلمها أبناءه، وذلك من أجل تلبية حاجاته المختلفة. وذلك أن الإنسان يمتلك أدوات تجعله يستفيد من الثقافة، لعلها هذه الأدوات التي وهبها الله له من الجهاز العصبي والقدرات العقلية التي يتفوق ويتميز بها عن الحيوان هذه.

5-3 . الثقافة الفرعية اجتماعية :

من الخصائص المهمة لثقافة أنها شاملة لكل أفراد المجتمع وطوائفه بغض النظر عن اشتغال البعض بالأعمال المنتجة لثقافة من آداب وفنون، بينما البعض الآخر مستفيدون مما ينتجه غيرهم، فهي تشمل المبدعين من أي منبع أو نشاط كانوا، كما تشمل المستفيدين من الثقافة على حد سواء، فالثقافة على ضوء ما سبق فكر جماعي، وقيم روحية وعقائد كما أنها علاقة للإنسان بمحيطه وبموطنه الطبيعي، وبإبداعاته المادية والجمالية وبذاكرته الجماعية فلا وجود لثقافة دون مجتمع ولا وجود للمجتمع دون ثقافة. كما أن المجتمع وثقافة الفرعية ظاهرتان متمسكتان أشد التماسك فالثقافة الفرعية تنشأ عن الحياة الاجتماعية البشرية حيث تشمل جميع نواحي التراث الاجتماعي أو كل ما يميز الحياة الاجتماعية عند الإنسان عن باقي الحيوانات الاجتماعية الأخرى.¹ واجتماعية الثقافية تعني أن الأفراد الذين يعيشون في جماعات أو مجتمعات منظمة يشتركون في ثقافة واحدة حيث تجعلهم يتوافقون في أداء الأفعال بطريقة نفسها تقريبا فهم متشابهون بالنسبة للغرباء عن جماعتهم. وثقافة وبنائها وعملها ضرورة لكل حياة اجتماعية، ولهذا تتخلل الثقافة نسيج النظام الاجتماعي، حيث إن

¹ . الساعاتي سامية حسن، الثقافة والشخصية دار النهضة العربية، بيروت، 2003، ص74.

لها عدة وظائف تقوم بها بالنسبة لحياة الجماعة وحياة الفرد على حد سواء. وأهم هذه الوظائف هي:

. أنها وسيلة للتماسك الاجتماعي.

. أنها توفر للفرد وسائل لإشباع حاجاته الاجتماعية.

. أنها تقدم للجماعة الوسائل التي تهئ لهم التفاعل داخل المجتمع مما إلى الوحدة بين أفراد المجتمع.

. أنها تعلم الإنسان كيف يدرك الأشياء ويفهمها.

. إنها بمثابة ضابط اجتماعي يسير سلوكهم بطرق معينة.

4-5. الثقافة الفرعية متنوعة :

تتكون الثقافة الفرعية من مجموعة متداخلة من الأعمال والأفكار فهي نسيج متداخل يصعب عزل أجزائه ومكوناته، وتشتمل الثقافة الفرعية على عدد كبير من السمات والمركبات والنظم والأنساق والأنماط الثقافية فهي عبارة عن تراكم التراث الثقافي واستمراره عبر أزمان طويلة، كما أن بعض هذه العناصر قد أخذت من مجتمعات خارج المجتمع الأم.

5-5. الثقافة الفرعية قابلة للإنتشار:

فالانتشار هو انتقال عناصر ثقافية داخل الثقافة نفسها من جزء إلى أجزاء أخرى، لتشمل كل الثقافة وانتقال هذه العناصر الثقافية من ثقافة مجتمع إلى ثقافة مجتمع آخر، والثقافة الفرعية تنتشر عبر عدة طرق أهمها التعليم الذي يقوم بدور مهم في عملية نقل الثقافة، كما أن الاتصال بجميع أشكاله وعلى رأسها وسائل الإعلام المعاصرة وتقنياته الحديثة، يساهم مساهمة فعالة في انتشار الثقافة بين المجتمعات. ويكون انتشار الثقافة

سريعا وفعالا حين تبدو أهمية العناصر الثقافية المنقولة إذ يتوقف قبولها في المجتمع على ما تتميز به من فوائد له وحين تكون قادرة على حل مشكلات معينة داخل المجتمع الناقل لهذه العناصر. وهناك مظهران من الانتشار الثقافي: أحدهما أحادي الاتجاه والآخر ثنائي أو متعدد الاتجاهات.

والمظهر الأول يعد شكلا من أشكال السيطرة الثقافية أو الاستعمار الثقافي، لأنه ينقل ثقافة مجتمع ما إلى مجتمع آخر دون أن يفعل العكس. ومن صورته الحديثة الاستعمار الالكتروني الذي فرضه التقدم التقني المذهل في مجال الاتصال، حيث وجدت كثير من المجتمعات نفسها منقادة إلى استقبال موارد اتصالية ضخمة "وقد أدى هذا الاستيراد إلى ظهور قيم وعادات وثقافات وتوقعات جديدة، تتعارض بدرجة كبيرة مع قيم الثقافات المحلية وعاداتها وفي المقابل لم تؤد هذه التقنية إلى انتشار معاكس لثقافات ما يسمى دول الهامش باتجاه دول الوسط.¹

وينتقل كثير من عناصر الثقافة في المجتمع ماديا واقتصاديا إلى المجتمع الأضعف، ومن المستعمر إلى المستعمر، إما بسبب رغبة فئات من المجتمع الضعيف، الذي يميل بطبعه إلى تقيد المجتمع الأقوى، أو بجهد من المستعمر أو بهما معا. وقد حاول المستعمر الأوروبي أن يزرع قيمه وأخلاقياته ومعتقداته وسلوكياته ومؤسساته وأنظمته ويجعل نمطه المجتمعي والمعيشي في المجتمعات الأخرى.

وقد تؤدي هذه العملية إذا استمرت زمنا طويلا واستسلم لها المجتمع الضعيف إلى طمس هوية هذا المجتمع واختفاء شخصية الحضارية والثقافية وذوبانه ثقافيا في المجتمع الأقوى. ولهذا كان واجبا على المجتمع المسلم أن يعرض ما يأخذه من الثقافات الأخرى

¹ . العمير كرم ضياء الدين، الإسلام والوعي الحضاري، جدة، 1999، ص 62.

على ثوابته الشرعية، فإن لم يخالفها كان هذا النقل ممكناً، أما إذا كان مخالفاً لها فإن هذا العنصر يجب أن يرفض من قبل هذا المجتمع مهما بدا حسناً ومفيداً على المدى القصير، لأنه حتماً سيكون قبيحاً وضاراً على المدى البعيد. وإذا كان المجتمع مدركاً للأبعاد الاستعمارية، حريصاً على محافظته على هويته المدنية استطاع أن يجعل علاقته بالثقافات الأخرى علاقة تآقف لا علاقة استعمار. والتآقف هو المظهر الثاني من مظاهر الانتشار الثقافي، ويعني أن هناك انتشاراً متبادلاً متوازناً للثقافة بين المجتمعات المتعددة. وهو تبادل انتقائي واع لا تفرضه وسائل الإعلام الجماهيرية، بل ينتقيه قادة الرأي من العلماء والمفكرين.

6- الثقافات الفرعية والجماعات العرقية :

من خلال ارتباط الثقافات الفرعية ببعض الجماعات الخاصة، يرى "فردريك بارث" Barth"Frederick « أنه يمكن تحديد اصطلاحاً الثقافات الفرعية من خلال الجماعات العرقية، حيث تعتبر الجماعات العرقية مجالا هاما للبحث يشغل بال الكثير من الباحثين والعلماء الأنثروبولوجيين، والجماعة العرقية هي جماعة من السكان يمكن تحديدها في ضوء الخصائص التالية:¹

1. تتحدد الجماعات العرقية بأنها ذات وضع سلالي خاص يميزها عن غيرها من الجماعات الأخرى.

2. تتحدد الجماعة العرقية من خلال اشتراكها في محتوى ومضمون النماذج الثقافية التي تحدد وحدة الجماعة من خلال نظرتها الإدراكية لهذا المحتوى الثقافي المتميز.

¹ - إبراهيم محمد عباس: مرجع سبق ذكره، ص 129-130.

3. أن يكون لتلك الجماعة العرقية بناء خاص من وسائل الاتصال والتفاعل الداخلي بين الأعضاء.

4. يتميز أفراد تلك الجماعة بشخصيات ذاتية مستقلة من خلال عضويتهم وانتمائهم لها، كما يتميزون في نفس الوقت بعضويتهم لبعض الجماعات والمنظمات الأخرى داخل المجتمع الكبير.

ولهذا نجد أن النموذج المثالي الذي وضعه بارث لتحديد الجماعة العرقية 'نما يشير إلى المحددات التقليدية فيما يتعلق بالجماعات الخاصة أو ذات الاتجاهات أو الاهتمامات المتميزة، وهذه المحددات تتمثل في نواحي معينة مثل السلالة والثقافة واللغة ثم المجتمع. كما يرى أن هناك بعض المحددات الأخرى التي يخضع لها النمط التنظيمي لأعضاء تلك الجماعات، ومن هذه المحددات أيضا الايكولوجية الثقافية ودرجة التباين الطبقي، وذاتية الإثنية المستقلة، ومدى شدة الروابط الاجتماعية التي تدعم مستوى القيم الثقافية الخاصة بتلك الجماعات.¹

ومن خلال تلك المحددات، يمكن لنا أن نشير إلى وضع الجماعة العرقية وعما إذا كانت تتميز بثقافة فرعية تميزها عن غيرها أم لا، وذلك في ضوء بناء النسق الاجتماعي والثقافي الفرعي لها، يرى بارث أيضا أن الجماعة العرقية غالبا ما تتميز بالإقامة المحلية، بالإضافة إلى السمات الثقافية الخاصة بها، ولهذا فهي غالبا ما تشير إلى منطقة ثقافية تقليدية، وأن اهتمامات الانثروبولوجية المتزايد بدراسة الجماعات العرقية وثقافتها المتميزة يأتي من خلال العلاقات الديناميكية لتلك الجماعات، والتي تحدد بوجه خاص في دراسة

¹. شتا السيد علي، مرجع سبق ذكره، ص 140.

عمليات التغير والاكْتساب الثقافي، وذلك من خلال الاتصال والاحتكاك المستمر بين ثقافة الجماعة العرقية وبين الثقافة الكلية للمجتمع الأكبر.

7-الثقافات الفرعية والجماعات المجتمعية الفرعية:

يرى كل من فاين (Fine) وكليمان (Klenman)، أن هناك بعض القضايا التي يجب أن تأخذ في الاعتبار على المستويين المنهجي والتطبيقي عند مناقشة اصطلاح الثقافات الفرعية وارتباط هذا المفهوم بدراسة الجماعات المجتمعية الفرعية، ويمكن توضيح هذه القضايا على النحو التالي:¹

- 1 . ضرورة مراعاة عدم الخلط بين الثقافة الفرعية والمجتمع الفرعي.
 - 2 . الأخذ في الاعتبار النقص الواضح في حجم المعلومات التي تشير إلى تحديد معنى موحد ومتطابق لثقافات الفرعية.
 - 3 . الانتباه إلى ضرورة التمييز بين فكرة مشاركة الأعضاء أو مجرد الانتساب الاجتماعي التي تحيط بهذا الاصطلاح.
 - 4 . التأكد على أن فكرة الثقافات الفرعية المحددة يمكن توضيحها من خلال مصطلحات القيم والمعايير وقواعد السلوك المحورية لمن يشاركون فيها أو ينتمون إليها.
- وعلى هذا الأساس فإنه من المفيد تتبع دراسة الثقافات الفرعية في ضوء الكشف عن عمليات التفاعل المرتبطة بالاحتياجات أو المطالب أو الأهداف الخاصة، والتي تسعى الجماعات إلى تحقيقها من خلال عمليات التفاعل الداخلية فيما بينها، كما يجب النظر والاهتمام بالخصائص الداخلية التي تتميز بها تلك الجماعات، والتي تمدنا بالفهم فيما يتعلق

¹ . إبراهيم محمد عباس، مرجع سبق ذكره، ص 131. 132.

بشبكة العلاقات الاجتماعية إلى تميزها، وأيضاً عضوية الجماعة، والروابط الاجتماعية وثقافية، والأدوار البنائية التي تعمل على نشر المعلومات بين الأعضاء مع وجود وسائل الاتصال الخاصة بها، ولهذا تتميز تلك الجماعة المرجعية بتوفير الأمن ورعاية لأعضائها كما قد يسود بينها نظام خاص يتصل بالخصائص الفنية والممارسات السلوكية والمعيارية واتجاهات القيم الخاصة بتلك الثقافة الفرعية.

وعلى المستوى التطبيقي، يمكن أن نعرض من خلال الثقافات الفرعية للشباب بعض التحليلات المرتبطة بهذه العمليات التفاعلية، حيث أنه من المعروف أن المجتمعات الغربية المعاصرة لا تسودها فكرة التجانس، وقد تكون المجتمعات متجانسة من خلال النظر إلى الطبقة والأساس العرقي، والسلالة والدين كما أن بعض المجتمعات قد قسمت إلى أقاليم، وإلى فرق أو جماعات عمرية، بالإضافة إلى الجماعات السياسية والأيدولوجية، ولا شك أن مثل هذه التقسيمات إنما تتوازي الآن مع التقسيمات والمجتمعات المعرفية والعملية الخاصة بمعرفة وتفسير عناصر المجتمع واتجاهاته.

ويرى "فاين وكليمان" أنه لا يمكن القول إن الثقافة بصفة عامة يمكن أن تسير على اتساق متكامل من خلال تفسيران النسق الاجتماعي الكلي، وخصوصاً في المجتمعات التي تعتمد على تقسيم العمل المكثف أو الدقيق، ومن هنا يزداد وصف المجتمع الآن بأنه يتكون من جماعات مجتمعية فرعية، وهي التي من خلالها يجب النظر إلى تحديد وصياغة مفهوم الثقافة الفرعية وتحليله.¹

وفي ضوء ذلك، فإن هناك بعض القضايا التصويرية المعاصرة التي تتصل بمناقشة إصلاح الثقافة الفرعية في ضوء الاستعانة بالإطار التفاعلي لمكونات الثقافة، وقد جرى

¹. إبراهيم محمد عباس، مرجع سبق ذكره، ص 133.

العرف فيما يختص بالتحليلات الاجتماعية لاصطلاح الثقافة الفرعية أن يعالج الاصطلاح كبناء أو حدث مستقل، لأنه من السهل في ذلك إمكانية التعرف والوصف للثقافة الفرعية على أنها ذات متضمنات خاصة، ومما ساعد علماء النظرية على ذلك وجود المحددات أو الفواصل الانقسامية بين السكان في المجتمع الكبير، وهم يسندون في تحليلاتهم إلى بعض القضايا التصورية المرتبطة بخصائص وسمات الثقافة الفرعية لديهم على النحو التالي:

1. إن الثقافة الفرعية تعالج باستمرار على أنها مرادف للمكونات السكانية للمجتمع الفرعي.
2. جرت العادة عند بعض الباحثين على أن تفحص الثقافة الفرعية دون الاهتمام بالترابط المتبادل فيما يتعلق بتحديد جماعة الأفراد والتي تكون بمثابة الإطار المرجعي لها.
3. يصور النسق الفرعي على دائما أنه متجانس وثابت ومغلق.
4. توصف الثقافة الفرعية بأنها ذات مكونات متكاملة فيما يتعلق بالفهم والمعايير والاهتمامات المحورية.

كما يرى فاين وكليمان أن الترادف بين الثقافة الفرعية والمجتمع الفرعي جاء نتيجة لعدم الفهم من جانب الباحثين الذين ينظرون إلى أعضاء المجتمع الفرعي، بأنهم يتميزون جغرافيا أو سكانيا عن بقية المجتمع الكبير، ولكنه بغض النظر على تلك التمايزات، فإن الثقافة الفرعية تتميز ببعض القيم والمعايير الداخلية التي تحدد مستوى قبول الأعضاء في تلك الثقافة، وهذا الجانب الرمزي هو بمثابة الإطار المرجعي لتلك الثقافة الفرعية.¹

¹. إبراهيم محمد عباس، مرجع سبق ذكره، ص 134.

8- العوامل والعناصر التي ترتبط بالثقافة الفرعية :

أ . العوامل التي ترتبط بالثقافة الفرعية:

يتضح من خلال ما تقدم، أن هناك مجموعة من العوامل التي تتصل بالثقافة الفرعية، ويمكن تحديد هذه العوامل على النحو التالي:

- 1 . عوامل متنوعة: الدخل والمهنة وتعليم وعادات الكلام (الحديث واللهجة والكلمات) ونوع المسكن وعادات إنفاق النقود.
- 2 . عادات المعيشة: الملابس والطعام والعادات الجسمية ووسائل المحافظة على الصحة والاتجاهات نحو الزواج والجنس وطرق تربية الأطفال وأنماط الحياة العائلية.
- 3 . طرق قضاء أوقات الفراغ: القراءة (وتتضمن الصحف) وبرامج الإذاعية المفضلة والألعاب الرياضية التي تمارس أو تشاهد ووسائل التعبير الفني وطرق قضاء أيام العطلة.
- 4 . مجموعة الاعتقادات والقيم: الاتجاهات والمستويات الخلقية والاعتقاد الديني والآراء السياسية والآمال الاجتماعية وأهداف الحياة.

ب . العناصر التي ترتبط بالثقافة الفرعية:

يمكن توضيح العناصر المختلفة التي تربط بالثقافة الفرعية على النحو التالي:

- 1 . تتكون لدى كل جماعة إنسانية تعيش معا حياة مستقرة، مجموعة متكاملة من العادات والتقاليد والأعراف والفنون وغيرها مما يطلق عليها ثقافة.
- 2 . يصبح ذلك الكل الثقافي موجها أساسيا لسلوكيات أفرادها يحدد لهم أهدافهم المشتركة والوسائل المقبولة لتحقيق تلك الأهداف.

3 . مع امتداد هذه الجماعة واتساع نطاقها أو حدوث خلل في بنائها نتيجة التأكيد على الأهداف مع غياب التوزيع العادل لفرص تحقيقها، تضطر بعض الفئات إلى إعادة صياغة إطار ثقافي محدود يتوافق مع حجم الفرص المتاحة لها، وقد تصيب هذه الفئات أهدافا تكميلية أو حتى مخالفة للأهداف الثقافية العامة، وتسمى هذه الأطر الثقافية الجديدة بالثقافات الفرعية.

4 . ينظر المجتمع العام لهذه الثقافات الفرعية باعتبارها مخالفة أو مناهضة للثقافة العامة وبالتالي تتبلور كثقافة فرعية جانحة.

5 . تحتوي كل ثقافة فرعية على وسائل لغرس وتدعيم وتوجيه السلوكيات الخاصة بأبنائها بشكل يتوافق ويستجيب لهذا الإطار الثقافي المحدد.

6 . تصبح ممارسات الأفراد التي قد ينظر إليها المجتمع عموما باعتبارها ممارسات جانحة أو منحرفة، استجابات طبيعية لثقافتهم الفرعية، وبالتالي لا يمكن فهم أو تفسير أو تعديل هذه الممارسات ما لم يتم فهم الكل الثقافي الفرعي لأصحاب هذه الممارسات.

7 . يتميز البناء الثقافي للعصابات المنحرفة التي درستها ميلر بعدد من الخواص تتمثل في الإزعاج وإثارة المتاعب والخشونة والدهاء والمكر والإثارة والقدرية والإستقلالية.

خلاصة:

يتبين لنا من خلال هذا الفصل بأن الثقافة الفرعية هي النسيج الكلي والمعقد من الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والاتجاهات والقيم، وأنماط السلوك وكل ما يبني عليها من تجديدات حياة جماعة معينة، مما ينشأ في ظل كل عضو من أعضائه وهي باختصار تعني ذلك الجزء من الثقافة الكلية الذي صنعه الفرد بنفسه وهذبه بخبراته وتجاربه، وعاداته وتقاليده وأساليب الاحتفال في المناسبات، وهذه العموميات تعطي الثقافة الفرعية طابعها الخاص الذي يميزها من غيرها من الثقافات وتساعد على تنمية روح الجماعة اللازمة لتماسك المجتمع ووحدته والعمل على تحقيق أهدافه وتختص بها جماعة معينة من أفراد المجتمع دون غيرها من الجماعات.

الفصل الخامس

الزواج وأشكاله

تمهيد

1- مفهوم الزواج

2- أشكاله

3- أنماط الزواج

4- مفهوم الزواج من الناحية الاجتماعية

5- تغير النظرة إلى الزواج

6- الزواج في المجتمع الجزائري

خلاصة

تمهيد:

يعرف نمط الزواج اليوم في الجزائر تغيرات كبيرة خاصة من حيث العادات والتقاليد، وإقامة مراسيم الخطبة والزواج، ولعل عرف "سيدي معمر" كنمط من أنماط الزواج المتداول بمدينة "شرشال" وزواج "بني يزقن" من الأعراف المثيرة للاهتمام، من حيث عاداته وتقاليده وطقوسه وأهدافه النبيلة الرامية إلى تيسير الزواج على الشباب، ومحاربة العنوسة، ففيما يتمثل مفهوم الزواج؟ وما هي شروطه الأساسية هذه الأسئلة التي سيتم الإجابة عليها في هذا الفصل.

الزواج وأشكاله:

1 مفهومه: الزواج هو طريق الارتباط والاشتراك والتمهيد لبناء الحياة الأسرية بين الرجل والمرأة التي اختار كل منهما زميله شريكا له في حياة مشتركة تجمع بينهما، والزواج هو النظام الاجتماعي الذي تبناه المجتمع الإنساني منذ قديم الزمان لتقوم عليه علاقة الرجل بالمرأة، وهو نظام يحميه المجتمع ويرعاه بما يضع له من أسس وأحكام تقرر الحقوق وتحدد المسؤوليات، ويلتزم كل طرف بما هو مطلوب منه ليحصل التفاهم والتعايش بينهما¹.

ويعرف الزواج بوجه عام أنه علاقة جنسية مقررة اجتماعيا بين شخصين مختلفين جنسيا ويتوقع أن يستمر لمدة أطول من الوقت الذي تتطلبه عملية حمل وإنجاب الأطفال، أو هو مؤسسة اجتماعية أو مركب من المعايير الاجتماعية يحدد العلاقة بين رجل وامرأة ويفرض عليها نسقا من الالتزامات والحقوق المتبادلة الضرورية لاستمرار حياة الأسرة وضمان أدائها لوظائفها. ويتخذ الزواج في المجتمعات الإنسانية أشكالا وصورا عديدة، فقد كان أحاديا أو تعدديا أو يكون أمويا أو أبويا، سواء من حيث النسب أو الإقامة، وقد يكون داخليا يلزم الأفراد بالزواج من داخل الجماعة أو خارجيا يلزم الأفراد بالزواج من خارج الجماعة ويحرم الزواج من داخلها.²

2 - أشكاله:

للزواج أشكال وصور مختلفة وجدت في تاريخ البشرية وتطورت بما يناسب ظروف الزمان وأوضاع المجتمعات من البداية والحياة الإنسانية الأولى حيث لم يكن هناك نظام محدود وواضح وإنما الهمجية والفوضى هي التي كانت تحكم جميع الروابط التزاوجية التي

¹ - البري زكريا، الأحكام الأساسية للأسرة الإسلامية. القاهرة، معهد الدراسات الإسلامية بالزمالك، 1981، ص 118.

² - المسلماني مصطفى، الزواج والأسرة، القاهرة: المطبعة الفخرية، 1977 ص 35.

كانت تربط بين جنس وآخر رجل وامرأة،¹ بعد ذلك ظهرت سلطة الدولة والحكم التي بدأت تسود وتحكم العلاقات وتوجهها وتحميها ومن أشكاله نجد:

أ- الزواج الفردي أو الواحد Monogamie:

ويعنى بالزواج الفردي أو الزواج الواحد، ألا يكون للرجل أو المرأة إلا زوجة واحدة أو زوجا واحدا في وقت واحد للفترة التي يعتبر فيها الإنسان متزوجا طال هذا الوقت أو قصر.

ب- الزواج المتعدد Polygamie:

وهو الزواج الذي يقوم على التعدد سواء تعددت الزوجات للرجل الواحد، وقد يكون هذا النظام هو الأكثر شيوعا بالنسبة لبعض المجتمعات، ولقد كان التعدد يمارس في تاريخ الولايات الأمريكية ولكن صدرت بعدها تشريعات تمنع ممارسته. أما بالنسبة للدول الإسلامية والتي تطبق في قوانين الأسرة الإسلامية التي فيها تعدد الزوجات مباحة إذا كان الفرد في حاجة إليها.

ج - الزواج الجماعي:

هو شكل من أشكال الزواج يسمح بأن يتزوج عدد من الرجال عددا من النساء ويكون كل رجل من مجموعة الرجال زوجا لكل النساء، وأن تكون المرأة زوجة لكل الرجال، ويكاد يكون هذا الشكل من الزواج غير موجود حاليا.² إذن فالزواج هو العلاقة المشروعة بين الرجل والمرأة ويتم دائما وفق أوضاع يقرها المجتمع وفي حدود يرسمها ويعينها، ويفرض على الأفراد التزامها، ومن يخرج عليها يكون هدفا للعقاب الذي ينص عليه العرف والقانون،

¹- غيث محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 278-289.

² لمسلماني مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص 38-40.

ويختلف باختلاف المجتمعات، فهو يختلف في أشكالها، كما يختلف في الوسائل التي يتم فيها، وفق الأغراض التي يحققها، وفي الحقوق والواجبات التي تترتب عليه.¹

3- أنماط الزواج: لنظام الزواج في أي مجتمع من المجتمعات ثلاث أنماط والمتمثلة فيما يلي:

3-1- الزواج المرتب أو التقليدي:

عندما يكون الزواج مرتبا يكون عادة الاختيار الزوجي فيه من إختصاص الوالدين أو الأقارب، ولا يعطى للعروس فرصة التدخل في الموضوع وغالبا ما يوجد هذا النوع من الزواج في الأوساط الريفية.

3-2- الزواج الحر أو العصري:

عندما يكون الاختيار الزوجي حرا فإن الاختيار يكون من إختصاص المقبلين على الزواج وغالبا ما يوجد هذا النوع من الزواج في الأوساط الحضرية.

3-3- الزواج المرتب - الحر أو الزواج التقليدي - العصري:

هو الزواج الذي يقع بين هذين الطرفين المتناقضين (المرتب - الحر) بحيث يصبح من الممكن أن يرتب الوالدين الزواج، وفي نفس الوقت يعطيان أبنهما أو أبنتهما حق الاعتراض كما أنه من الممكن أن يختار الشاب أو الشابة شريك حياته على أن يشترك والديه في الرأي والاختيار، ولقد دلت العديد من الدراسات الاجتماعية على ندرة وجود النوع الأول والثاني من الزواج وعلى سيطرة النوع الثالث منه في كافة المجتمعات.²

¹ أدياب فوزية، القيم و العادات الاجتماعية، (مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية) بيروت : دار النهضة العربية للطباعة و النشر، 1980، ص 245.

² - كسال مسعودة مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري. الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، 1986، ص 89-90.

4 . مفهوم الزواج من الناحية الاجتماعية:

الزواج هو إتحاد جنسي بين الرجل والمرأة، وإتحاد يعترف به المجتمع بواسطة إقامة حفل خاص ويتضمن الزواج حقوقا وواجبات لا للشركات اللذين يقدمان عليه وحدهما، ولكن الأبناء الذين ينتجهم هذا الزواج أيضا (....)، وبعبارة أخرى إن الزواج نظام اجتماعي جوهري مقيد بشرائع دينية مختلفة، وتقاليده عرقية تبعا للشعوب والأمم هذا بالإضافة إلى أنه رابطة تربط النفوس لكائنين عاقلين مستعنيين بالصبر والاتفاق ليستطيعا أن ينشأ عائلة صالحة في المجتمع الإنساني¹.

ويعرف على أنه إتحاد ينظمه المجتمع، وقد يشكل وحدة للإنجاب، وبالتالي إتحاد الجماعات التي ينتمي إليها الزوجان، إلا أن العائلة تستخدم الزواج لمصالحها الخاصة، ومن هذا فاختيار الزوجة المناسبة يقع على عاتقها فعليا ومبدئيا². وعرف بأنه تنظيم اجتماعي للعلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة يترتب قبلهما التزامات متبادلة ومسؤوليات اجتماعية³.

إذن ما يمكن استنتاجه من خلال هذه التعاريف أن الزواج ظاهرة اجتماعية معقدة، كل واحد يقوم بعمله، وله حقوق وواجبات يجب الالتزام بها، ويمكن أن نقول أن هناك توافق نسبي فيما يخص هذه التعاريف حول الزواج، وهي أن الزواج تلك العلاقة الاجتماعية المنظمة، والتي تربط بين رجل وامرأة لتكوين وتأسيس أسرة تكون معترفا اجتماعيا.

¹ - عمر رضا كحالة، الزواج. (سلسلة بحوث إجتماعية) بيروت، مؤسسة الرسالة، 1979، ص10.

² - الحسن إحسان محمد، مرجع سبق ذكره، ص138.

³ - سركيس عادل، الزواج وتطور المجتمع، القاهرة، دار الكتاب العربي، السنة غير مذكورة، ص13.

5. تغير النظرة إلى الزواج

تعرض المجتمع بعد الاستقلال لتحولات جد بارزة على جميع الأصعدة على المستوى العائلي وكذا في العلاقات الاجتماعية وغيرها فعلى العموم هي تحولات انجرت عنها قطيعة واضحة بين الجيل السابق والجيل الحالي. فقد كان الزواج عبارة عن نظام توافق عليه الجماعة وتشرف عليه من أول عقد للقرآن إلى يوم الزفاف، حيث يختار الآباء لأبناء هم الشخص المناسب دون أن يختاروا هم بأنفسهم.

فبعد أن كان الاختيار هذا وفقا للعائلة أصبح الآن عبارة عن علاقة ود ومحبة بين شخصين يتفقان مع بعضهما، فبعد أن كان الاختيار للزواج هدفه خدمة الجماعة وإرضاءها أصبح هدفه الأساسي خدمة الطرفين المعنيين. إذن فمن خلال هذا نلاحظ أنه بعد أن كان أسلوب الآباء هو السائد أصبح الأسلوب الفردي هو الغالب في اختيار الطرف الآخر مع العلم أنه في الأول الزوجان لا يلتقيان إلا يوم الزفاف بعد موافقة الأولياء، تغيرت هذه النظرة بخروج المرأة للتعليم والعمل، وبالتالي برز للوجود عدد من الحظوظ التي يظهر أنها تبين بعمق تصورات جديدة لدى المدنيين. فكما قلنا أن خروج المرأة للتعليم والعمل جنبا إلى جنب مع أخيها الرجل وأثناء تعاملها معه يقع هناك تعارف بين الطرفين، فتتشأ علاقة ودية بينهما فإنتتاح المرأة على العالم الخارجي يعتبر طريقا للتقدم ومحاربة الدهنيات الرجعية المتعلقة بها، وهذا ما يبين لنا الخطوط العريضة والعامة لتطور العائلة الجزائرية. فالمجتمع الجزائري بدأ يتبنى شيئا فشيئا العائلة الصغيرة المتكونة من الزوجين وأبناءها وقد بدأت علاقات جديدة أكثر إنفراد بين الزوجين والأبناء وهذا لا يمثل إلا اتجاه المرأة التي تعمل ليست في حاجة لأن تكون تابعة اقتصاديا للرجل وبالتالي هذا يمكنها من وضع علاقات مع هذا الأخير علاقات مساواة وأكثر إنسانية وانسراح لكلاهما¹.

¹ – Khodja(Souad), A comme Algérienne, Alger : ENAL,1991, P29.

إذن نجد مما سبق أن الواقع الجديد والظروف الراهنة، فرضت بروز الفردية في المجتمع الجزائري حيث أصبح الفرد مستقلاً ذاتياً.

6. الزواج في المجتمع الجزائري:

يعتبر المجتمع الجزائري مجتمع يسوده النمط التقليدي، حيث تلعب التقاليد دوراً هاماً خاصة في الحياة الأسرية، فالفتاة في مجتمعنا ينبغي أن تتزوج مبكراً، وإلا فإنها تبقى مهمشة، ويولونها تسمية "البائرة". ويكون الزواج عادة من اختيار الوالدين، وهو على هذا الأساس تراعى الاعتبارات الاجتماعية.

والأسرة تفضل غالباً زواج أبنائها من العائلة (الأقارب) أي ما يعرف بالزواج الداخلي، كما تقوم هي نفسها بتحديد المهر، وتاريخ حفلة الزواج والكيفية التي تتم بها، لكنه نادراً ما يهتم بعاطفة الحب مثلاً فحسب الأسرة فإنه سيأتي بعد الزواج، أي لا قبله (...). الأمر الذي يفسر من جهة سبب انتشار هذا النمط من الزواج في ماضي المجتمعات، بما فيها المجتمع الجزائري¹.

إذن فنظام الزواج في المجتمع الجزائري يتم بالشكل التقليدي، إلا أنه في السنوات الأخيرة ومع تغير الأوضاع الاجتماعية تغير أسلوب الزواج، بحيث أصبح بإمكان الشاب أو الشابة اختيار شريك حياتهما بمفردهما مع موافقة أهل على هذا الاختيار، فالشكل العام للزواج، يطغى عليه الطابع التقليدي أكثر منه العصري، وذلك لسيطرة بعض العادات والتقاليد المتوارثة في مجتمعنا. والتي لم يتخلص من تأثيرها على الرغم من ارتقاء أفراد المجتمع لدرجة من التعليم. ولقد عللت إحدى الدراسات الاجتماعية الحالية لنظام الزواج في المجتمع الجزائري هذه السلوكيات الاجتماعية بأن الأفراد والأسر فيه يعتبرون الزواج مناسبة هامة للإعلان عن وضعيتهم الاجتماعية، بل ومن أجل تأكيدها أكثر وهذا بقيامهم

¹ - الخولى سناء، الزواج والعلاقات الأسرية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1983، ص 138.

أو بمحاولة قيامهم لإظهار القيمة الكبرى لنفوذهم. ومن هذا السياق نقول إن الزواج في المجتمع الجزائري، هدفه هو تكوين أسرة متماسكة، وإنجاب أطفال، كما يسعى إلى التباهي بمظاهر تبين نفوذ أفرادهم.

أ- الزواج التقليدي:

عندما يكون الزواج مرتبا يكون عادة الاختيار للزواج فيه من اختصاص الوالدين أو الأقارب، وغالبا ما يقوم بهذا الاختيار كالأب أو الأم أو الجد أو الخال مثلا، لأن رضا الأسرة على هذا الاختيار والتحكم فيه يبقى في نهاية المطاف أهم عنصر في هذا النمط من الزواج. فالزواج في المجتمع التقليدي هو زواج يلتزم بالمحافظة على بعض العادات والتقاليد، حيث تفضل الأسرة زواج أبناءها من الأقارب، فهو زواج داخلي لا يخرج عن إطار العائلة، كما تقوم الأسرة على اختيار الأزواج لأبنائهم دون أن يكون لهم حق التعارف والاختيار، كما ساد في هذا النمط الزواج المبكر، حيث يقبل الشاب أو الشابة على الزواج في سن مبكر، وهذا بمجرد بلوغهما وقدرتهما على الإنجاب، ويطبق هذا القانون خاصة على الفتاة، باعتبار العائلة تخاف عليها أكثر من الفتى.

ب - الزواج المعاصر:

لقد شهدت الأسرة الجزائرية تغيرات شتى خاصة فيما يتعلق بالزواج، هذا التغير الذي يظهر في تحولها من الشكل التقليدي إلى العصري، فبعدما كان الآباء هم الذين يختارون لأبنائهم، وهذا بالنسبة للذكر أو الأنثى - الشريك المناسب، أصبح الشخص المقبل على الزواج هو الذي يختار الأفضل له وهذا بتغير ظروف المعيشة وتطور أسلوب الحياة، ولكن كل هذا لا يعنى الخروج عن القاعدة التقليدية ولكن فقط إدخال تعديلات وممارسات جديدة يتقبلها العقل، ولأن العصر الذي نحن فيه يتطلب ذلك التغير.

ولقد انعكست كل التغيرات الاجتماعية العميقة الذي ذكرناها آنفا على الأسرة، فأحدثت منها تغيرات جذرية، فتعليم الفتاة من ناحية قد أحرز شكلا جديدا في طريقة الزواج، فبعد أن كانت الفتاة تتزوج في سن مبكر أصبحت لا تعمل بهذا الأسلوب، وذلك لأن لديها انشغالات أخرى تمنعها من أن تفكر في الزواج كالبحت عن وظيفة، أو تزاول دراستها في التعليم العالي، وكما تأخر سن زواج الفتاة تأخر سن زواج الشاب وهذا لصعوبة المعيشة كأزمة السكن مثلا.

إذن فنقاط الاختلاف البارزة في الزواج عما كان عليه سابقا وعما هو عليه، يتبين في بساطته في ذلك الوقت وصعوبته في هذا الزمن فبالإضافة إلى حتمية الاختيار والتأخير في الزواج، فقد تحتم على الزوجات العيش في بيت مستقل عن أسرة الابن، ويتمتع بكل الوسائل المادية -كشهر العسل-السيارة الخ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على إعطاء المظهر المادي أهمية بالغة، حتى وإن كانت الأسرة ميسورة الحال فالشروط المادية لا بد منها.

خلاصة:

الزواج سنة دينية وضرورة اجتماعية يتوقف عليها النوع الإنساني، وتنظيم الغريزة واستقرار العاطفة واستمرار الحياة. ولما لزواج من هذه الأهمية والمهام الكبرى فقد تطرقنا في هذا الفصل إلى مفهوم الزواج وأنواعه وشروطه.

الفصل السادس

نبذة تاريخية عن عرف ومهر الولي سيدي معمر

تمهيد

1. نشأة العرف
2. أنواع العرف
3. شروط العرف
4. العرف في المجتمعات
5. عرف سيدي معمر
6. المهر وتطوره التاريخي
7. المهر والدين
8. مهر سيدي معمر
9. من هو الولي؟
10. كرامات الأولياء
11. كيف يصبح الشخص مقدسا أو وليا
12. مكانة الأولياء في المجتمع الجزائري
13. مظاهر تقديس الأولياء
14. نبذة تاريخية عن عرف سيدي معمر

تمهيد:

يأخذ موضوع الزواج خواصا متعددة تختلف تقاليده من منطقة إلى أخرى، تبعا لتنوع الثقافي كما تختلف ترتيباته وعاداته وطقوسه، لكن الرابط الأساسي هو العلاقة الشرعية بين الشاب والفتاة وفقا لقوانين إجتماعية متوارثة، ومن خلال هذا الفصل سنحاول التعرف على مميزات عادات وتقاليد زواج عرف سيدي معمر " بمدينة شرشال " و" بني يزقن "، بما في ذلك طقوس الزواج وعاداته في المنطقتين ومحاولة التعرف على أهم مميزات وطريقة التحضير للممارسات الإحتفالية، ورموزها ودلالاتها وذلك بدءا بعملية الإختيار الزوجي إلى غاية إنهاء مراسيم الزواج، بالإعتماد على مقارنة سوسيوانثربولوجية وصفية كيفية من خلال وصف ظاهرة الزواج أي العادات وتقاليد، والمقارنة بين زواج " عرف سيدي معمر " و" بني يزقن " لمعرفة أوجه التشابه والإختلاف بينهما.

1: نشأة العرف

يقصد بالعرف كمصدر للقانون سير الناس على قاعدة معينة وإتباعهم إياها في شؤون حياتهم وشعورهم بضرورة إحترامها، وقد كانت للعرف قديما أهمية بالغة في المجتمعات الإنسانية الأولى فكان هو المصدر الوحيد الذي تتبع منه قواعد القانون، وسبب ذلك أن الأداة الحاكمة في تلك المجتمعات لم تكن قد بلغت من القوة والإستقرار حدا يسمح لها بفرض قواعد يلزم الناس السير عليها.

أشهر تعريف لعلماء الإجتماع للعرف هو ما ذهب إليه "سمنر Sumner" عندما أشار إلى أن الأعراف هي تلك السنن الإجتماعية التي تدل على المعنى الشائع للاستعمالات والعادات والتقاليد والمعتقدات و الأفكار والقوانين وما شبه، وخاصة عندما تحتوي حكما. إنها تتضمن ما يطلق عليه "الصواب" rightness أو "الخطأ" Wrogness وذلك من خلال طرق السلوك المتنوعة. و يمكن أن تتمثل أيضا في الحكم والأمثال والأغاني الشعبية والقصص الأدبية، التي تعتبر مظهرا من مظاهر التراث الثقافي. ويتكون العرف أساسا في ضمير الجماعة بطريقة لا شعورية وتدرجية.¹

لقد كان العرف في الجماعات الإنسانية الأولى هو المصدر الوحيد الذي تتبع منه قواعد القانون ومازال للعرف أهمية كبيرة في مجتمعات كثيرة، رغم تطور هذه المجتمعات واتخاذها " التشريع " مصدرا لقوانينها. فلكي يتكون العرف لا بد من توفر عاملان، الأول مادي يتمثل بعادة قديمة وغير مخالفة للنظام العام، والثاني معنوي ويتمثل بأن يشعر الناس بضرورة احترام هذا العرف وبأنه يوجد هناك جزاء يقع عليهم إذا ما خلفوها.

¹ Sumner William Graham, **folkways : a study of the sociological importance of usages customs, mores and morals**, ginn and company, Boston, 1940, P. 8-12.

ومن ثم لم يكن هناك مفر من أن يسير الناس في تنظيم أمورهم وفق العادات التي توارثوها عن آبائهم وكانوا إذا أرادوا تطبيق قواعد العرف يختاروا محكمين يختارهم الخصوم أنفسهم للفصل في المنازعات التي تقوم بينهم، بعد ذلك بدأ الحاكم يطبق قواعد العرف إما بنفسه وإما بواسطة رجال يعينهم لهذا الغرض.

وصار التطور مع سير الزمن وأصبحت بعض العادات تكاد تكون ضارة ولا تتفق مع ظروف الجماعة كوأد البناء في الجاهلية ومثل هذه العادات لا يمكن أن ترتقي في وقتنا الحالي إلى مرتبة العرف إذ من شروط هذا الأخير ألا يكون ضارا بمصالح الجماعة الأساسية ، وهكذا فالعرف يتميز بأنه ينشأ من صميم الحياة في الجماعة التي هو منها وبالتالي يحوى القواعد التي تتفق مع ظروف تلك الجماعة ورغباتها ، وإذا تغيرت ظروف هذه الأخيرة نجد العرف هو أيضا يتغير تماشيا مع الظروف الجديدة كما يقول Ihering: «العرف يكون مع الحياة وحدة يتغير بتغيرها»¹.

و يذهب الدكتور عبد الفتاح عبد الباقي إلى أن العرف يتكون من ضمير الجماعة بطريقة لا نشعر بها ولا نحس ، شأن العرف في ذلك شأن قواعد اللغة وقواعد الأخلاق وغيرها من الأمور التي يخلقها المجتمع لنفسه بنفسه وينشأ العرف ببطئ فقد يتبع شخصان أو أكثر قاعدة ما في حكم تصرفاتهم لجأ حتى إذا ظهر صلاح تلك القاعدة واتفقت مع ظروف الجماعة وحاجاتها لجأ باقى الأفراد إلى إتباعها بدورهم مدفوعين في ذلك بغريزة التقليد ، ولكثرة تكرار إتباع الناس بها أن يتولد في أذهانهم وجواب إحترامها وفي هذه اللحظة يكتمل نشؤ العرف وتتولد عنه القاعدة القانونية الملزمة²

¹ عبد الباقي عبد الفتاح ، نظرية القانون ، القاهرة ، مطبعة نهضة مصر بالجيزة ، 1966 ، ص 179.

² عبد الباقي عبد الفتاح ، مرجع سبق ذكره ، ص 183 .

2: أنواع العرف: للعرف أنواع عديدة أهمها:

أ-السنن الاجتماعية: يعتبر كل عرف حتمى من فئة السنن الاجتماعية ويكون العرف حتميا إذا تضمن حكما بالصواب أو الخطأ، وبأنه يؤدي إلى رفاهية المجتمع وصالح حاله، وبأنه يجوز الاتفاق على مخالفته، بحيث يحتوى على أوامر ونواهي لسعادة البشر ومحرمات خاصة بكل ثقافة.

فمن أحسن التعاريف التي وضعت عن الأعراف الحتمية، والتي تنطبق على السنن الاجتماعية ذلك التعريف الذي وضعه Panunziô إذ قال أنها: « اصطلاح يطلق على تلك الممارسات والقواعد التي تحكم أساسا النشاطات المتعلقة بمنح الحياة للفرد أو سلبها منه . وبعبارة أخرى هي إصلاح يطلق على تلك العادات التي يجب أن تطاع لأنها تعد بكل تأكيد جوهرية لصالح المجتمع، والسنن تتضمن التعميمات الفلسفية، الأخلاقية والعقائد والآراء والقواعد والمعايير الخاصة بصالح الجماعة ورفاهيتها (...) وينبها بانتريو إلى أن السنن كثيرا ما تكون في شكل محرمات (Tabous) ونواه، والمعتقد أن ممارسة السنن ومراعاتها بكل دقة تبعد الشر وسوء الحظ عن الجماعة وغالبا ما تسند السنن وتقوى بالدين أو بالخوف من سوء الحظ ».¹

كعرف "سيدي معمر" الذي بين أيدينا فأهله يطبقونه احتراما وخوفا من العقاب كما يقولون فمثل هذه السنن تقرر بصرامة الطرق الواجب على الناس إتباعها في علاقاتهم الاجتماعية وما يؤمرون به وما ينهاون عنه.

ويستخلص مما سبق أن السنن مشبعة بسلطة قوية، فهي شديدة السيطرة على الناس وهي تنفذ بضغط ما يقره المجتمع أو ما لا يقره وما يجيزه وما يحرمه، كما أنها تنتقل من

¹ -دياب فوزية، مرجع سبق ذكره، ص202.

جيل إلى جيل بالمحاكاة وغرس العقائد والتخويف، وإن تغيرت فتغيرها بطئ جدا لدرجة يصعب معها في كثير من الأحيان ملاحظة هذا التغير.¹

كعرف « سيدي معمر » الذي لازال ساري المفعول منذ القرن الخامس عشر إلى يومنا هذا من جيل لجيل رغم التغييرات التي حدثت فيه، ويعد الخارج عن هذه السنن ولو مرة واحدة مخطئا وآثما مهما كان لديه من الظروف في ذلك العقاب، وهذا ينطبق على جميع الطبقات الاجتماعية الغنى والفقير، القوى والضعيف، العالم والجاهل.

ب-المحرمات:

المحرمات تشير إلى مجموعة من الأمور والأفعال والموافق التي يجب أن يتجنب الأفراد القيام بها فهي تحرم مثلا على الأخ أن يتزوج أخته وعلى الأب أن يتزوج ابنته، وقد يكون المحرم حيوانا أو جمادا، أو نباتا تقر الجماعة عدم لمسها أو أكله أو الاقتراب منه، وترتبط المحرمات عامة بنوعية من الرقابة، فالناس يخضعون لها لأنها مقدسة، أو لأنها ضارة فهي تثير الإحترام والخوف في آن واحد. وخلاصة القول أن المحرمات تهدف إلى تنظيم حياة الجماعة وضبط سلوك أفرادها فهي كثيرا ما تؤدي بصفة مباشرة أو غير مباشرة إلى حماية الأفراد.²

ج-عرف مقدس:

يمتاز العرف بأصالته وباستمراره ودوامه وقدرته ، فكلما طال على العرف الزمن مرت به السنوات، زاد صلابته وجمودا وأصبح من العسير تغييره ويرى ماريت **Marett**: أن عامل القدسية هذا من العوامل الجوهرية، والأسباب القوية في جمود العرف وتحجره وصعوبة كسره

¹ نفس المرجع، ص204.

² الساعاتي حسن، علم الاجتماع القانوني، القاهرة: دار المعرفة، الطبعة الثانية 1960، ص106.

وبخاصة المجتمعات البدائية ، فالفرد لا يستطيع أن ينتقد العرف الذي ولد فوجد نفسه يعيش تحت سيطرته فهو يلاحظ أهله وعشيرته وجيرانه وبيئته ، ويحاكيهم في عاداتهم ويقلدهم في عرفهم مثال نظام الخلع - عند القبائل العربية في الجاهلية ، فقد كان العرف يقضى بأنه إذا ارتكب أحد أفراد القبيلة جرماً ، فإنها تتبرأ منه وتتخلص من تبعية أعماله بخلعه رسمياً في المجتمعات العامة وكان رئيس القبيلة يأتي به في الموسم وينادي أنه أصبح طريدا لا أسرة له ¹.

فالخارج عن عرف «سيدي معمر» يلقي عقاباً شديداً أو تنزل عليه اللعنة حسب رأي أصحاب العرف ، وأن الفرد منهم متمسك بضمير الجماعة الذي هو واحد منها كما يقول - دور كايم- : « الضمير الجمعي ، ضمير قاس يجعلهم يعاقبون في قسوة بالغة كل من يخرج على مجموعة أو أمرهم (...) ويهدفون إلى تقوية الضمير الأخلاقي عند الجماعة» ².

3- شروط العرف:

1- أن يكون عاما، أن لا يتعلق بقلة من الناس ولكن بكثرة منهم، وليس المقصود من ذلك أن يكون العرف شاملاً بأن يسرى على كل الناس في الدولة أو عليهم كلهم في جزء من أراضيهم، فلا يوجد ثمة ما يمنع من أن ينشأ عرف خاص بإقليم من أقاليم الدولة، وهنا يكون العرف محلياً ولا يوجد كذلك ثمة ما يمنع من أن يتكون عرف خاص بطائفة من الناس.

2- يجب أن يكون العرف قديماً أي مضت على إتباعه فترة طويلة من الزمن بيد أنه لا يوجد حد لهذه المدة.

¹ الخشاب حمد، الضبط والتنظيم الاجتماعي، القاهرة: مكتب القاهرة الحديثة، 1959، ص 143-144.

² عبد الباقي عبد الفتاح، مرجع سابق ص 185.

3- أن يكون العرف ثابتاً ومطرداً بمعنى أن يتبعه الأفراد بانتظام، فلا يكفي أن يلجأ الناس إلى إتباع القاعدة حيناً وتركها حيناً آخر (...) لا يحول دون قيام العرف أو يخالفه بعضهم إنما يجب أن تكون تلك المخالفة على سبيل الاستثناء.

4- يتحتم أن يكون العرف مطابقاً للعدالة ولنظام العرف، ولحسن الأدب في الدولة، فالعادات التي تتنافى مع الأسس الاجتماعية والأخلاقية التي تقوم عليها الجماعة لا ترتقي أبداً إلى مرتبة العرف وإن طال الأمد.

5- يجب في النهاية أن يتولد في أذهان الناس الشعور بضرورة احترام قاعدة العرف، وهذا الشرط أساسي لتكوين العرف (...) ولكي يقوم العرف يلزم توفر ركنين أساسيين:

- الركن المادي: وتضمن عادة قديمة عامة مستقرة وغير مخالفة للنظام العام.
- الركن المعنوي: ومؤداه أن يستمر الناس بضرورة احترام العادة لأنه يوجد هناك جزاء يوقع عليهم إذا خالفوها.

4- العرف في المجتمعات:

العرف نوع من العادات الاجتماعية المتوارثة من الأسلاف إلى الأجيال ، يرى عبد الفتاح عبد الباقي: « أن العرف نوع من العادات الاجتماعية التي يعتبر بإجماع العلماء أهم فرع من فروع الطرق الشعبية ، فالعرف يتكون من ضمير الجماعة بطريقة لا نشعر بها ولا نحسها (...) فهي عادات في مصلحة الجماعات كلها متلاقية في وحدة واحدة في المجتمع ، ولذلك كان العرف في إلزامه وشموله وعموميته أقرب إلى القانون (...) وهذه الخاصية الإلزامية يمكن تفسيرها على مدى ما قاله دور كايم: « من أنها مستمدة من المجتمع ممثلة في العقل الجمعي ، والعقل الجمعي في نظره مصدر كل الوقائع أو الظواهر

الإجتماعية ، فالعادات ما هي إلا نماذج للعمل وأنماط للسلوك يرسمها العقل الجمعي الذي تعلق سلطته على سلطة الأفراد».¹

أ-العرف عند الغرب:

هناك مصادر في الإنجليزية تضع للعرف مصطلح Custom والبعض الآخر Mores، فمصطلح Custom هو من المصطلحات القديمة الكلاسيكية التي وضعها رجال العلوم الإنسانية بصفة عامة ورجال القانون بصفة خاصة، أما مصطلح Mores فيعد استعماله للدلالة على العرف، وأول من استعمل هذا المصطلح في العصر الحديث هو سنمر في بحثه الكلاسيكي : «الطرق الشعبية» عام 1906 (...) أما الرومان فكانوا يستعملون Mores لتدل على العادات بشكل أوسع وأعمق، وهي تتضمن فكرة أن العادات تخدم المصلحة العامة للجماعة ، وأنها موحدة بجزئات مبهمة تجعلها ذات سلطة وقديسة.²

ب-العرف عند العرب:

بعض الكتاب يطلقون كلمة العرف على كل أنواع الطرق الشعبية والأساليب والممارسات الإجتماعية الملزمة منها وغير الملزمة ، وبذلك يجعلونها مرادفة لمصطلح عادات إجتماعية أو طرق شعبية (...) والعادات الإجتماعية هي اسم النوع الذي يشمل كل أنواع العادات الإجتماعية منها العرف والعرف هو إجراءات جماعية وطرق وأساليب تخلقها

¹ عبد الباقي عبد الفتاح، مرجع السابق ذكره، ص190.

² دياب فوزية، مرجع سبق ذكره، ص189-190.

الحياة الاجتماعية تدريجيا فتتم مع الزمن وتزداد ثبوتا وتأسلا ، وتستمد من موافقة الأفراد العامة عليها وقبولهم (...) ويكاد يكون هناك إتفاق بين العلماء المعنيين بالعرف على أنه دراسة اصطلاح يطلق على العادات التي تمتاز بالأهمية إلى درجة إجبارها وإلزامها ، وبضرورتها لرفاهية المجتمع أو المحافظة على كيانه.¹

وبناء على ما ذكر يتضح لنا أن العرف هو تلك العادة أو الخطة العملية التي يتبعها الإنسان في حياته اليومية، فالفرد يستقبل العرف منذ نشأته فيزوده برصيد ثقافي من آراء وأفكار وممارسات مستنبطة من المجتمع الذي يعيش فيه، وكل من يقاوم هذا العرف ويخالفه فإنه يلقي العقاب سواء من طرف المجتمع أو من الأفراد.

5 - عرف سيدي معمر:

عرف سيدي معمر بومكحلة بمدينة شرشال جذوره تعود الى قرون مضت.
مدينة شرشال مثلها مثل أي مدينة أخرى بالقطر الجزائري لها أعراف وتقاليد خاصة تميزها بعض الشيء عن الولايات الأخرى، ولعل "عرف سيدي معمر" واحد من الأعراف المثيرة لإهتمام لما له من طقوس ومراسيم مميزة في إقامة مراسيم الخطبة والزواج من حيث أهدافه النبيلة الرامية إلى تيسير الزواج على الشباب ومحاربة العنوسة وتغليب الجانب الروحي على الجانب المادي، فهذا العرف يحث على عدم المغالاة والمبالغة في طلب المهر والرضى بنصيب قليل، وحسب الباحثين والمتوارثين لهذا العرف فإن جذوره تمتد إلى قرون خلت إذ يعود إلى عهد "سيدي معمر" الذي يدعى بومكحلة لأن دعوته كانت كالمكحلة أو البندقية وهي تصيب كل من يخالف العرف هكذا يقول أتباعه.

¹ دياب فوزية، نفس المرجع، ص190

وقد تتلمذ هذا الولي الصالح على يد العالم والفقيه سيدي معيزة بنتس الذي يحمل اسمه حالياً المسجد العتيق بنتس، هذا الأخير الذي يعد ثاني أقدم مسجد بالجزائر بعد مسجد بسكرة حيث بني في القرن الثاني للهجرة وقد صنفه عالم الآثار جورج مارسلي عام 1905 ضمن المعالم الأثرية الدولية. وحسب الروايات التي تحفظها الذاكرة الشعبية والمتوارثة أبا عن جد، إن هناك روايات مختلفة تخص السبب الذي دفع "سيدي معمر" إلى تحديد المهر منها ما يقال: أنه قد بدأت القصة، عندما غادر "سيدي معمر" مسجد سيدي معيزة بنتس متوجها نحو زاوية معلمه الأول، وعند دخوله منطقة حميس رأى رجلا وامرأة يتبادلان اطراف الحديث في مكان بعيد عن الأنظار، ولما رأياه إختفيا عن الأنظار لشعورهما بالخجل والإحراج وهو الأمر الذي ترفضه أعراف وتقاليد المنطقة ويمنعه الدين الإسلامي الحنيف، وبعد أن دخل "سيدي معمر" المنطقة سأل عن أهل الرجل والمرأة فجاءه بهما أهل القرية فسأل هما قائلاً: هل أنتما متزوجان فأجاباه بالنفي، وعند إستفساره عن السبب رد الرجل قائلاً: أنه قصد ولي الفتاة خاطبا لكن تم رفضه لأنه فقير ولا يملك من المال الكثير أي لا يملك مهر الفتاة. سأل "سيدي معمر" عن عمله فرد الرجل: أنه يبيع الدوم، وهي تطلق على نبات فيه أوراق كثيرة، أعلاها فيها شوك وتوجد بالمناطق الغابية الجبلية المرتفعة وخاصة الساحلية، وهي تشبه النخلة يصنع منها السلال وغيرها وهنا سأل "سيدي معمر" الرجل عن ثمن الدوم فقال: "ربعة دورو" هي تعادل قطعة ذهبية في تلك الأثناء، طلب "سيدي معمر" من الرجل أن يقدم قطعة نقدية من ذهب أي (لويضة ربعة دورو) ويتزوج المرجأة وأكدت خديجة بأن الروايات المتوارثة أبا عن جد اجتمعت على أن سيدي معمر رافق الفتى إلى ولي الفتاة، ولأن كلمته كانت مسموعة، أمر والد الفتاة بقبول الشاب والدراهم التي في جيبه وكانت عبارة عن قطعة نقدية وحيدة من فئة (4 دورو ذهبية). (2) ودعا الولي الصالح منذ تلك اللحظة إلى تشجيع الزواج بهذا المهر الزهيد وكانت وصايته لأهله

وسكان منطقته وبسبب هذه الحادثة ظهر ما يسمى "بعرف سيدي معمر"، الذي مكن شخصين متحابين من الزواج ونتاج عم ذلك ما يسمى بشروط سيدي معمر، إضافة إلى القطعة النقدية الذهبية التي تقدم كمهر يقدم للعروس خروف (كبش) وقنطار من الدقيق (سميد)، وقدرًا من السمن (الدهان) وهذا لتيسير الزواج على الشباب خاصة الفقراء منهم، لتقادي إرتكاب أفعال خارجة عن الأخلاق.

- وفي رواية أخرى أن "سيدي معمر" كان جالسًا مع الولي سيدي امحمد بن علي ابهلول المجاجي يتحدثان عن غلاء مهر الزواج، وهنا أقسم "سيدي معمر" أن بناته وكل ذريته لن يتجاوز مهرهم "ربعة دورو" أي قطعة ذهبية (لويضة ربعة دورو)، ولولا خشيته من أن يعاير الناس بناته لزوجهم بمهر مقداره سلة من الدوم أو الثوم، ومنذ تلك الحادثة أصبح الناس يسيرون وفق المهر الذي حدده "سيدي معمر" وكل من يحاول تجاوزها في الزواج سيصاب بلعنة الولي، لأنه دعى عليه بعدم البركة في زواجه خاصة وأنه عرف عنه الكثير من الكرامات. ومازالت العائلات المعمرية تحرص على أتباع العرف خوفاً من إصابتهم بلعنة الولي، وأيضاً حفاظاً على تقاليد الأجداد.

ومع ذلك فإن انتشار هذا العرف لا يقتصر على مدينة شرشال فحسب بل إنه يمتد حتى منطقة تنس، شلف، مليانة وعين الدفلى وشرشال بتيبازة ووادي رهيو بغليزان حيث تنظم بعض العائلات موكب سيدي معمر انطلاقاً من منطقة لحلاف بوادي رهيو إلى غاية مسجد سيدي معيزة العتيق المتواجد بمدينة تنس القديمة، ويصحب ذلك الموكب تنظيم وعدة شعبية تحضرها حشود كثيفة من الناس تبركا بهذا الولي الذي تزوره مواكب الزفاف من أجل كسب الرضى، لقد حدد "سيدي معمر" مهر الزواج "بربعة دورو" لأهل العروس، ومنذ ذلك الحين أخذ السكان في إتباع هذه العادة، ولا يشتري الشاب لخطيبته أي هدية مهما كانت حلياً أو لباساً قبل أن يدخل بها عندما يرغب أحد الشباب التابعين لهذا العرف في الزواج

، يتم الإعلان عن الخطبة ثم الفاتحة التي يدفع وقتها أهل العريس قطعة ذهبية ربعة دور، و حاليا " لويزة ربعة دورو من ذهب " إضافة إلى قنطار من السميد وسبعة كغ من السمن وكبشا إكراما واحتراما للعرف.

ويكون ذلك قبل أربعة أيام عن موعد الزفاف، ولعرف "سيدي امعر" طقوس خاصة بطريقة تزين العروس وخروجها من بيت أهلها نحو بيت زوجها حيث يطلب منها أن تكون طبيعية فتمنع من استعمال أي مساحيق للتجميل والحلي والمجوهرات ولا يسمح لها بذلك إلا بعد وصولها إلى بيت زوجها وإتمام الدخلة وقبل أن تخرج العروس من بيت أهلها يؤتى بجلد خروف "هيدورة" تفرش مقلوبة على الأرض وتوضع عليها قصعة تجلس عليها العروس لتربط لها الحنة في يديها ورجليها ويشترط على العروس أن تخرج بلباس أبيض متواضع وهي حافية القدمين، ومن بين العادات التي مازالت سارية في عرف "سيدي امعر" هو عزوف أهل العروس المرافقين لها يوم الزفاف إلى بيت زوجها عن تناول أي شيء أو حتى شرب الماء في منزل العريس قبل أن تتم الدخلة، وهو ما يجعل أهل العريس في الغالب يعتمدون على جيرانهم لإطعام أهل العروس وفي اليوم الموالي يؤتى للعروس بسمكتين فينثرون في حجرها حراشيفها تيمنا بكثرة الأبناء، وفي اليوم السابع بعد الزفاف تجتمع عائلة العروس مع عائلة العريس أين يتم اصطحاب العروس إلى الحمام ولدى عودتها يقصون قليلا من شعرها دلالة على أن الصبية أصبحت امرأة. وتحرص معظم العائلات على احترام تلك الطقوس خوفا من إصابتها بلعنة الولي إذا ما خالفوا عرف أو عادة "سيدي امعر".

6-المهر وتطوره التاريخي:

1-تعريف المهر:

"المهر هو ما يدفعه الزوج لزوجته وله أسماء عديدة كالنحلة، الفريضة، الأجر العلائق، العقد، الصداق الصيغة"¹.

2-تاريخ المهر:

إن موضوع المهر ليس ظاهرة حديثة النشأة بل ترجع إلى زمن بعيد وهي ظاهرة وهي ظاهرة تمس تقريبا جميع المجتمعات، عربية كانت أو غير ذلك فقد كان الرجل في الجماعات البدائية يعتبر زوجته ملكا له لأنه إشتراها بماله، ففي الجماعات الصائدة كان الرجل يشتري المرأة بما يقدم لأبيها من صيد، وفي الجماعات الراعية كان الرجل يشتري المرأة بما يقدم لأبيها من رؤوس الماشية وحين استقر الإنسان في الأرض وزرعها وأنشأ المدينة أصبح ثمن المرأة رقيقا أو حيوانا، وبظهور النقد أصبح المهر نقدا، أما الفقراء في تلك المجتمعات الذين كانوا لا يستطيعون شراء المرأة في تلك المجتمعات، فكانوا يتبادلون الأخوات، وقد يقدم الرجل عملا أو خدمة لوالد المرأة فيكون عمله أو خدمته ثمنا للمرأة، ومما يدل على أن المرأة فيما مضى كانت شيئا مملوكا هو طريقة الزواج عند قدماء اليونان حيث كان يتم شراء المرأة بعدد من الثيران أو ما يساويها، يسلمها الخاطب إلى بيت خطيبته فتسمى السياق، وعند قدماء الرومان كان إنتقال ملكية المرأة من أبيها إلى زوجها يتم بطريق البيع بالقبض أو بها يدفع الزوج الثمن ويقبض المرأة كما يقبض أي مبيع، وكان من عادة سكان كولومبية أن أهل العشيرة يتحملون المهر الذي يفرض على بعضهم عند الزواج فهم

¹ Dib Marouf (Chafika), **Fonction de la dot dans la cité Algérienne**, Alger : OPU, 1984, p 33.

في ذلك شركاء، وكان أيضا من عادة سكان المكسيك الجديدة أيضا بيع البنات الحرائر في الأسواق بالمزايدة بالتبليغ حتى أن النساء يعيرون بعضهن بقله المهر، يتفاخرون بكثرتهم. وعند عرب الجاهلية كان المهر ثمنا للمرأة لا يقبضه أبوها ووليها وسمي (النافجة) وهو كل ما ينفخ في مال الرجل أي ما يزيد فيه ويعظمه وكان المهر عادة عددا من الإبل يسوقها الخاطب إلى بيت خطيبته فتسمى السياق وكان عددها يقدر على مقدار المرأة في حظها من الحسن والجمال، أما عند عرب المدن فكان المهر يقدم نقدا ، فالمهر كان بالنسبة لهم العنصر الأساسي والمهم في الزواج فإذا أعطيت أو زوجت البنت بدون مهر فهذا يعنى شئ مخجل بالنسبة لأهل العروس وخسارة لهم ومربحا لأهل العريس¹. و لما جاء الإسلام حرر المرأة من نظرة الجاهلين إليها ومنحها حقوقا إنسانية وأخرى شرعية وترتب على تبدل المفهوم الجاهلي للمهر ، فلم يعد ثمنا للمرأة وإنما أضحي حقا لها يقدمه الزوج إليها في مقابل حقه في معاشرتها ، ومن أجل أن يحرم الإسلام المهر من الثمن المادي خفضه حتى جعله رمزيا فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لمن أراد أن يتزوج وليس لديه مال - «إلتمس ولو خاتم من حديد».

فالإسلام جاء ليبسر الزواج ويرفع من قيمة المرأة لا ليذل لها ويحط من قيمتها، أما في المجتمع الجزائري يمكن أن يكون المهر مؤشرا معبرا عن التغير الاجتماعي ففي الواقع الكلام عن ظاهرة المهر هو إحدى وسائل التعرف على خصوصيات البيت الجزائري والحياة اليومية. فقضية المهر كما ترى «شفيفة معروف» نقل إجتماعي يكرس من خلاله ممارسة الهرمية الاجتماعية والتمييز بين الجنسين وهو يضمن المرأة ويعاقب الزوج في حال الطلاق

¹ عبد السلام الترماني، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، الكويت، مطابع الرسالة، 1984، ص 199.

والطرد ويبقى مؤسسة إجتماعية وقانونية قوية ، فتكوين الرابط الزوجي هو رابط للعلاقات الإجتماعية يبلوره المهر.¹

فالزواج لدى الطوارق وهم سكان المغرب العربي أنهم لا يكلفون الزوج بدفع المهر لزوجته أو لأبيها أو لوليها مبلغا تستخلص به نفسها من ولايته عليها، لأن المرأة عند هؤلاء الطوارق مكلفة بالسعى والعمل لأن تكد فلا تعول على نفسها ولا تتكفل على غيرها. فهذا نوع من الزواج في المجتمع الجزائري الغنى بعباداته وتقاليده التي إختارنا نحن عادة منه لتبيانها للقارئ.

7-المهر والدين:

إن الدليل على وجوب المهر في الكتاب والسنة والإجماع، الآيات الكثيرة مثل قوله تعالى في سورة النساء الآية 4 « وأتو النساء صدقاتهن نحلة» وصدقاتهن تعنى مهورهن ومنها قوله جل ذكره في سورة النساء الآية 29 « وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما إستمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة ».

أما في السنة فقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - لم يخل زواجا من مهر ولو لم يكن واجبا لتركه مرة ليدل على عدم الوجوب وقد أجمع علماء الإسلام على ذلك منذ عهد الصحابة إلى يومنا هذا ثم أنه لو أبيح أن الرجل يتزوج بدون مهر لكان في ذلك إبتذال النساء وخط لأقذارهن، فيراها الرجل بعين الإحتقار والمهانة فلا تحسن بينهما العشرة ويؤدي ذلك إلى فصم العروة وتشنيت ما تجمع من الشمل ولا يعز ذلك على الرجل لأنه ما فقد

¹ جغلول عبد القادر، مرجع سبق ذكره، ص171.

شيئا ولا أنفق في سبيل الوصول إليها شيئا، فإيجاب المهر عليه هو بمثابة إشعار له بأن الزوجة شيء لا يسهل الحصول عليه إلا بالذات والاتفاق، حتى لا يفرط فيه.

وإتفق الفقهاء على أن المهر له حد أعلى يجب الوقوف عنده وعدم تجاوزه وقد روى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - « خير الصداق أيسره » وقال أيضا « إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة » ولهذا كان من المستحب شرعا عدم المغالات في المهور لما تؤدي إليه هذه المغالات من الأعراض عن الزواج الذي يتبعه شيوع الفساد ، ومع إتفاق العلماء على عدم وجوب حد أعلى للمهر فقد اختلفوا في حده الأدنى.

فذهب الإمام الشافعي والإمام أحمد وإسحاق إلى أنه لأقله، حتى كان المسمى شيئا له قيمة مالية بحيث يصلح بدلا في عقود المعارضات لقوله تعالى: « أن تبتغوا بأموالكم غير مسافحين.» فكل ما يسمى ما لا قليلا كان كثيرا يصح جعله مهرا، أي أن المهر عند المسلمين كان شيئا رمزيا أكثر منه ماديا ¹.

لهذا كان الصداق بمثابة ذلك التعويض القانوني وشهادة إحترام للمرأة لأن كل زواج بدون مهر باطل، وعرف سيدي معمر رغم أن مهره قليل ورمزي إلا أن زواجه صحيح لوجود المهر، فهذا الولي سيدي معمر إستمد هذا المهر من السنة لייسر ويسهل على أهل تلك المنطقة الزواج خاصة بعد غلاء المهور الذي كان سائدا في (تنس)، فقيمة المهر التي حددها ب (4 دورو)، وقنطار سميد، وخروف (كبش) هي رمزية مقارنتا بالعملية الإجتماعية التي تؤديها في تكوين أسرة.

¹ البري زكريا، الأحكام الأساسية للأسرة الإسلامية، القاهرة، معهد الدراسات الإسلامية بالزمالك، 1981، ص118.

8-مهر "سيدي معمر":

يعرف " عرف سيدي معمر " با تسهيل وتيسير الزواج على المعوزين من أبناء منطقة شرشال و تيبازة والشلف ومدينة تنس ،غليزان وغيرها من المناطق الأخرى، وبات منهج سيدي معمر في الزواج ذائع الصيت بالنسبة لمهر المرأة هو عبارة عن قطعة من ذهب لا غير "لويزة ربع دورو" لقد حدد "سيدي معمر" مهر الزواج "بربعة دورو" لأهل العروس، ومنذ ذلك الحين أخذ الناس في اتباع هذه العادة، ولا يشتري الشاب لخطيبته أي هدية مهما كانت حليا أو لباسا قبل أن يدخل بها عندما يرغب أحد الشباب التابعين لهذا العرف في الزواج، يتم الإعلان عن الخطبة ثم الفاتحة التي يدفع وقتها أهل العريس قطعة نقدية من ذهب قيمتها ربعة دورو(لويزة ربعة دورو) إضافة إلى قنطار من السميد وسبعة كغ من السمن وخروفا.

وحسب الروايات التي تحفظها الذاكرة الشعبية والمتوارثة أبا عن جد، صادف الولي "سيدي معمر «ذات يوم وهو يتجول ببلدته بتنس شابين مغرمين يتبادلن أطراف الحديث في مكان بعيد عن الأنظار فعاتب الفتى الانفراده بالفتاة، وهو الأمر الذي ترفضه أعراف وتقاليد المنطقة ويمنعه الدين الإسلامي الحنيف فدافع الفتى عن نفسه وأخبر الشيخ بأنه.¹ قصد ولي الفتاة خاطبا لكن تم رفضه لأنه فقير ولا يملك من المال الكثير. وأكدت الروايات المتوارثة أبا عن جد على أن سيدي معمر رافق الفتى إلى ولي الفتاة، ولأن كلمته كانت مسموعة، أمر والد الفتاة بقبول الشاب والدراهم التي في جيبه وكانت عبارة عن قطعة نقدية وحيدة من فئة (4 دورو ذهبية).² ودعا الولي الصالح منذ تلك اللحظة إلى تشجيع الزواج

¹ محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979، ص 278-289.

² مصطفى المسلماني، مرجع سبق ذكره، ص 38-40.

بهذا المهر الزهيد وكانت وصايته لأهله وسكان منطقته وظل الإقبال عليها إلى حد الآن بمناطق عدة من ولاية الشلف وضوحها بما فيها مدينة شرشال.

9- من هو الولي؟

تدل كلمة ولي على تلك الفئة من الشخصيات الدينية التي تحظى بتكريم خاص من جانب الناس ولكنها لا تنتهي مع ذلك فئة الأنبياء أو غيرها من الشخصيات الدينية المقدسة، ولذلك أستعين بكلمة "أولياء" عن كافة الأسماء والألقاب الأخرى كالمشايع وأهل الله، ونلقى أسماء كثيرة تطلق على الولي Wali منها شريف Cherif، يزيد Yazid، المجذوب Madjdub.

وحسب بعض الناس أن هؤلاء الناس أي الأولياء لهم قوة عجيبة يطلق عليها اسم بركة وهم كذلك أناس مثقفون يستطيعون برهنة قوتهم التي استمدوها من الله وهي فضل ونعمة يجب على الأشخاص احترامهم¹. والأولياء في المعتقد الشعبي هم بعض الصالحين يتميزون بالتقوى ويظهرون من المكرامات ما يدل على جدارتهم بقلب الولاية. وفي نظر الدين فقد جاء في كتابه العزيز من سورة يونس الآية (61-64) "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشري في حياة الدنيا، وفي الآخرة، لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم" من هذه الآية الكريمة يتبين لنا أن أولياء الله هو الذين آمنوا وكانوا يتقون الذين كانوا في حياتهم الله عبادا مخلصين، لم يتجهوا بقلوبهم إلى غير الله ولم يقفوا بباب أحد سواه ولم يرفعوا أكف الضراعة إلا إليه، وكانوا يدعون الناس إلى هدى الله وشرعه وهم يحبون من الناس أن يسلكوا سبيلهم ويعبدون الله كما عبده².

¹ Chelhob (Joseph), **les structure du sacré chez les arabes**. Maisonneuve, Paris : 1964, P 41.

² محمود شلتوت، الفتاوى، القاهرة: مطابع دار القلم، الطبعة الثالثة، السنة غير مذكورة، ص 222.

وانطلاقاً من هذا فإن الدين الإسلامي الصحيح لا يعرف شيئاً يقال له مقامات الأولياء سوى ما يكون للمؤمنين المتقين عند ربهم من درجات، وإنما يعرف كما يعرف الناس أن لهم قبوراً وأن قبورهم كسائر الموتى المسلمين ويحرم تشيدها وزخرفتها وإقامة المقاصد عليها وتحرم الصلاة فيها والطوف بها والتمسح بجدرانها وتقبيلها ويحرم من وضع أستار وعمائم عليها وإيقاد شموع وثرثارات حولها مما يتهافت الناس عليه ويتسابقون في فعله على أنه قربة لله وتكريم للولي وهذا خروج عن حدود الله وارتكاب لما حرمه الله ورسوله في العقيدة والعمل، وإضاعة الأموال في غير فائدة وهذا هو التباين الحقيقي بين التصور الديني للأولياء والتصور الشعبي.

هناك بعض الأولياء الذين يستمدون مكانتهم من علاقتهم المخصصة مع بعض الأنبياء، كبعض المولودين من نسلهم وبعض صاحبائهم ورفقائهم كما أن هناك بعض الشخصيات التي تحظى بدرجة غير قليلة من التقديس والتكريم في نفوس الناس، والتي تقع على ذلك بين الأنبياء والأولياء كالخضر وإلياس في فلسطين وفي بعض أنحاء مصر، فكثير من هؤلاء الأولياء كانت شهرتهم الواسعة في تشكيل الطرق الصوفية المختلفة. وتقيم لهذه الطرق الصوفية احتفالات سنوية ونذكر على سبيل المثال أشهر الزوايا المنتشرة في المغرب العربي وهي تحمل اسم أحد الأولياء، كالقادرية، الشاذلية الأحمدية إلخ.¹

10-كرامات الأولياء:

الأولياء هم أشخاص صالحين في اعتقاد بعض الناس، الذين يتميزون بالجداراة والحكمة في أقوالهم وأفعالهم، وهم يسعون إلى خدمة الطائفة التابعة لهم، ويظهرون من الكرامات ما يدل على جدارتهم بلقب الولاية.

¹ محمد الجوهري، مرجع سبق ذكره، ص 153-154.

فالأولياء يستطيعون ممارسة العديد من المعجزات، ويمكننا تقديم قائمة بأشهر المعجزات التي تنسب للأولياء، والتي تتعارض في أغلبها مع أصول الدين وقواعد المنطق مثل: إحياء الموتى، مخاطبة الأولياء للموتى، تجفيف البحر... إلخ.

والملاحظ على تلك المعجزات أنها مستخلصة من حكايات الأولياء، وهي بهذا السبب تعكس لنا بكل جلاء التصور الشعبي للولي من حيث طبيعته، وإمكاناته وقدراته، وهي قبل هذا وبعده مبرر ولايته، واعتقاد الناس في بركته (...). ونجد أن الناس يلجؤون إلى الولي في الكثير من المحاكم والأمور العارضة في حياتهم، والشيء الملفت للنظر هو أن كافة الممارسات ترتبط بالنساء ارتباطا مباشرا، وأن علاقة الذكور بالولي لا تتعدى الزيارة وقراءة الفاتحة أو الوفاء بقدر معين قد يكون طلاء ضريح الشيخ أو شراء كسوة¹.

إن كرامة الأولياء تتجلى في الاعتقاد الشعبي ببركتهم، وكذا في المعجزات المستخلصة من الخرافات والأساطير، ومن بين الأولياء التي تحظى بالكرامات نجد سيدي معمر والذي يتميز بمكانة عالية عند أصحابه من احترام وتقدير، فهم يلجؤون إليه وقت الشدة أو الاستشارة في أمور خاصة.

11- كيف يصبح الشخص مقدسا أو وليا:

إن المقدس هو الولي الذي يعتبر المقرب من الله، وهذه الكلمة مشتقة من أصل "ول" يعنى القرب، والقديس هو الإنسان الصالح، الوفي، الصديق، العارف بالله فنسيان النفس

¹ الجوهري محمد، مرجع سبق ذكره ص 48.

*الكسوة: هي الإسم المحلي للقماش الذي يوضع على قبر الولي (الشيخ).

والابتعاد عن ملاهي الدنيا والمشاركة في الحياة الدينية والقوة الإلهية والتخلي عن العالم المدنس وقلب القيم المركزة على المصلحة الشخصية¹.

فالولي هو دائما في اتصال مع الله، حيث يستطيع إنتاج الشيء الذي ليس له وجود (....) وإظهار الشيء المخفي، وإخفاء الشيء الظاهر، وحتى اجتياز المسافات الكبيرة في زمن قصير ورؤية الأشياء الصعبة ووصفها (..) فالأولياء هم أصدقاء الله الذين وضع بين أيديهم التحكم في العالم (...) ومهما يكن فالمسلمون دائما يرون أن الأولياء هم أناس ناذرون ومقدسین ذوي امتيازات².

فالأولياء يكتسبون مكانتهم عن طريق نشاطهم الديني والمتمثل في تحفيظ القرآن وتعليم أصول الدين الإسلامي ونشره في القرى، ونظرا للمهمة التي يقومون بها، جعلت الناس يقدرونهم ويلجؤون إليهم عند الشدة، فهم يضعون فيهم كل الثقة باعتبارهم أولياء صالحين ومقربين من الله.

فالولي له مكانة مقدسة سواء عند الأميين أو المثقفين، حيث يقوم البعض منهم بزيارته والتضرع له في وقت الفرح والفرح.

هذا وقد جرت العادة في كثير من الجهات التي بها الزوايا وأضرحة الأولياء المشهورين أن تذهب الشابة - البائرة- إلى زيارتها للتشفع بهم لكي تحل عقدتها (...) ومن العادات والطرق التي تلجأ إليها الزوجة العقيم أو التي تأخر حملها أن تذهب لزيارة ضريح ولي لأنها تفسر هذه الحالات بأنه متسبب عن السحر والأعمال الشريرة.³

¹ - Dermen Gheim Emile, **culte des saints dans l'islam maghrebin**, Paris :Ed. Galimard, 1954, P24.

² A.Certeux.E.Henny , **l'Algérie traditionnelle**, Paris :Maisonnouve, 1964, PP93-94.

³ دياب فوزية، مرجع سبق ذكره، ص 250-306.

ومن بين الأناس الصالحين نجد "سيدي معمر" والذي يعتبر ولي من أولياء الله الصالحين، والذي وضع قانون لحل مشكلة المهر والزواج، وبهذا أصبح لها مكانته الخاصة في نفوس أفراد قبيلته والتابعين له، قانون لحل مشكلة المهر والزواج، وبهذا أصبح لها مكانته الخاصة في نفوس أفراد قبيلته والتابعين له، وبالتالي أصبحوا يلجؤون إليه وقت الشدة، وهذا رغم ارتقاء الأفراد مستوى معين من التعليم، ورغم التغيرات الاجتماعية والاقتصادية. إلا أن الناس مازالوا يميلون إلى مثل هذه الزيارات والممارسات.

12- مكانة الأولياء في المجتمع الجزائري

إن للأولياء مكانة كبيرة في المجتمع المغربي عامة والمجتمع الجزائري خاصة ، هذه المكانة التي اكتسبوها عن طريق نشاطهم الديني المتمثل في تحفيظ القرآن وتعليم أصول الدين الإسلامي ونشره في القرى والمدن . وتجلت هذه المكانة أيضا أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر ، حيث استطاعت هاته الفئة من الناس (الأولياء) الحفاظ على التقاليد والتمسك بها، والحفاظ على الدين الإسلامي رغم مقاومة الحكومة الفرنسية للزوايا ومحاولة القضاء عليها، ونظرا لهذه المهمة التي يقومون بها جعلت الناس يلتقون حولهم ويقدرتهم، إذ يضعون فيهم الثقة فيلجؤون إليهم عند الحاجة لمساعدتهم سواء كان ذلك من أجل الشفاء أو الاستشارة. والأولياء يحضون بمكانة خاصة عند النساء، وهذا ما إلتمسناه من خلال اتصالنا بالميدان، حيث وجدنا أن المرأة هي الأكثر تقديسا للأولياء في المجتمع الجزائري، وذلك لأنها تجد نفسها وحيدة، فهي تلجأ إلى هؤلاء الأولياء للتعبير عن الشعور بالضيق، والحاجة إلى الاستغاثة، وهذا عكس الرجل الذي لا يهتم بمثل هذه الممارسات، باعتباره له المكان للجوء إليه مثل المقهى وذلك عندما يحس بالضيق.

13-مظاهر تقديس الأولياء :

أن تقديس الحي للميت ظاهرة قديمة ،وفي هذا الشأن يذكر العالم تايلور :¹ "إن عبادة الأجداد نشأت من الاعتقاد بالأرواح ،فالآباء والأجداد في القبائل البدائية بيدهم مقاليد الأمور لأنهم اخبروا بشؤون الحياة ،فإذا ماتوا فإن ارواحهم ترفرف في سماء لأسرة لتقيها شر النوائب هذا الاعتقاد هو الذي حمل البشر على عبادة الأسلاف ¹. إن الاعتقاد بضرورة تقديس أرواح الموتى يفسر لنا مجموعة من الممارسات الدينية التي سادت في المجتمعات التاريخية ،فهذه الأرواح لها الرغبات والميول نفسها التي كانت تنزع إليها بالضحايا والقربان². كما ان الكرامات التي عايشها الإنسان في الولي ولامسها اثناء حياته هي التي دفعته الى تقديسه بعد موته. مثل تحويل شئ الى شيء آخر مطلوب، التنبؤ بالمستقبل لحوار مع الجن والموتى، تسكين الرياح وغيرها.

أ-تقديس مكان أو ضريح الولي: تتجلى ظاهرة تقديس الأولياء من خلال سلوكات معينة التي يقوم بها الإنسان أثناء العبور من قربها أو أثناء الدخول لزيارتها. وأول شئ يلفت الإنتباه هو:نزع الزائر الحذاء أو النعل والدخول حافي القدمين ثم إشعال الشموع والطواف حول الضريح ،في خضوع وإذلال وتقبيل التابوت،ومسح الوجه بالتراب ذلك اعتقادا منهم لدفع الضرر والأذى ، وجلب الحظ السعيد والبركة بعد الخروج من الضريح يقدمون نقودا (زيارة) للمقدم ،وهي بمثابة صدقة في اعتقادهم لتعود عليهم الزيارة بنفع، وتحصل البركة وتتحقق أغراضهم وأهدافهم .

¹ -الهامشي طه، تاريخ الأديان وفلسفتها، بيروت، 1978، ص.68

² -سعيد صناوي، مدخل إلى علم الاجتماع الأدب، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1994، ص207.

ب- طقوس الزيارة:

تقوم العائلات المعمرية قبل موعد الزفاف بأسبوع، أو أربعة أيام بمجموعة من الطقوس التي تخص الولي سيدي معمر، حيث تذهب مجموعة من النساء ومعهم العروس لزيارة ضريح الولي "سيدي معمر" الموجود بتنس، لابد أن تكون الزيارة مصحوبة بالنية للحصول على بركة الولي ويحملن معهم الزيارة المتمثلة في الشموع التي يقمن بإشعالها داخل الضريح فهي ترمز للتطهير وبخور قصد تعطير المكان، وحناء التي نجدها في اغلب الأحيان على جدران الضريح على شكل يد (خامسة) مخصصة بالحناء وهي بمثابة عهد يقطعه الزائر على نفسه أمام الولي بأنه سوف يطبق كل احكام عرف الولي "سيدي معمر"، وأقمشة ذات لون أبيض، أخضر وأحمر لتجديد غطاء التابوت إضافة إلى تحضير حلوة الروينة تصنع من دقيق الشغير ويضاف لها سكر وماء الورد ويتم بعها تشكيلها على شكل كرات صغيرة، ومن طقوس الزيارة أيضا إقامة الوعدة تقديم الذبائح خروف أو دجاجة أو ديك، وطبخها مع الكسكس وتوزيعها على الحضور أو الفقراء وكذلك تقديم الزيارة أي مبلغ من المال لحارس المكان يسمى "لوكيل" أو "لوكيلا"، هذه عبارة عن طقوس الزيارة الضرورية قبل الزواج وهناك طقوس أخرى بعده، لتقادي لعنة الولي وغضبه وبتالي تحقيق اغراضهم الحصول على البركة والرضا .

ج- إرتفاع مكان الولي أو الضريح:

إن مجمل الأضرحة بنيت في أماكن مرتفعة كضريح الولي "سيدي معمر". فما السبب في إرتفاع المكان؟ إن المكان المرتفع مقدس منذ القدم إن سيدنا موسى عليه السلام لما طلب من ربه المكاشفة قال انظر الى الجبل فإن إستقر مكانه فسوف تراني. أما في

المعتقد الشعبي فإن الولي يتربع فوق فوق المكان المرتفع ليحمي البلاد، ويحرسها من كل شر.

د- وصف الضريح:

يوجد ضريح "سيدي معمر" في مكان مرتفع با بلدية لحلاف ولاية غليزان، له شكل مربع لونه أبيض فوقه قبة كبيرة لونها أخضر بداخله قبر الولي "سيدي معمر" ويوجد في وسط الغرفة وعليه قطعا من القماش الأبيض والأخضر والأحمر وما يلفت الإنتباه هو وجود اللون الأخضر والأبيض داخل، وخارج الضريح. وذلك في اعتقادهم أن الأبيض رمز للحكمة والصفاء والخير، فيرى البعض ان اللون الأخضر هو لون الهدوء والراحة، والشفاء فالأخضر رمز صوفي قديم.

كما يمثل هذا اللون لباس الصالحين في الجنة طبقا لقوله تعالى: "أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق"¹(الكهف الآية 13). ويوجد حول الضريح فناء يجتمع أو يجلس فيه الزائرون حين لإقامة الوعدة، كما توجد غرف مخصصة لإيواء الزائرين القادمين من بعيد.

¹ -سورة الكهف: الآية 13.

14-نبذة تاريخية عن عرف سيدي معمر

أ- من هو سيدي معمر؟

سيدي معمر بومكحلة، بالعالية، هو رجل دين مختص في علم القرآن جاء إلى تلمسان في القرن الخامس عشر مرورا بمازونة، درس القرآن، وعلم العقيدة الصحيحة لسكان الصحراء وعلى إثر الدراسات والأبحاث التي انتقيت من الشعراء الذين كانوا ينغمون به ويمدحونه، والذين يذكرون اسم أمة ألعالية وسلالته، جعلت الكثير من الباحثين يتساءلون: هل سيدي معمر الموجود في "تلمسان"، أم "بتيميمون"، أم في بلاد القبائل، أم هو سيدي معمر الأتي من تونس، أم المنتسب إلى أولاد سيدي الشيخ، المنحدرين من سلالة "أبو بكر الصديق" - رضي الله عنه - وعند وفاته دفن في منطقة "عمى موسى" بغليزان¹.

ب - عرف سيدي معمر:

نظرا لكون هذه التقاليد نعمة لا مفر منها لو اتبعها المجتمع لخلصنا خاصة في حل مشكلة الزواج والمهر الذي أصبح يتطلب مصاريف خيالية لبناء أسرة، ومشكلة وغلاء المهر كانت مطروحة منذ قدم الزمن، مما جعل أحد أولياء الله الصالحين المدعو: سيدي معمر أن يفكر في طريقة سهلة وهي الزواج بأربعة دورو² فقط تدفع كمهر ويتبعها شروط أخرى، وهذا العرف متمركز في منطقة الشلف - تنس - شرشال، وتلك الشروط كانت سهلة متمثلة في تحديد المهر بأربعة دورو، إضافة إلى كبش، قنطار سميد - دهان - قماش، أما الشروط الأخرى من الجهاز والمصوغ الذهبي القليل تؤجل بعد ليلة الدخلة والزفاف.

¹-CH.OUGOUAG KEZZAL, « le sadaq et le mariage suivant le (Urf) rite de sidi Ma'amar ». Thèse de doctorat, Alger : 1971, P236 .

² - أربعة دورو: تعنى حبة لويز - . Un louis de Ving francs .

فهذا الولي الصالح قام بتقليل من قيمة المهر آنذاك نظرا للغلاء الفاحش في المهور، حيث راح بعض الآباء إلى تحديد قيمة المهر عن طريق وزن بناتهم ذهباً، خاصة الأمهات كونهن يشترطن مهوراً غالية جداً كقول بعضهن: "بنتي عزيزة وغالية، كل شعرة منها بألف"¹. والزواج المطبق في هذا العرف أو زواج سيدي معمر هو زواج سهل وبسيط فهو في متناول أي شخص امرأة أو رجل أراد بناء أسرة لأنه مستمد من الدين الإسلامي الذي في الكثير من نصوصه يسهل للمرء الزواج كحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم: "التمسوا ولو خاتم من حديد" والشيء المعروف أن المنتمين إلى هذا العرف أنواع: فمنهم المنتمى بالنسب أي "سيدي معمر" جده المنتمى بالرضاعة، بالشراء وأخيراً بالمصاهرة.

شخصية الولي سيدي معمر بين التاريخ الشفهي والمكتوب:

تعد شخصية سيدي معمر واحدة من الشخصيات التاريخية الغامضة ما يجعل عملية دراستها دراسة تاريخية علمية صعبة للغاية لسبب واحد يتمثل في ندرة إن لم نقل انعدام المصادر التاريخية التي تحدثت عنها. ولدراسة هذه الشخصية يجد الباحث نفسه مضطراً إلى اللجوء والإعتماد على الروايات الشفوية المتوارثة أبا عن جد والتي لا يمكن بأي حال من الأحوال التسليم بها كونها تفتقر في أغلب الأحيان لأدنى مقومات الروح العلمية بفعل ارتباطها بالمشاعر البشرية التي تختلف باختلاف الأشخاص، وفي نفس الوقت من غير المنطقي إهمالها واجتنابها لسببين: الأول وقد أشرنا إليه والمتمثل في قلة المصادر الكتابية، أما السبب الثاني فيتمثل في كون الروايات الشفوية تدخل في الذاكرة الجماعية للأفراد والتي يجب مراعاتها في أي دراسة ترتبط بالمجتمع.

¹ -Ibid: P 235.

ولعل أهم ما يميز سيدي معمر كثرة الروايات الشفوية التي تتحدث عن طبيعة هذه الشخصية فمنها ما تذكر أن سيدي معمر كان رجل حرب وأخرى تقول أنه رجل سلم وسلام، في حين نجد بعض الروايات تذكره على أنه كبير قوم وقائد، والبعض الآخر تقول أنه كان زاهدا ومتصوفا، متفرغا للعبادة ونشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف مستدلين بقضية المهر التي اشتهر بها.

أ-سيدي معمر: النسب والتسمية:

ينحدر سيدي معمر من الصحابي الجليل أبو بكر الصديق، هذا ما تؤكد بعض الروايات التي تناولت نسب سيدي معمر، أهمها أربع روايات تتفق كلها في عدد حلقات السلسلة النسبية المكونة من 19 حلقة* في كل رواية تنتهي كلها عند الصحابي الجليل أبو بكر الصديق، والروايات هي:

الرواية 1: سلالة هذه الشخصية منتشرة في الجنوب الغربي الجزائري منقولة في وثيقة بعنوان المختصر المجهول لأولاد سيد الشيخ"هو معمر بن سليمان بن سعيد بن عقيل بن عبد الحفيظ بن محمد المدعو عسكر بن زياد بن عيسى بن حميان بن عقبة بن العباس بن التودي بن الشبلي بن حسين بن طفيل المدعو الزغاوي يزيد بن سفيان بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أي سلسلة من 19 حلقة*¹.

الرواية 2: وهي موجودة في الأبيض سيدي الشيخ"هو معمر بن سليمان بن سعيد بن عقيل بن حفص الملقب حرمة اله بن عساكر بن زيد بن حميد بن عيسى بن التادلي بن محمد المدعو الشبلي بن عيسى بن زيد بن يزيد بن طفيل المدعو الزغاوي بن سفيان

*-يحدد المؤرخون 100 سنة بثلاثة حلقات نسبية.

¹- المختصر المجهول هو ملخص من صفحتين ونصف متداول في زوايا الجنوب.

بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق¹، وهي نفس النسبية التي وجدناها مكتوبة عند أحد طلبة زاوية سيدي بالكبير بأدرار.

رواية³: وهي منقولة من وثيقة "مصنف الوعدة" عن روايات أولاد أحمد المجذوب" هو معمر بن سليمان بن سعيد بن عقيل بن حفيظ بن حرمة الله بن عساكر بن زيد بن أحمد بن عيسى بن تدر بن محمد بن شبل بن عيسى بن يزيد بن زيد بن طفيل بن زغوان بن صفوان بن محمد بن عبد الرحمن بن أبو بكر الصديق².

رواية⁴: وهي رواية نظميه نقلها حمزة بوبكر عن الشاعر محمد قاسمي "هو معمر بن سليمان بن سعيد بن عقيل بن حرمة الله بن عساكر بن زايد بن أحمد بن عيسى بن التادي (أو التودي) بن محمد بن عيسى بن زيدان بن طفيل بن المضيوي بن غزراوي بن زغوان بن صفوان بن محمد بن عبد الرحمن بن أبو بكر الصديق³.

التسمية:

من خلال الروايات الشفوية يمكننا القول أن سيدي أمعر عرف بكثرة التسميات منها:

1- أمعر أبو العالية:

كان العرب في القديم ينادون الأشخاص باسم الابن أو البنت البكر، وحسب بعض الروايات الشفوية يمكن أن تكون العالية البنت الكبرى لسيدي أمعر، وعرف في مناطق الغرب الجزائري بمعمر بلعالية اختصاراً لأبو العالية.

¹ -خليفة، بن عمارة. سيرة البوبكرية أجداد أولاد سيدي الشيخ، (ترجمة: محمد قندوسي). وهران: مكتبة جودي مسعود، 2002، ص04.

² -مختصر الوعدة، وثيقة مستنسخة من 12 صفحة، مقدمة من لجنة تحضير وعدة عسلة (ولاية النعامة)، 1994، ص02.

³ -Boubeker, H. op.cit, p 213.

وهناك بعض الروايات الشفوية ذكرت أمعر بأبو العالية نظرا لحنكته في المعارك، والموقع العالي لرمحه الذي يعلو الرماح الأخرى، وحسب هذه الروايات فإن سيدي أمعر كان رجل حرب.

2- أمعر بن العالية:

حاول بعض الباحثين معرفة أصل هذه التسمية الواردة في الروايات فتوصلوا إلى إمكانية أن يكون أحد إخوة محمد بن العالية الذي قدمه أرنو " أنه مكث عند عجوز بنواحي أولاد نايل، وبقي عند هذه المرأة التي تدعى العالية سبع سنوات، وبعدها أصبح يعرف بهذه الكنية.

3- أمعر بومكحلة:

ترتبط هذه التسمية بكرامات شخصية أمعر، حيث نجد ثلاث روايات حول هذا الاسم، الرواية الأولى تقول أن أمعر كان يدرس عند سيدي معيزة ستة أشهر في السنة ويدرس عند سيدي أمحمد بن علي ستة أشهر، وكان في تنقل دائم بين الشيخين، وفي إحدى المرات بينما كان عائدا من عند سيدي معيزة بتتس إلى سيدي أمحمد بن علي بمجاجة اعترضه قطاع طرق وكان يحمل قسبة في يده، فدعي الله أن ينجيه منهم فتحولت القسبة إلى بندقية (مكحلة) دافع بها عن نفسه، أما الرواية الثانية فتقول أنه كان جنديا برتبة عالية في جيش قبيلة حميس، شديد البأس والقوة، إذ سمي بـ "بومكحلة" للدلالة على الشجاعة، ولا يزال جزء من بندقيته موجود في ضريحه ببلدية لحلاف ولاية غليزان. أما الرواية الثالثة فتقول أنه عندما أنهى تعليمه عند سيدي معيزة بتتس منحه هذا الأخير قسبة كان قد ملأها بقطع ذهبية دون علم أمعر، وفي طريق عودته وتعبيرا عن فرحته أخذ ينفخ في القسبة فأخذت القطع النقدية تخرج في شكل طلقات تشبه طلقات البندقية.

4-أمعر بالمعراج:

يمكن ربط هذه التسمية بكرامات هذا الشخص المذكورة في الروايات المتداولة في بعض مناطق ولاية الشلف، تقول أن سيدي أمعر كان ينتقل رفقة الولي سيدي يحيا محلقيين في السماء بعد النهاية من متابعة دروسهما عند الشيخ سيدي أمحمد بن علي حيث تبدو هذه الرواية ضربا من الخيال.

5-امعر بوقبرين:

يرتبط هذا الاسم بمكان دفن سيدي أمعر، فبعض المخطوطات تقول أنه توفي بأربوات أو عربوات سنة 822هـ/1422م بالببيض، وهو مدفون بضريحه هناك في حين يقال أن هناك منطقة أخرى بها ضريح دفن فيه سيدي أمعر وهي منطقة لحلاف دائرة عمي موسى ولاية غليزان.

تعليمه وشيوخه:

تاريخيا لا نجد أي إشارة لتعليم سيدي امعر، لكن بالرجوع إلى الروايات الشفوية يمكننا معرفة ولو نسبيا طريقة تلقي هذه الشخصية للعلم والتي كانت وفق الطريقة الإسلامية الصرفة حيث تقول الروايات أنه حفظ القرآن الكريم ودرس السنة النبوية الشريفة في سن مبكرة، ثم أصبح ينتقل بين كبار شيوخ المنطقة، حيث درس في البداية عند الشيخ سيدي امحمد بن علي في زاويته المشهورة والموجودة حاليا في بلدية الأبيض مجاجة، ثم انتقل للدراسة بتتس العتيقة وبالضبط في مسجد سيدي معيزة أو بومعيزة على يد الشيخ سيدي معيزة، والروايات كلها تحصر مكان تلقي سيدي امعر في منطقة الشلف وتلمسان.

ب-المقام والوفاة:

تعتقد الدراسات التاريخية أنه تم طرد أحفاد أبو بكر الصديق من مكة إلى مصر ثم انتقلوا إلى تونس واستقروا بها. يذكر المختصر المجهول أن أبناء عبد الرحمن بن أبو بكر الصديق (ض) وهم: أحمد، عمر، محمد، علي، أبو القاسم، إبراهيم، قد طردهم السفاح أبو العباس وأخيه المنصور ففروا إلى تونس "وأول من تولى الحكم منهم هو السيد صفوان بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق"¹. استقرارهم في تونس يعطي فرضية ارتباطهم بالحفصيين، وانتقلت هذه المجموعة إلى شمال الجزائر بعد استتجاد قبائل بني توجين ومغراوة وبني منديل بالأمير الحفصي لمواجهة يغمراسن بن زيان ، والذي يكون قد توجه نحو الجنوب تقاديا للصراعات الداخلية، ولعل الأزوجة الشعبية المتداولة تؤكد هذا:

"غَالِي (علي) أَدِينِي لَخَوَالِي وَأَخَوَالِي فِي تُونِسْ وَعَشَاهُمْ بَرَكُوكْسْ"، مما يدل على أواصر المصاهرة والارتباط مع الدولة الحفصية.

وذكر تروميلي Trumelet, C "أن سيدي معمر أتى من تونس موطن ولادته وهناك يوجد قبر أحد إخوته، ومن هناك هاجر أو فر لسبب تافه بسبب صراع حول بطيخة مع سلطان إفريقيا (تونس)، ورغم كل ما حدث جاء وأقام فوق واد فليته في أسفل الضفة الغربية لجبل بونوكتة Bou-Nouktha"²، فهي رمزية شفوية حسب اعتقادنا تدل على صراع سياسي غامض، وهي نفسها الروايات التي تتداول عن أولاد سيدي الشيخ وأولاد نهار، وكذلك يعود نوويل Noël إلى فرضية "طرد سيدي معمر من طرف أبي العباس الحفصي سنة 1370م"، وهناك رواية أخرى حسب بوبكر تقول أن سيدي معمر هاجر من تلمسان وليس من تونس "في طائفتين طائفة بني هلال يقودها سيدي معمر بالمعراج، وطائفة سويد

¹ - خليفة بن عمار، مرجع سبق ذكره، ص 06.

² - Trumelet C. L'Algérie Légendaire، Alger : Adolphe Jourdan, 1982, p125.

يقودها الشيخ ماضي" ¹جدّ المواضي والشعانية الذي استقرّ بمنطقة الأغواط وأسس القرية التي تحمل اسمه . عين ماضي . لكن هذا لا يبدو واضحاً لان سويد هي فرع من فصيلة زغبة بني هلال.

أما أسباب هجرة سيدي معمر إلى تنس فتعدو إلى أن "أربوات كان يحكمها ممثل مجهول من قادة الخوارج المحليين (بعض المخطوطات تذكره تحت اسم: السلطان لكحل) في عهد الدولة الرستمية 296هـ/906م، وفي هذه الفترة كانت كل القبائل البربرية مراكز بدعة وإلحاد، وكان سيدي معمر والعرب الرحّل الذين أبعدوا من تلمسان قد عزموا على تطهير كل هذه المناطق من الخوارج، وإعلاء مذهبهم المالكي"²، ومساهمتهم في هذه الصراعات تمثلت أساساً في الهجرة من الجنوب إلى الشمال. يبدو هذا معقولاً في المناطق حضور الخوارج في "172-311هـ/788-923م، إذ حكموا أرشقول وهي على خمسة عشر ميلاً شمال تلمسان ومنهم من تنس"³، واعتمادهم بالأخص على الميناء لنقل السلع التجارية.

وفاة سيدي أمعمر:

توفي سيدي معمر حسب بعض المخطوطات بعد أن أرجع الناس إلى الطريق المستقيم. حوالي القرن التاسع الهجري أي الخامس عشر الميلادي وبالضبط سنة 822هـ/1422م بأربوات، ولا يوجد أي دليل يؤكد أنّ جثمانه مدفون في أربوات، خاصة أنّ هناك منطقة أخرى يقال أنه مدفون بها وهي منطقة لحلاف التابعة لدائرة عمي موسى ولاية غليزان.

¹-Boubeker, H. op.cit, p 217.

² -Ibid, p12.

³ - عبد الرحمن، الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص97.



صورة تمثل ضريح "سيدي معمر" من الداخل ببلدية لحلاف ولاية غليزان

المقامات والأضرحة:

في ولاية الشلف توجد الكثير من المقامات المنسوبة لسيدي امعرم والتي في الأصل هي عبارة عن محطات توقف عندها سيدي امعرم للراحة أثناء تنقلاته، ثم بنيت بها قباب للتبرك، ومن بين المقامات لدينا مقام سيدي امعرم تاع الطلعة، سيدي امعرم تاع الكرمة ببلدية بنايرية، ومقام سيدي امعرم بحميس التابع لبلدية بوزغاية، أما بالنسبة للأضرحة فلا يوجد بالشلف أي ضريح، في حين يوجد ضريح بلحلاف ولاية غليزان يقال أن جثمان سيدي امعرم مدفون به، وفي كل سنة ينظّم “ركب” وهو عبارة عن احتفال السنوي يقام في هذا الضريح.



صورة تمثل مقام "سيدي معمر" ببلدية بنايرية شلف

بعض القصائد المتداولة في منطقة الشلف في مدح سيدي امعمر
تعرف منطقة الشلف خاصة بلديتي تنس وبنايرية بكثرة القصائد الشعرية التي تمدح
سيدي امعمر، وهذه القصائد منتشرة خاصة بين الشيوخ والعجائز.

القصيدة الأولى

يا علايتي سيدي امعمر	يا علايت السادات
يا علايتي بو مكحلة	حرم الحميسيات
سيدي وسيد خاوتوا	والعالية الي رباتوا
سيدي امعمر قنوني	وأنت نور أعيوني

جيتك بجاه الله	جيتك يا مول البرهان
بجاه الله ترضى علينا	يا امعمر يا نور عينيا
سيدي امعمر يا ناس	راهو علينا عساس
سبحان من كان عليل	وبرا وصاب الراحة
الله يا الله يا الله	الله يا الله يا الله
سيدي امعمر رايس السادات	بيه الرجال تعلات
سيدي امعمر ولاد البيضات	والشموع بيه اضوات

القصيدة الثانية

قدمت ربي والنبي محمد	ونقدم الشيخ ما نخاف علي
عممت راسي بالحرير القاسي	في عرس خويا هاعمامة راسي
قدمت ربي والنبي محمد	ونقدم الشيخ ما نخاف عليه
عممت راسي بالعمامة الشاش	في عرس خويا القايد الشواش
قدمت ربي والنبي محمد	ونقدم الشيخ ما نخاف عليه
عممت راسي بالعمامة حرير	في عرس خويا القائد السفير
سيدي معمر قنوني	هاراس السادات
سيدي معمر قنوني	والرجال بيه علات
سيدي معمر قنوني	والشموع بيه ضوات
سيدي وسيد خواتاتو	والعالية اللي رباتو ولا يعاقبها مرات
سيدي معمر قنوني	فكاك الحصلات
سيدي معمر قنوني	ولاد البيضات

القصيدة الثالثة.

يا إمام أهل الله يا سيدنا أم عمر	جبتلك جاه الله أرضى علينا
اسمك معمر ومن ألقاك يعمر	يستفالو باسمك المومنين
جود بارضاك علي كاليمام لخضر	شاع في الاولين والآخرين
من ابجورك أروى حتى أضحي مخمر	من كيوسك اشرب شربة ابنينا
شاف فاللوح بعينين القلب وانظر	ما في الفوق وأسفل سافينا
كون من عند الله أعطاه علم فاطر	فاز بيه على الناس السابقين
بحر علم فايض نيل مصر	عذب زاخر ما ركبته سفينا
صار من احبة المصطفى الطاهر	خاتم الانبياء والمرسلين
لا تخيب ظن اللي راه فيك يشكر	افقير يطلب سائل ما السائلين
انت ونيس الغربة وارفيق كل خاطر	يا مدبب اقول الراحلين
من ايطيعك يريح ومن أعصاك يخسر	من ابخيته يضحي ما الساعدين
يا مغلي شان اللي هو رخيس باير	يا مشبب اوجوه الناحسين
يا موسع الضيق امسهل الواعر	يا مقرب لوطان الباعدين
يا مسلك الي محبوس والميسر	يا مسهل الامور الصاعبين
يا مغيث الي هم فالحش تكبر	يا مفرج كرب الشانقين
واك ربي جعلك ايمام لال محضر	بيك عمرت الناس الفايزين
بان نجمك واطلع فالسما منور	بدر في ثالث عشر كاملين

امحمد بن عثمان

الفصل السابع

تاريخ ميزاب ومؤسساته الاجتماعية

تمهيد

1. أصل ميزاب وموقعها الجغرافي
2. قرى بني ميزاب وديانتها
3. نظام العزاب في واد ميزاب
4. حلقة العزابة
5. وظائف أعضاء الحلقة
6. الهيئات المساعدة لحلقة العزابة
7. العشيرة
8. وظائف العشيرة
9. مجالس الأعيان
10. وظائف مجلس الأعيان وصلاحياته
11. الزواج في المجتمع الميزابي

تمهيد:

"إن الحديث عن ميزاب أشبه بسبر أغوار عالم مجهول دون معرفة هل إلى خروج من سبيل، رغم قلة عددهم نال شهرة كبيرة في الجزائر وعلى مستوى المغرب الكبير وذلك لانتشارهم فيه منذ قرون، وللمستوى الاستثنائي الذي بلغه نشاطهم الثقافي والاقتصادي والسياسي"¹، وبالرغم من شهرته لكونه المركز السياحي الثاني في الجزائر تبقى معرفته صعبة والتغلغل إلى اسراره عسيرا ولكن له مع ذلك جاذبية لا تقهر، وإنه يجب أن يكون كذلك حتى يتعلق ويعود إليه الميزابي دائما .

هذا ما كتبه المستشرق "كلود بفارد" في دراسته عن النظام الاجتماعي الميزابي الذي "بلغ التنظيم الاجتماعي به درجة من الدقة وإحكام جعلت أغلب الباحثين من المستشرقين المختصين في علوم المجتمع يجعلون لبحوثهم عناوين متواضعة مثل مدخل، محاولة، ملاحظة. فيبدأون باستشارة علماء الناحية ويطلبون مساعدتهم أثناء البحث، مثل ما فعل "دانجيل" و "قوسمان" و "لويكي" و "كوبر ليومن" أسباب هذه الصعوبة ما يزخر به واد ميزاب من ثروات تراثية متواصلة بلا انقطاع².

فمن هم الميزابيون، وما هو أصلهم، وأين يعيشون، وما هي التنظيمات الاجتماعية التي ينتظم فيها مجتمعهم؟ وغيرها من الأسئلة التي سنجيب عنها بصفة عامة من خلال هذا الفصل والذي يليه.

¹CLOUDE PAVARD : **LUMIERES DE M'ZAB**, Edition Delroisse, France.

²- ولد الخليفة محمد العربي، الجزائر المفكرة والتاريخية، أبعاد ومعالم، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 85.

1- أصل مزاب وموقعها الجغرافي:

أ - أصل ميزاب:

يقول "عبد الرحمان باكلي": " سكان ميزاب الأصليون من قبيلة بني مصعب البربرية فرع زناتة العظمى"¹.

* وأول ما عرف التاريخ من سكان هذا الوطن (الجزائر) إنما عرف البربر، وهم من سكان جماعة سيوة التي تنحدر من البلاد المصرية غربا وإلى الضفة وادي النيجر جنوبا.

وينقسم البربر إلى قسمين: البرانس والبتر كل فرع يتفرع إلى قبائل كثيرة، فشعب الزناتة الذي ينتمي إليه بنو مصعب، هو أحد الشعوب البتر، كان موطنه جنوب طرابلس بجوار نفوسة بليبيا، وفي جبال الأوراس، ومن مليانة إلى جنوب ملوية، وفي الصحراء ورجلة ووادي ميزاب والأغواط.

ومصعب هو "مصعب بن بادين" انتقل بنوه إلى الوادي مع بني إخوته بني عبد الواد وتجين وزرد الوهم من الطبقة الثانية من الزناتة لأسباب سياسية حسب "ابن خلدون" واستقروا به، وتتفرع زناتة إلى عدة فروع من بينها واسين، وتشمل واسين كل من بني مرين وبني راشد وبني بادين، وهذه الأخيرة ينتسب إليها بنو مصعب، ويقول 'ابن خلدون': "أفخاذ بادين مصاب الوطن المعروف بهم المدعو اليوم مزاب وقصور مصاب سكانها لهذا العهد شعوب بني بادين من بني عبد الواد وبني توجن ومصاب وبني زردال فيمن أنضاف إليهم من شعوب زناتة وإن كانت شهرتها مختصة بمصاب"².

¹ - بن باكير الحاج سعيد يوسف، تاريخ بني مزاب، دراسة إجتماعية وإقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، نهج طالبني أحمد غرداية، 1992، ص13.

² - الجيلالي عبد الرحمن المرجع السابق، ص25.

³ - عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون_المجلد السابع، دار الكتاب اللبناني لبنان، (د.س).

ب- أصل تسمية مزاب:

أطلق على المنطقة ثلاثة أسماء تطورت عبر العصور وهي: بادية بني مصعب وأرض الشبكة ووادي ميزاب، ويرجع سبب تحول الكلمة من مصعب إلى مزاب إلى أن من البربر من لا يستطيع نطق حرف العين محقة، إنما ينطق بها همزة وقد يسهلها إلى الألف، ثم أين تقارب مخارج حروف الصاد الضاد والزاي من جهة وتعد د اللهجات ولألسن من جهة أخرى وتقدم العهد من جهة ثالثة، أدى إلى تحول النطق لهذه الكلمة من مصعب إلى مزاب أو مزاب. ومما يؤيد هذا إبدال بني مزاب لحرف الصاد زايا في بعض الكلمات العربية مع تفخيمها مثل كلمتي الصلاة والصوم واللتين أصبحتا "تزاليت و "أزومي"، (وهذا يظهر جليا عندما نقرأ الآية: {يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم}¹ فيقرأ حرف الصاد زايا في كلمة . يصدر. هكذا "يزدر".

غير أن بحاز إبراهيم** يذكر أن تسمية " بنو مصعب " هو "الاسم الذي اختارته المصادر الاباضية دون غيرها من المصادر المعاصرة لها أو اللاحقة لها في حين يذكرهم ابن خلدون في كتاباته عن مزاب: ببني مصاب أو مضاب، "فلا شك أن مصاب أو مضاب هي الأصح

* إن بلاد مزاب كانت عامرة منذ أقدم العصور ،وقد ألقى : (بيير روفر) في الدورة الحادي عشر لمؤتمر ما قبل التاريخ ،المنعقدة بفرنسا ،محاضرة بين فيهل حصيلة بحوثه الميدانية في بلاد مزاب ذكر فيها بالتفصيل :11محطة من العصر الحجري الأول، وصف فيها ما جمع من أدوات ذلك العصر التي بلغ عددها :2959 أداة ،بالإضافة إلى ذلك ،فإن المنطقة غنية برسوم على الصخور ،تثبت أن إنسان ما قبل التاريخ استقر في هذه البلاد .هذه صخور ،نقشت عليها رموز حروف أمازيغية ،وأعداد ، ولعلها كانت بمثابة عقود بين البدو المتعاملين ، تسجل معاملاتهم الهامة ،و توجد رسوم أكثر قدما للحيوانات على بعض الصخور التي كلستها المياه المالحة ،يوم كانت أودية المنطقة بحر .

5الفران الكريم: سورة الزلزلة الآية06، رقم السورة 99.

بحاز إبراهيم: دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة منتوري قسنطينة /الجزائر ،جويلية 1997، أستاذ محاضر مثبت / قسم التاريخ،جامعة قسنطينة.*

بحاز إبراهيم: المزاييون و المعتزلة قراءة جديدة لنصوص قديمة، مجلة الحياة، عدد 1، معهد الحياة، نشر جمعية التراث، القرارة، جانفي 1998، ص125 .

والأدق أمّا مصعب أو بنو مصعب لا يعدو إلا أن يكون تعريباً لإسم بربري أما زيغي لا غير¹ والدليل على ذلك أنّ بنو مزاب أو مصاب ظلّوا يعرفون إلى يوم بمزاب و ليس بمصعب². أيضا لو كان الأمر كذلك. فلا يمكن أن نجد في اللسان الأمازيغي حروفا لا يستطيع أن ينطق بها هذا الأمازيغي، فمن التناقض أن نجد أسماء لشعوب والقبائل فيها حروف لا تستطيع السنة تلك شعوب النطق بها.

ت . تخصيص تسمية المنطقة بمزاب دون غيرهم من القبائل التي سكنت معهم:

نتيجة للصراعات بين بطون زناتة في فترات مختلفة اتجه المزابيون مع بعض من عموماتهم من بني زناتة إلى منطقة شمال الصحراء الكبرى واختاروا منطقة سميت فيما بعد سمي "وادي مزاب"، ومن قبل " كانوا أيضا يرتادون الإقليم وينتقلون فيه من مكان لآخر بحثا عن الأكل والماء على عادة البدو قبل الاستقرار النهائي للمزابيين"³. من خلال ما سجله ابن خلدون أن زناتة ومصاب خاصة كانوا هم الوحيدين الذين سكنوا المنطقة⁴.

ولما استقر المزابيون في مدنهم وقراهم ابتداء من قرن 5 هـ إلى 8 هـ إلى 14 م عرفت المنطقة بهم دون غيرهم من شعوب زناتة، اشتهرت بتلك التسمية لأسباب عديدة منها:⁵

- وفرة عدد بني مصاب في الإقليم، أي الوادي والبادية، مقارنة زناتة الأخرى.
- نشاط بني مصاب وحيويتهم مقارنة بغيرهم من القبائل زناتة الآخرين.
- أسبقية بني مصاب إلى الإقليم بحيث أقاموا فيه قبل أن تلحق بهم فروع زناتة الآخرين.

1. متياز إبراهيم، مرجع سبق ذكره ص124.

ث . مزاب جغرافيا:

إذا تأملنا مزاب من الأعلى ظهر لنا على شكل شبكة من الأودية، ويطلق إسم الشبكة على هضبة صخرية كلسية تقع شمال الصحراء الجزائرية، وتمتاز عن بقية المناطق الصحراوية المجاورة لها بطبيعتها القاسية، " فهي صحراء ضمن الصحراء، وتتخلل المنطقة أودية عديدة لا يتجاوز عمقها مائة متر، تتجه كلها من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي " لتنتهي عند بحيرة يكتنفها الرمال شمال غرب ورجلان. مركزها الحالي مدينة غرداية *وتبعد عن الجزائر العاصمة أزيد من 590 كلم جنوبا، حيث تقاطع مع دائرة العرض الشمالي 30 و 32 درجة، وخط الطول الشرقي 45.3 درجة. امتدادها من الشمال إلى الجنوب 450 كلم، ومن الشرق إلى الغرب من 200 إلى 250 كلم، ترتفع 486م عن مستوى سطح البحر.

المجموعة السباعية لمدن وادي مزاب تنقسم إلى قسمين مدينتا القرارة وبريان من جهة، ومن جهة أخرى مجموعة المدن الخمس الأخرى المتجاورة التي تقع على خط مسيل واد مزاب، وتمتد هذه المجموعة الخماسية مسافة ثمانية كيلومتر على النحو التالي ابتداء من أسفل الوادي إلى أعلاه: العطف، بنورة، بني يزقن، ملكية و أخيرا غرداية في قمة الهرم.

2. قرى بني مزاب وديانتها:

أ . نشأة وتأسيس قرى على واد مزاب:

المتجول في واد مزاب يلفت أنظاره بقايا أطلال ومعالم آثار لقصور وقرى مندثرة في بعض المرتفعات وأخرى في سفوح الجبال، مما يدلنا على أنه تشكل في وادي مزاب عبر مراحل تكونه عدة قرى، اندثر البعض منها وخراب نتيجة للغزو الأجنبي أو الفتن الداخلية،

أو كان السبب طبيعياً الناتج عن فيضانات الوادي، مما يضطر المتساكنون فيه إلى الصعود إلى قمة الجبل تحصناً من الواد ومن غارات الغزاة، فخلفوا ورائهم شواهد تدل على هذه القرى. وقد أسست هذه القرى التي كانت نتيجة لتجمعات سكانية تطورت حتى أصبحت قرى بعد أن كان أهلها يسكنون الخيام والغران، ونذكر منها:

أ- غرم نلتزضيت: تأسست سنة 95هـ، على بعد 6 كيلومترات جنوب شرق العطف.

ب. قرية "أخيرة": وهي تقع شرق العطف، لا يفصل بينهما سوى مجرى الواد.

ت. و "تمازارت": شمال ملتقي واد ميزاب بواد "أزويل"، يقال أن العلامة بسعيد بن بابكر أنشأها عندما إستقر بواد مزاب و كان من قبل يتردد إليه من وارجلان و يرشد سكانها المعتزلة إلى المذهب الإباضي.

ث. قرية "ترشين": الموجودة على يسار قرية بني يزقن الحالية، ولم يبق منها سوى أثر مسجدها ومحضره لتعليم القرآن.

ج. قرية "بوكياو": أسسها المعتزلة على جبل يشرف على أجنة لبني يزقن، لا تزال أطلالها تزار إلى اليوم.

ح. "أغرام أنوداي": ومعناها القرية السفلى، وتقع على سفح جبل بين ملكية الحالية والوادي أسست عام 395 هـ 1004 م، خربها أولاد عبيد الله * 13 عام 1123 م ولم يبق فيها إلاّ مسجدها.

هذه تسميات لبعض القصور الأولى التي اندثرت ولم يبق منها سوى أطلالها الشاهدة عليها، وقد تأسست قرى جديدة لا يزال البعض منها إلى يومنا هذا، وهي المكونة لما نسميه بالقصور السبعة لوادي مزاب، وهي مرتبة حسب تاريخ تأسيسها:

1. "تاجنيت" أو "العطف":

أقدم مدن مزاب الحالية، والأولى التي سكنها الإباضة، أسسها الشيخ خليفة بن أبغور المعتزلي سنة 402 هـ 1012م أقدم مدن مزاب الحالية، والأولى التي سكنها الإباضية، أسسها الشيخ خليفة بن أبغور المعتزلي سنة 402 هـ 1012م وهي أقرب مدينة لمصب الوادي.

"تاجنيت" تعني المكان المنخفض. و سبب تسميتها (?) بالعطف فهناك عدّة آراء منها ¹:

- العطف نسبة إلى بعض العائلات البربرية الزناتية التي سكنت هذه المدينة، ولا يزال هذا الاسم تلقب به بعض العائلات في وادي مزاب والأوراس بلقب "عطفاوي".
- وقيل أن الصحيح هو "تقنيت" و هي كلمة بربرية يقصد به إناء الشرب الذي يصنع محليا بسعف النخيل على شكل دائرة لأن هذه المدينة مرسومة على هذا الشكل.
- وهناك من يرى أن التسمية جاءت من منعطف الوادي لأن المدينة تظهر فجأة بعد منعطف الوادي.

2. "آت بونور" بونورة:

بونور إسم قبيلة بربرية. أسست عام 457 هـ 1065م وهي على جبل منقطع عن باقي الهضبة.

هل كان تسمية القصور في أول الأمر بالأسماء البربرية ثم عربت أم العكس، فلماذا يرجع بعض أصل التسميات إلى أسماء عربية، علما أن؟ (هذه القصور والقرى سكنتها عائلات بربرية لا تتحدث العربية)

1. بكير بن سعيد أوعوش، ميزاب يتكلم : تاريخها و عقائديا و اجتماعيا، المطبعة العربية ، غرداية ، 1993 ، ص:66.
67.

3. "تغردايت" أوغرداية:

معني الكلمة الأرض المسطحة الواقعة على ضفة مجرى الوادي، أسست عام 477هـ 1085م على جبل منقطع عن الوادي، وقيل أن تغردايت تغير لكلمة "أغرداي" الذي هو الجبل.¹

4. "آت يزجن" - "بني يسقن" - "بني يسجن" - "بني يزقن" - "بني إزقن":

أسست عام 720هـ 1321م. أصل تسمية المدينة "تافلالت" ولا يزال هذا الاسم يطلق على أول أحياء المدينة في الجزء الأعلى منها، وقد استقبلت هذه المدينة سكان القرى المجاورة المهجورة: "ترشين"، "تلات موسى"، "أقناوي"، "بوكاو"، "يقول طفيش":

"ففي أعمال قسنطينة قوم يسمى أولاد يزقن جاءت طائفة منهم إلى هذه القرية فنسبت إليهم".² ومنها يتبين أن "إزقن" إسم لقبيلة بربرية.³

5. "أتمليشت" أو "ملكية":

أسست عام 756هـ 1355م قريبا من أغرم أنواي من جهة الشمال وأكثر علو منه. "ويمكن سميت لرجال عمروها من بلاد تسمى مليكش، ومليكش قبيلة أمازيغية منتشرة شرق الجزائر".⁴ وهي آخر المدن المزابية الخمس الحالية تأسيسا على وادي مزاب.

¹ الحاج سعيد، مرجع سبق ذكره، ص22.

² الحاج سعيد، مرجع سبق ذكره، ص23.

³ الحاج سعيد، مرجع سبق ذكره، ص23.

⁴ الحاج سعيد، مرجع سبق ذكره، ص24.

6. قرية "بابا السعيد":

أقيمت غرب غرداية في أعلى جبل، يقال أنه عندما بلغ أهل غرداية خبر قدوم غزاة من بني العباس 790 هـ 1388 م انتقلوا إلى ذلك المقام و تحصنوا فيه ثم اشتبكوا معهم وانتصروا عليهم فدفنوا موتى الغزاة وما تركوا من أسلحة في موضعين معروفين إلى الآن.

7. "القرارة":

تقع القرارة على بعد 90 كلم في الشمال الشرقي لغرداية، وعن توقرت بنحو 180 كلم. وكون موقعها على طريق القوافل جعل سوقها يتردد إليها الأرباع وأولاد نايل وأعرب تقرت وبسكرة.

استقر حوالي القرارة أولاد الشرفة ومغازي وأولاد السائح وأولاد الزناجرة والعطاطشة وكلهم مالكية، وأنظم إلى أولاد باخة من الإباضية أولاد بالة من وارجلان، ثم جد الناشبة من غرداية "الشيخ صالح" الذي قدمه القراريون للوعظ والإرشاد، والفتوى بعد ذلك بعض العائلات من مليكة.

أما العفافة الذين نزلوا بمنطقة تسمى بالكبش انتقل والى موضع آخر ، وهو الموضع الحالي لبريان، ويقع على ملتقى واد السودان وواد بالوح، و ذلك سنة 1090 هـ كما يلاحظ على مئذنة مسجد بريان نفس تاريخ بنائها عام 1101 هـ .أما سبب تسميتها بهذا الاسم هي أن بريان نسبة إلى 'آت برقان' ، و 'برقان' و لفظة بربرية وهي خيمة مصنوعة من الوبر وشعر الماعز و تمتاز بريان بمنسوجاتها الصوفية البيضاء عن باقي منسوجات غيره من مدن وادي مزاب ، وهناك من يرجع أو يعلل التسمية تعليلا جغرافيا إذا يرى أن موقع المدينة

كان يسمى قديماً بـبريان من طرف رعاة غرداية الذين يقصدونه لكثرة مياهه الموجودة في أوديته.¹

ت . مذاهب وديانة بني مزاب:

ديانة المزابيين كانت كغيرها من الديانات السائدة في تلك المراحل. كما يقول دبور: "كان للبربر دين وثني جاؤوا به من الشرق، وكانوا يعتقدون أن لهذا الكون إله يدبر هذا الكون، ولكن لا ذات له ترى، وإنما تتجلى لهم في المظاهر التي تروعونهم بقوتها أو بغرابتها فلذلك يعبدون تلك المظاهر".²

وبعد انتهاء الفتح الإسلامي في شمال إفريقيا عام 84 هـ 307م اعتنق البربر الإسلام وساهموا في نشره، ولما ظهرت المذاهب الفقهية سبقت إلى بني مصاب أصول المعتزلة فأخذوا بها، وكانوا يسمون وأصلية، نسبة إلى واصل بن عطاء.³

ويقول مطياز: "المعتزلة الذين كانوا في هذا الوطن... كانوا منعزلين عن بني رستم بل كانوا يحاربون الرستميين".⁴

1 . الحاج سعيد، مرجع، سبق ذكره، ص63.

2 . دبوز محمد علي، مرجع سبق ذكره، ص23.

3 . واصل بن عطاء: 13180 هـ / 699 . 748م ، وقد كان من ابرز تلامذة الحسن البصري، وقع خلاف بينه وبين أستاذة حول مصير المؤمن العاصي الذي يموت مصرًا على كبيرة من الذنوب، فقال الحسن البصري "هو مؤمن عاص لا غير " في حين قال تلميذه واصل إنه ليس بمؤمن ولا كافر وإنما هو فاسق منافق، هو في منزلة بين المنزلتين منزلة الإيمان ومنزلة الكفر، فانزوى واصل بزاوية جامع البصرة، فكان الحسن يقول: أن واصل اعتزل عتًا. بخاز إبراهيم: المزابيون المعتزلة، ص127.

4 . ماتياز إبراهيم ، تاريخ بني مزاب _، ص6 (مخطوط) ، نقلًا عن الحاج سعيد :تاريخ بني مزاب _ . مرجع سابق.

*تعرف مختصر عن المذهب الإباضي : أنظر الملحق.

** من علماء حبل نفوسة بليبيا، أنظر الملحق: تراجم وسير.

ث . تحول المزبيين من الاعتزال إلى المذهب الإباضي:

يجمع المؤرخون على أن تحول المزبيين من الاعتزال إلى المذهب الإباضي يرجع سببه إلى الدعوة التي قام بها الداعية الإباضي أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي النفوسي ** في القرن الخامس الهجري وعلي امتداد زمني طويل ذلك " عندما كان يبحث عن ملجأ يوؤي إليه الإباضيون الذين أرادوا الفرار بدينهم من الملاحقة و الاضطهاد " ¹ ، فوقع اختياره على منطقة مزاب ، إذ كانت له معرفة مسبقة بها ، وقد نزل أول الأمر بقصر العطف أين بدأ دعوته بها ، "ولم تكن دعوته بالأمر السهل فقد لقي معارضة منهم كما أنهم قتلوا أحدهم أبنائه" ².

هذا مما يدلنا على أن المزبيين سكنوا المنطقة قبل أن تأتي وفود بني رستم بعد سقوط الدولة الرستمية على يد عبد الله الشيعي، أو بعد سقوط سدراتة في منطقة واجلان _ورقلة حاليا.

1. المؤسسات الاجتماعية في ميزاب:

كان النظام السائد في قرى بني مصاب نظام القبائل، أي كل قبيلة تحكم وتدير شؤونها بنفسها إذ كان لكل قبيلة مجلس تنتخبه بواسطة أعيانها. وإذا ضمت القرية عدة قبائل قدمت كل قبيلة من يمثلها في المجلس، ويرأس المجلس رئيس ينتخبه الأعضاء من بينهم، إن هذا المجلس هو الذي يدير أمور القرية ويسن قوانينها، ويفض خصومها،

¹. ماتياز إبراهيم، تاريخ بني مزاب، (مخطوط) نقلا عن الحاج سعيد، ص 23.

². ويقول أطفيش: " وكان يشتي (أبو عبد الله بن بكر) في أريغ وبريع في البراري عند بادية بني مصعب (مصاب) وغيرهم وكانوا واصلية على مذهب واصل بن عطاء وهم معتزلة فرد بعضهم إلى الوهبة " ويذكر أن استجاب بني (مصاب) للشيخ أبي عبد الله بن بكر لا عتناق المذهب الإباضي لم تكن بالأمر السهل، إذا قتلوا أحد أبنائه وهو إبراهيم، كما أن هذه الاستجابة لم تكن جماعية وفورية. فقد ظل كثير منهم على اعتزاله

إنه المجلس التشريعي، والقضائي. ورئيس المجلس هو القوة التنفيذية. "أيد هذا النظام الديمقراطي ما جبل عليه البربر من حب الاستقلال، والاعتداد بالنفس والاعتماد عليها، فكر هوا أن يسوسهم أمير واحد، قد يجور عليهم، فيعاملهم بما لا يوافق مزاجهم."¹

2. المؤسسات الاجتماعية في ميزاب:

التنظيمات العرفية في ميزاب هي مؤسسات اجتماعية تهتم بتسيير شؤون واد مزاب، وتحاول الحفاظ على كيانه ووحدته ولها قيمة كبيرة على المستوى الاجتماعي والديني في المنطقة، ويعتبر الدين المرجعية الأساسية لها، كما تمتاز هذه المؤسسات بتنظيم خاص وبالفعالية في القيام بالأدوار المنوطة.

2. نظام العزابة في واد ميزاب:

أيها المسلم: إن عالمنا الإسلامي كله، لايزال تحت وطأة الثقافة الغربية والشرقية على السواء في سلوكه.

ولا يمكننا أن نزيل جذور هذه الوطأة الثقافية الغربية إلا بالرجوع إلى حضارتنا الإسلامية الأصلية، وأن نظام العزابة ما هو إلا مظهر تربوي من مظاهر حضارتنا الإسلامية العريقة انطلاقاً من هذا يجدر بنا أن نبين طبيعته.

أ. لماذا لجأ الإباضية إلى نظام العزابة؟

إن الإباضية قد أدركوا كل الإدراك أن الإمامة الإسلامية القائمة على التقوى والشورى، لا يمكن تحقيقها في هذه الحال، لأن الإباضية لا قوة لهم في هذا الأمر، ومن

¹. الحاج سعيد: مرجع سبق ذكره، ص 27.

هنا فقد لجأ الإباضية إلى نظام العزابة حفاظا على وجودهم وعقائدهم المتناقضة مع الشيعة الحاكمة آنذاك، التي تجعل حكمها قائما على الإمام المعصوم الذي رفع إلى درجة الألوهية. وهذا الإمام سيكون شافعا لأنصاره يوم القيامة. وعلى ضوء هذه الحقائق التاريخية، فكر الإباضية في نظام العزابة للحفاظ على كيانهم ومذهبهم ولولا هذا النظام الإسلامي لاندثروا. يقول الأستاذ محمد الطالبي التونسي: (إن الطريقة التي مكنت أصحاب المذهب الإباضي من المحافظة على كيانهم نظام العزابة الذي بقي قائما بجزيرة إلى عهد ليس بالبعيد، والذي بقي العمل به إلى اليوم في وادي ميزاب، فهذا النظام الجدير بالعناية والبحث لا لأنه يفيد أيضا الباحث الاجتماعي المعاصر كما أنه يمثل مظاهر من مظاهر حضارتنا وتقاليدنا. بل قد يجد علماء الاجتماع عامة شكلا اجتماعيا رهن على نجاعته وفاعليته طوال قرون عديدة)¹.

وبعد هذا الدليل الواضح نقول من أسس هذا النظام الاجتماعي؟ في أي مكان وأي زمان؟

ب . العلامة أبو عبد الله محمد بن بكر الفرس طائي ودوره في تأسيس العزابة:

إذا تصفح الباحث المصادر الإباضية القديمة والحديثة يجدها أنها تخبرنا بأن أول مؤسس لحلقة العزابة هو العلامة أبو عبد الله محمد بن بكر الفرس طائي الذي ولد بمدينة فرسطة التي تقع في جبل نفوسة بليبيا أما ولادته فكانت سنة 345هـ تقريبا.

¹ بكير بن سعيد أغوش، ميزاب يتكلم تاريخيا. عقائدا واجتماعيا، غرداية، المطبعة العربية، 1993، ص50.

إن أبا عبد الله محمد بن بكر أصبح هو وتلاميذه ينتقلون في ليبيا والجريد وأريغ ووارجلان ووادي ميزاب يدعون المسلمين إلى النظام الإسلامي القائم على الأخلاق القرآنية لاسيما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر العلم الصحيح والتضحية.

والجدير بالذكر أن وادي ميزاب كان على مذهب الاعتزال قبل قدوم الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي الذي أرجعه إلى المذهب الإباضي يقول الشيخ الدرجيني المتوفى سنة 670 هـ رحمه الله (بلغنا أن عبد الله كان يخرج للحلقة في أوان الربيع إلى بوادي بني مصعب لمآرب منها أنه كان يطلب بذلك راحة خاطره وخواطر التلاميذ، وأيضا فإن بني مصعب . كانوا واصلة . أي معتزلة . فعمت عليهم بركته ، فرجعوا إلى دين الحق ، والطريقة المرضية) ومن المنطلق التاريخي فأننا نقول: إن أبا عبد الله محمد بن بكر قد سكن أول مرة مدينة العطف وله مقام معروف إلى يومنا هذا ، في العطف وشرع يدرس ويعلم طلابه الشريعة الإسلامية ونبغ من بين هؤلاء، أبو الربيع سليمان بن يخلف وأبو الخطاب عبد السلام، والشيخ إبراهيم بن مناد العطفاوي ،والشيخ بابا سعد الغر داوي وبعد هذا العمل المضني الشاق المثمر الهادف إلي خدمة الإسلام انتقل إلي رحمة الله سنة 440 هـ في مدينة أجلو. أي مدينة بلدة أعمر وهي تقع جنوب تقرت وقبره مشهور وهو يزار إلي اليوم لاسيما من أولاد سيدي السائح الذين ينتسبون إلى هذا العالم العظيم.

ج . مجلس العزابة والشروط الأساسية للانتساب إليه:

إن رجل العزابة هو رجل عمل وعلم للدنيا والآخرة، جاء لخدمة الإسلام ويبعد نفسه عن زينة الحياة الدنيا والسعي الكلي وراء المادة، ثم عليه الالتزام بالأخلاق القرآنية علما وورعا وتضحية في سبيل الآخرين.

وهناك شروط ضرورية، يجب أن تتوفر في هذا الرجل المسلم لكي ينضم إلى مجلس العزابة الذي يسير مدن وادي ميزاب السبع إضافة إلى مدينة وارجلان. وهذا المجلس هو الموجه الروحي للمسلمين من خلال النشاط المسجدي، أما بالنسبة إلى تلك الشروط فهي.

- (1) أن يكون هذا الإنسان بالغاً مسلماً، ذا أخلاق وعلم.
 - (2) أن يكون حافظاً لكتاب الله عز وجل ومتزوجاً بالضرورة.
 - (3) أن يكون مضحياً في سبيل مصلحة المسلمين ولا يأخذ أية أجره مادية من عمله هذا، ما دام أن هذا الأمر فرض وواجب، وبالتالي فإن هؤلاء العزابة يعتمدون في رزقهم على أعمالهم المهنية، بحيث نجد فيهم الفلاح، التاجر، المعلم، الأستاذ، النجار، فهم يمثلون شرائح المجتمع كله.
- أما بالنسبة إلى أعضاء هيئة العزابة فيتراوح عددها بين 12 عضواً و14 عضواً. وعلى رأسهم شيخ العزابة الذي يتولى رئاسة المسجد.¹

3. حلقة ♦ العزابة •:

يقول محمد الطالبي التونسي: "...من جملة الحلول الطريقة التي مكنت أصحاب المذهب الإباضي من المحافظة على كيانهم نظام العزابة الذي كان قائماً بجربة التونسية إلى عهد ليس ببعيد، والذي بقي العمل به إلى اليوم في واد مزاب، فهذا النظام الجدير بالناية والبحث، لا لأنه يفيد الباحث الاجتماعي المعاصر، كما أنه يمثل مظهراً من

¹ . بكيرين أغوشت، سعيد، مرجع سبق ذكره، ص 51. 52. 53 .

مظاهر حضارتنا وتقاليدنا. بل قد يجد علماء الاجتماع عامة شكلا اجتماعيا برهن على نجاعته وفعاليته طوال قرون عديدة ويمكن دراسته على أوسع بساط.¹

فما من دراسة اجتماعية أو ثقافية حول مزاب إلا تناولت هذه الهيئة أو هذا التنظيم، سواء بالتفصيل أو إشارة إليه. لذا سنتطرق في إعطاء تعريف مختصر لهيئة العزابة ووظائفها والهيئات المساعدة لها:

كما مر من قبل فإن السلطة في المجتمع المزابي كانت أول الأمر بين أيدي رؤساء العشائر، ثم تحول مركز السلطة في القرية إلى الهيئة الدينية، إلا أننا لا نعرف بالتحديد متى رشح المجتمع هذه الهيئة لتولي هذه السلطة المتعددة الجوانب. كما يقول لوفيكي "يبدو أن المؤسسة لم تكن موجودة بعد في ميزاب في عهد الدرجيني"².

أما ما تذكره أغلب المراجع أن مؤسس الحلقة وواضع دعائمه الأساسية الكبرى هو أبو عبد محمد بن بكر الفرستائي،³ علما أنها لم تكن في أول الأمر هيئة تربوية تعليمية،

¹. مقدمة الأستاذ محمد الطالبي في كتاب نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، لفرحات الجعبري، ص 8.7 نقلا عن بكير بن سعيد أعوش: وادي مزاب، مرجع سابق، ص 91 . 92.

♦. الحلقة، المجلس، الهيئة، وكلها تدل على نفس المقصود وهي كلمات متداولة الاستعمال.

•. " العزابة جمع لكلمة عزاب وهو الاسم الذي يحمله العضو في الحلقة، ومعناها رجل اعتزل وعزب الملات وعوائق الدينية ولازم الطريق، وطلب العلم وسير أهل الخير، و حافظ عليها وعمل بها فإن حمل هذه صفات سمي عزابية، وليست مشتقة من كلمة أعزب (أي غير متزوج) كما قد يفهمها البعض. «...عدون جهلان..الفكر السياسي عند الإباضية ، من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، ص:168.

وجاء في الملل والنحل . مجلد الخامس كلمة العزابة :.. اشتقت هذه الكلمة من العزوب أو العزابة وهي تعني العزل والغربة، وتصوف والتهجد، والانقطاع في رؤوس الجبال ،ويقصد بها في هذا الاستعمال الانقطاع إلى خدمة المصلحة العامة والإعراض عن حظوظ النفس، والبعد عن مشاغل الحياة، من أهل ومال وولد، فإن العزابي لا يعطي لهؤلاء من جهده ووقته إلا القليل ،أما أعظم طاقته فيجب أن يصرفها لله في خدمة المسلمين ،دون مقابل يتقاضاه على عمله أو أجر يرجوه منهم ،لأن أجره وحسابه على الله."ص291.ونظام العزابة خاص بالإباضية المغرب العربي،نشأ في مرحلة الكتمان.

²الدرجيني :أبو عباس محمد بن الدرجيني ولد في مطلع القرن السابع الهجري ودخل حلقة وارجلان عام 616 هـ، وهو أحد علمائها، أشهر ما ترك كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، توفي عام 670 هـ.

³ . ذلك عندما التقى مع نخبة من الطلبة الجربيين بتوزر في الجريد، كان ذلك سنة 804 هـ ثم طالبوا منه أن يؤسس لهم نظاما تربويا واجتماعيا، لحماية المذهب الاباضي من الذوبان، بعد تعرضه للاضطهاد والملاحقة وفرار الإباضية إلى

بعيدة عن السلطة والسياسة هدفها الوحيد هو نشر الإسلام والدعوة إلى المذهب الإباضي، وتطبيقه ميدانيا، كما لم يكن لها مقر دائم، بل كانت بعيدة عن العمران وأحيانا في الغيران كتماننا للسر، وبع استقرار المذهب في مزاب بداية من النصف الأول من القرن السادس الهجري أصبح المسجد مقرا لاجتماعات الحلقة*. ولم يبق النظام كما أسسه أو سطره الإمام عبد الله بن بكر وإنما تطور عبر الزمن وزيادة في بعض التنظيمات الجديدة وصلاحيات جديدة".¹ وقد ساهم أبا عمار عبد الكافي الوجيهاني في القرن السادس للهجري مساهمة كبيرة في وضع الصياغة النهائية للحلقة وقنن لها قوانين، وفتح مجالا للعامة للاستفادة من هذه الحلقة، وخلاصة القول أنه بعد مرور زمن يصعب تحديده تصدرت حلقة العزابة قري واد مزاب كسلطة عليا في المجتمع.

تتشكل الحلقة من 12 عضوا، و "لا يتجاوز هذا العدد 12 عضوا. إلا إذا قضت الضرورة العملية لذلك مثل التوسع الديموغرافي وتنوع مصالح الناس مما يتطلب التفرغ لكل هذه الوظائف ففي مدينة "بني يزقن" مثلا تضاعف عدد أعضاء المجلس نظرا لما ذكرناه".² ويختار أعضاؤها وفق شروط دقيقة وصارمة " وإذا تحدد الشخص جعل له رقيب ليراقب

وارجلان وضواحيها بعد سقوط الدولة الرستمية، وأن يجعل له ثوابت واضحة للعلماء والطلبة وعامة الناس، إلا أن هذا الطلب قد رفضه أول مرة وألحوا عليه عدة مرات . فقبل الطلب بشرط أن يتفرغ مدة أربعة أشهر دون أن يسألوه عن السألة، ولما قضت المدة قدم نظامه، وكان ذلك في مسجد المنية يقصطيليا، في الجريد التونسي حاليا سنة 408 هـ، وسماء أول مرة بالسيرة المسورية البكرية نسبة لأبي زكرياء فيصل بن مسور الذي له الفضل في التحريض على تأسيس هذا النظام ولقد نظم حلقاته أول مرة في غار ثينيسلي سنة 409 هـ مع أنصاره بأنجلو، في أريغ.

* للتفصيل أكثر عن كيفية تأسيس الحلقة أنظر الملحق: تراجم وسير . أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي.

¹ . يحي معمر علي: الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة، الإباضية في الجزائر، ج2، المطبعة العربية، غرداية، 1985. ص458.

² . ناصر محمد: حلقة العزابة ودورها في المجتمع المسجدي، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 1410 هـ 1989، ص:12.

سلوكه وتصرفاته "1، وإذا اختير شخص فلا يقبل رفضه لهذه المسؤولية وإن رفض عوقب بحكم البراءة ♦. كما أنه لكل وظيفته الخاصة.

5. وظائف أعضاء الحلقة:

شيخ العزابة:

يقوم برئاسة المجلس وتسد إلى الأعلم والأفقه في المجلس، وتوكل إليه الفتوى غالباً، كما تتناط إليه وظائف أخرى.

1) المؤذن:

يتولى أمر ضبط أوقات الصلاة، وتشتط فيه الصوت الجهوري والفصاحة وقوة البدن لأنها من أشق وظائف العزابة.

¹ . خليفات عوض: النظم الاجتماعية والتربوية عن الإباضية في شمال إفريقيا، شركة المطابع النموذجية ، عمان 1982. نقلا عن عدون جهلان: مرجع سابق، ص 169.

♦ عندما يعين شخص أو يتم الموافقة عليه ليكون عضواً في حلقة العزابة فإنه يستدعي إلى مقر عقد العزابة لاجتماعاتهم "تامنايت" ويخبر بهذا القرار إخباراً دون أن يستشار بشأنه ، ثم يعلن بانضمامه إلى الحلقة في المسجد ليعلم الناس بذلك. • عند وفاة أحد سكان المدينة من الإباضيين (رجلاً كان أو امرأة) يعلن عن وفاته في كل المساجد الإباضية مع ذكر أسماء الذين يقومون بغسله من العزابة إذا كان رجلاً ليشهد الناس مراسم دفنه. *التلاميذ : جمع تلميذ الذي يتتلمذ في دار "إروان" (جمع إيرو)، أي الذي يرتوي العلم ، وتلامذتها هم الحافظون للقرآن كانت في القديم دار حلقات العلم، نقصت اليوم، وقد انعدمت في بعض القرى بسبب وجود مدارس حرة تقوم بمهمة التعليم، لكن النظام لا يزال قائماً.

**يطلق كلمة مجلس في واد مزاب على مجالس تلاوة القرآن الذي يهتم به المزابيون اهتماماً كبيراً حيث يقام مجلسان في المسجد كل يوم وبصفة دائمة وطوال العام ، الأول ما بين المغرب والعشاء ، وثاني ما بين الأذان الأول وأذان الفجر، وفي المناسبات كشهر رمضان الذي يقام فيه المجلس طوال اليوم دون انقطاع إلا وقت الصلوات لكامل شهر.

(2) الإمام:

إمامة المصلين، وهو الذي يعلن حكم البراءة على المحكوم عليه بالحكم من طرف مجلس العزابة، وقد يقوم بإعلان العفو باسم الحلقة إن لم يكن شيخ العزابة حاضرا، ويشترط فيه التقوى والصلاح وحفظ القرآن مع إجادة التلاوة.

(3) وكيل الحبوس والأوقاف:

من وظائفه إدارة أوقاف المسجد وحبوسها.

(4) غسلة الموتى:

ووظيفتها غسل الأموات من رجال، وهي فرض كفائي للبعض تجزي عن باقي أعضاء الحلقة.

(5) معلمو الصبيان:

يتولون مهمة تعليم القراءة والكتابة والإشراف على سير محاضرتهم والمحافظة على النظام في المسجد. وقد أنشئت لها في الوقت الحالي إدارة خاصة لهذا التعلم الحر لكلا الجنسين باستعمال البرامج المناهج والوسائل العصرية.

(6) خمسة اعضاء مساعدون:

تسند إليهم وظائف اجتماعية مختلفة.

والى جانب الوظائف المذكورة، يتولى مجلس العزابة رعاية المصالح الاجتماعية للمجتمع فيأمر بالمعروف وينهي عن المنكر في منابر المساجد، ويسهر على حل المشاكل والخصومات بين الناس، ويحارب الآفات الاجتماعية كما يقوم بالإشراف على الأسواق وحراسة البلدة وإليه يرجع الأمر في كثير من المسائل التي تمس حياة المواطن الدينية والاجتماعية والثقافية.

6. الهيئات المساعدة لحلقة العزابة:

1. هيئة "اروان":

وهي هيئة التلاميذ *ويشترط فيهم مجموعة من الشروط من حفظ القرآن كاملا والسيرة الحسنة والمواظبة علي عمارة المساجد ومجالس تلاوة القرآن**
والجدية في طلب العلم، وحضور الحلقات التعليمية.

2. هيئة "إمصوردان":

هي هيئة التلاميذ الذين لم يتمكنوا من حفظ القرآن كاملا وهم قسمان:

أ . الأولاد الصغار: ويتعلمون القرآن في المحاضر. ♦

ب . الشباب والكهول:

وكذلك الشيوخ الذين لم يتمكنوا من استظهار وحفظ القرآن الكريم، ويسمي هذا القسم أيضا "بالمكارييس" ومن أهم الوظائف الموكلة لهم:

1. حراسة البلدة ليلا ونهارا من خلال أفواج موزعة عبر الأيام.

2. تربية وتوعية الشباب، من خلال فكرة لا يصلح الشباب إلا الشباب.

3. مراقبة ومتابعة الأجانب لعدم معرفة مقاصدهم التي قد تهدد الأمن العام وأعراف وقيم المجتمع.

بفضل الوظائف المنوطة إليهم فقد أصبحت السند الأكبر للأمن الوطني ورجال الحماية المدنية والإسعافات وغيرها ...

3. هيئة الغاسلات : أو "تمسردين":

ظهرت هذه الهيئة مع نظام العزابة حسبما يبدو، ولا يعرف لتأسيسها تاريخ محدد ولكن المؤكد أنها كانت موجودة في القرن 19 هـ 15 م¹ وهذه الهيئة خاصة بالنساء، تضم الحكماء من النساء ومن روعي فيها الورع والصلاح والتقوى وحب الخير والحنكة في معالجة الأمور العائلية والشجاعة في تطبيق أوامر العزابة في المجتمع النسوي، ومن وظائفها:

أ . غسل الأموات من النساء أو الولدان الذين لم يبلغوا الحكم (دون سن البلوغ) وتكفينهم.

ب . توعية وتنقيف المرأة في أمورها الدينية والاجتماعية والتربوية.

ت . التحقق من علامات البلوغ بالنسبة للفتاة ليشرعن في الصلاة.

ث . توجيه النساء في أفراحهن وأتراحهم.

ج . الإشراف على شؤون المتعلقة بالعنصر النسوي كمتابعة مراسيم الأعراس.

وكل غاسيات قرى وادي مزاب يجتمعن في مؤتمر سنوي عام يعرف بمؤتمر "لا إله إلا الله" يناقش فيه ما يتعلق بأمور النساء في وادي مزاب، والتوصيات التي يخرجهن بها تقدم إلى هيئة العزابة.

وفي الأخير نلاحظ أن وظائف العزابة ما هي إلا تجميع للوظائف التي يقوم بها المسجد من إمامة للمصلين ونداء لصلاة وغسل للموتى وتعليم للناس... لأنها كانت موجودة من قبل لذا فمؤسس الحلقة لم يأت بجديد ، غير أن براعته كانت في جمع هذه الوظائف وتنظيمها وتفعيلها بما يخدم المجتمع المزابي ويحفظ كيانه ويضمن استمرار يته واستقراره،

♦ المحاضر : (بفتح الميم) الكتاتيب المعروفة في العالم.

¹ . ناصر محمد ، منهج الدعوة عند الإباضية، مرجع سبق ذكره، ص280.

وكما يلاحظ أيضا أن وظائف هيئة العزابة والهيئات المساعدة لها قد غطت جميع المجالات الدينية والتربوية والاجتماعية الاقتصادية والسياسية و الأمنية ، وكل عضو في المجتمع يساهم في هذه النشاطات حسب مكانته واستطاعته وهذا دون أي مقابل إخلاصا لوجه الله مما يذوب الفوارق بينهم غير "أن سلطات الاستعمار الفرنسي قد قلصت من نفوذ العزابة بعد احتلالهم لمزاب سنة 1882 ففي الكتاب الذي ألفه أحد سكان مدينة القارة سنة 1883 نلمس النفوذ الواسع الذي كان بيد العزابة.¹

7. العشيرة:

"العشيرة هي جماعة قرابية تنحدر في خط واحد، وعادة ما يكون الزواج فيها اغترابيا، وتقوم على الاعتقاد بأنها تنحدر من سلف واحد مشترك، وتنحدر من فرع الأمم 'عشيرة أمومية'، أو تنحدر من فرع الأب 'عشيرة أبوية' "²

العشيرة عند المزابيين هي مجموعة من الأسر تربطها قرابة من الرحم حيث تنتسب، إلا أن رباط الأخوة الإسلامية وروح التكامل والتعامل هي التي تشد أزر هذه العائلات فيما بينها، وتربطها مع العشائر الأخرى علاقات التعاهد والتسامح حيث تذوب عصبية الدم والعصبية القبلية. وقد لا يربطها الرحم فقط، وإنما أمور أخرى، وهذا يرجع إلى أحداث تاريخية قديمة، وبدايتها الوحدة المذهبية التي جعلت الناس يقصدون واد مزاب من ليبيا

¹ . محمد ناصر : حلقة العزابة، مرجع سابق، ص 12. 13.

² . مارشال، جوردون: موسوعة علم الاجتماع، ج2، ترجمة محمد الجوهري، وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، إدارة

المطبوعات والنشر، القاهرة، ص938. نقلا عن نظمي عودة أبو مصطفى: العوامل المؤدية للزواج من خارج العشيرة، "دراسة ميدانية على عينة من أبناء 3-المجتمع البدوي الفلسطيني"، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد الخامس عشر، ع01، جامعة الأقصى، فلسطين ، يناير 2007 ، ص416.

وتونس والصحراء الغربية، ويندمجون في المجتمع باعتناقهم للمذهب الإباضي، حيث يصبحون جزء من المجتمع.

ويشرف على نظام العشيرة مجلس إداري يتكون من عشرة إلى خمسة عشر عضواً، ينتخبون من خيرة أبناء العشيرة، ويختار من أعضاء هذا المجلس رئيساً للعشيرة، وهو ممثل العشيرة في مجلس العزابة.

وللعشيرة في واد مزاب نظام محكم يقوم على مبادئ الشريعة الإسلامية يكفل للمجتمع الإباضي العيش في رخاء وأمان ، وبفضل التكافل الاجتماعي الذي يفرضه نظام العشيرة تغيب في أوساط المجتمع مظاهر الفقر والتسول والتشرد وتخفف حدة الطبقية، وتتساوى الفئات الاجتماعية من حيث المظهر، كما يفرض العرف العام تحديد وتوحيد أنماط السلوك الاجتماعي في الحياة اليومية والمناسبات في التقاليد والعادات فتختفي بسبب ذلك ظاهرة المغالاة - مثلاً - في مقدار ونوعية المهور والصداق وبذلك يتيسر لجميع أفراد المجتمع من تكوين الأسرة بأقل التكاليف.

وظائف العشيرة:

للعشيرة في مزاب وظائف عديدة هدفها التكافل الاجتماعي مع أبنائها، وتنقسم إلى قسمين¹:

← التكافل الإلزامي: ونذكر منها:

1. تحمل دية قتل الخطأ ما فوق الثلث.

2. تقدير نفقة للفقر المحتاج، إما لمرض أو لعجز أو نزول مصيبة عليه أو إتلاف ماله أو الشيخوخة والكبر وغير ذلك، وتقديم إعانات لمن لم يستطيع التكفل بمصاريف الزواج بالنسبة للذكر أو التجهيز بالنسبة للمرأة، وتقديم منح للطلبة الجامعين.
 3. تعيين وكيل على اليتيم، وتصفية تركة المتوفي.
 4. تقدر للمتزوجة من العشيرة نفقة لها ولأولادها في حالة تهاون الزوج في ذلك، أو في حالة الطلاق .
 5. تعيين وكلاء للمجنون أو لمبذر لماله والمسيء التصرف فيه سفها، حتى لا يضيع مستقبله ومستقبل أولاده.
 6. تعيين وكلاء للأسرة التي غاب عنها وليها ولم يترك نفقة. وتقدر لها نفقة حتى لا تضيع الأسرة وتتعرض للفقر.
 7. حل المشاكل العالقة بين أبناء العشيرة، وفك النزاعات وعقد الصلح بين المتخاصمين.
 8. ترشيح امرأة ذات دين وعلم لتمثل العشيرة في هيئة تمسردين.
- وقد تنوعت وازدادت وظائف العشيرة فأصبحت بالإضافة إلى وظائفها المذكورة تقوم بعدة أنشطة تجاه أبنائها مثل إقامة نشاطات تربوية وتعليمية طوال السنة، وترفيهية في العطل والمناسبات لفائدة طلابها وتلامذتها. كما توسعت وظائفها لتشمل جميع أبنائها في جميع أنحاء الوطن.*

← التكافل الاجتماعي:

أما وظائفها اتجاه غيرها من العشائر الأخرى هي:

1. تتعاون العشائر بالمساعدات المادية والمعنوية وعن طريق الحملات التطوعية لصالح البلدة والمجتمع • نذكر منها:

2. التعاون في بناء المشاريع الخيرية العامة مثل المدارس والمساجد ودور العشائر والنوادي والسدود.

3. التعاون في حفظ الأمن في البلد وذلك ببناء الأسوار حول المدينة وتنظيم الحراسة ليلا ونهارا.

4. التعاون على إقامة الأعراس لأبناء العشيرة والاحتفال بهم.¹

5. التعاون على تربية النشء وتعليمهم وتوجيههم.

6. حل المشاكل العالقة بين أبناء العشائر وفك الخصومات فيما بينهم.

7. القيام ببعض الأنشطة لفائدة العامة والمجتمع مثل إقامة ندوات علمية وثقافية ومسابقات ومعارض...

يجتمع أبناء كل عشيرة بالقرارة في اليوم الثاني من عيد الفطر وعيد الأضحى لطرح أهم انشغالات العشيرة والبلدة.

هذا بالنسبة للعشائر ووظائفها الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية الثقافية والتنظيمية والأمنية في المجتمع المزابي، لذا لا تزال تعتبر أهم بنية اجتماعية فيه.

9. مجالس الأعيان:

تتكون كل قرية في واد ميزاب من عشائر، ولكل عشيرة ينتخب لها رئيس يسمى "برئيس العشيرة" أو الضامن " ورؤساء العشائر في كل قرية يشكلون مجلسا يسمى "بمجلس

* مثلا ما تقوم به عشيرة أولاد كاسي بن الناصر قصر القرارة من لقاءات واجتماعات لصالح أبنائها المقيمين في الجزائر العاصمة، كلقاء "المعايدة" الذي تنظمه العشيرة ربيع كل سنة.

• مثال ذلك ما قامت به كل ثلاث عشائر تصفية الأرض ونزع الحشائش الضارة من مزرعة "روضة الحياة" التابعة لأوقاف المسجد بالقرارة، صبيحة كل جمعة من أيام العطلة الربيعية لعام 2007/2008.

الضمان" أو مجلس العوام أو "الجماعة" أما ما هو متعارف عليه حاليا هو "مجلس الأعيان"، وقد كان هذا المجلس تابع للهيكلية الاجتماعية في المجتمع القبلي.

10. وظائف مجلس الأعيان وصلاحياته:

لمجلس عدة وظائف منها:

- وظائف مشتركة مع مجلس العزابة: يتحمل مجلس الأعيان مختلف شؤون البلدة بالتنسيق مع مجلس العزابة من خلال عقد جلسات في المناسبات وكلما دعت الحاجة إلى ذلك، ويكون ذلك في المسجد.**
- تساعد العزابة مجلس الأعيان في الخدمات التطوعية التي يشرف عليها عمليا، فدور العزابة هنا توجيهي وإرشادي وتحريض لأفراد المجتمع بالعمل الاجتماعي والجماعي والتطوعي وقيمته وما ينتج عنه من فوائد تعود للفرد والمجتمع.
- ويتعاون مجلس الأعيان مع العزابة فيما يخص الحصول على الموارد المالية والمادية لتحويل المشاريع ذات المنفعة كبناء السدود والأبراج والمدارس والمكتبات.

ث. مجلس عمي سعيد الجربي:

بالنظر إلى إتساع الرقعة الجغرافية في واد مزاب وازدياد عدد سكانها، بالإضافة إلى استقلال عزابة كل قصر بشؤونه كأعلى سلطة روحية واجتماعية فيه، اهتدي المزابيون إلى إنشاء هيئة تشرف على كل واد مزاب (كمجلس فدرالي) يقوم بالتنسيق بين مجالس العزابة في كل القرى، وهذه الهيئة هي تجمع بين ثلاثة ممثلين من عزابة كل قصر وينتخبون من بينهم رئيسا يدير جلسات المجلس، وكاتب يقوم بتدوين محتوى هذه الجلسات، ويناقشون القضايا المشتركة، ثم تتلى قرارات المجلس في مساجد واد مزاب، وتسمى قراراته باتفاقيات واد مزاب.

وظائف مجلس عمي سعيد:

1. لكون المجلس يجمع بين أبرز علماء مزاب المنتمين إلى حلقات العزابة في قراهم فهو يضع الأحكام القوانين حول الجرائم والجنايات والمعاملات وفق الشريعة الإسلامية واجتهاد علماء الإباضية.

2. كما يضع اللوائح الداخلية التي تنظم الحياة الاجتماعية داخل واد مزاب، مثل تحديد المكايل والمهور.

**** مقر المجلس في مكان يسمى ب تامنايت:** كلمة مزابية وتعني لغة مكان الفرسان واصطلاحا فرسان الدين أي مشايخ العزابة وهو مبني في المسجد يعقد فيه اجتماعاتهم وله باب يدخل منه أعضاء العزابة للصلاة في المسجد ولا يدخله غيرهم إلا إذا استدعوا إليه، وفيه تحفظ وثائقهم وملابسهم الرسمية.

3. هو بمثابة محكمة استئناف تضم مجموعة من القضاة من كل قرية تعقد اجتماعاتها كل ثلاثة أشهر تنتظر في القضايا المرفوعة إليها من المحاكم الابتدائية، وقرارها قد يكون مؤيدا للقرار الأول أو ينقصه، وهو قرار نهائي وإلزامي - لا يقبل الطعن - ومجلس عمي سعيد هو الذي يختار القضاة في كل قرى واد مزاب.

4. يعقد الولاية لشيخ واد مزاب واستخلافه في حالة وفاته.

5. الإشراف على الحج وتأمين الطريق والسكن للمزابين في البقاع المقدسة.

6. حل المشاكل التي قد تتجم بين قرى واد مزاب.

7. تكوين العلاقات مع المتساكنين من غير الإباضية وعقد الاتفاقيات والمعاهدات.

لقد كان للمجلس عظيم الأثر في استقرار مزاب وتنظيم الحياة الاجتماعية وذلك بوضع القوانين والأحكام العرفية المستمدة من الشريعة الإسلامية وتفيدها من طرف العزابة في كل قرية.

ج . مجلس با *عبد الرحمن الكرتي:

تسمية المجلس بهذا الاسم لا تعود إلى عبد الرحمن الكرتي بل تعود إلى المقبرة المسماة باسمه أين كانت تعقد فيه جلسات هذا المجلس، "ولا يوجد تاريخ مضبوط حول إنشاء هذا المجلس"¹

وهو مجلس يضم ممثلين عن مجالس الأعيان من كل قرية، ويهتم بالشؤون الاجتماعية كدراسة المشاكل الاجتماعية المستعصية على مجالس الأعيان في القرى، ومحاربة الآفات الاجتماعية بالإضافة إلى كونه يمثل وينسق بين الجمعيات النشطة على مستوى واد مزاب، وتعد وظائفه مكملة لوظائف مجلس عمي سعيد. كما يباشر المهام السياسية التي تتمثل على العلاقة مع الإدارة والمؤسسات العمومية المركزية والحكومية، واستقبال الوفود والمسؤولين من السلطات العامة (رئيس الجمهورية، وزراء، سفراء...).

وللمجلس دور هام في المناسبات السياسية كالانتخابات والاستفتاءات حيث يقوم بدور التوعية بضرورة المشاركة الفعالة، كما يقوم باختيار المرشحين للانتخابات البرلمانية والولائية على أساس الدين والكفاءة والخبرة لخدمة المجتمع والوطن، وله ردود فعال جدا في فك النزاعات والخصومات بين المتساكنين كما هو الحال في أحداث بريان مارس 2008 أين يعقد المجلس جلسات مطولة مع المسؤولين وصناع القرار والمعنيين من أجل تهدئة الوضع وحل النزاع لكونه الهيئة المسؤولة عن مثل هذه القضايا.

¹ محاضرة: للشيخ أولاد داود محمد بن موسى بن عيسى، وظائف مجلس با عبد الرحمن الكرتي، يوم 22 ذو الحجة 1428/31.12.200. بالقرارة ، غرداية (هو أحد أعضاء المجلس)

هذا عن مجمل التنظيمات العرفية في مزاب، وقد تقلصت بعض صلاحياتها لتطور الأوضاع وتدخل الدولة من خلال سن القوانين والتنظيمات الإدارية وتكفلها ببعض الوظائف التي هي من أولوياتها كحفظ الأمن مثلاً.

وفي الأخير رغم هذا نجد أن التنظيمات الاجتماعية تسعى إلى خدمة الفرد، ويتم هيكلتها من أجل أن يخدم الفرد المجتمع، كما أن الفرد في المجتمع المزابي يسعى من أجل نيل رضا المجتمع، وكما قال المفكر الجزائري مالك بن النبي لما زار مزاب عام 1968: "في هذا المجتمع كل فرد يعمل من أجل المجموع، وكل المجموع يعمل من أجل الفرد، إنها القاعدة السحرية التي تحكم هذا المجتمع وتسمو به"¹

11. الزواج في المجتمع المزابي:

أ. الزواج عند الإباضية:

أن للدين تأثير وأثر كبير في معتقدات الأفراد وحياتهم الاجتماعية، كما أن له الأثر الواضح والفعال في المؤسسات الاجتماعية، ولكون مؤسسة الأسرة أحد أهم المؤسسات الاجتماعية المبنية على الزواج لأنها يترتب عنها عدة علاقات اجتماعية أخرى، لذا تناول الفقهاء. بمختلف مذاهبهم وتوجهاتهم مسألة الزواج بجدية وبحذر. ولكون أغلبية المجتمع المزابي يتمذهب بالمذهب الإباضي لذا علينا أن نرى مفهوم الزواج عند الإباضية من خلال فقه الإمام جابر بن زيد* ومن فتاوى الإمام بيوض إبراهيم بن عمر**:

¹ . محمد ناصر، منهج الدعوة عند الإباضية، جمعية التراث، القرارة غرداية، ط 2 1419 هـ 1999، ص 280.

إذ "يرى جمهور فقهاء الإباضية أن عقد النكاح لا يتم إلا بأربعة عناصر وهي: الولي، الناكح (الزوج)، والشهود ورضا المرأة، وكل عقد اختل فيه أحد هذه العناصر فهو باطل ومردود لا ينعقد، وجاهل من عقده.¹ وأما حول نكاح السر" قد اتفق العلماء على أن نكاح السر لا يجوز، واختلفوا فيما أشهد شاهدان ووصيا بالكتمان هل هو سر أم لا. فروى عن الإمام جابر بن زيد أنه كره نكاح السر... وقالوا إذا وقع النكاح بشهود وولي جاز نكاح السر، مع كراهتهم له.²

أما الزواج بالمزابية فقد قالت الإباضية أنه يحرم على الرجل أن يتزوج بالمرأة التي زنى بها، فقد رويت عن الإمام جابر بن زيد أنه قال " أن ذلك حرام وأنه لا يحل بأي حال من الأحوال، وعنده أن الحرام يحرم الحلال، وأنه ما حرم الحلال فالحرام أشد تحريماً،"³ . وهو قول جميع أئمة الإباضية، ومنهم الشيخ بيوض إبراهيم الذي قال أنه "لا يحل له أن يتزوجها... وليجعل بينه وبينها البحر الأخضر كما ورد في الأثر"⁴.

أما الزواج بالكتابية، فقد قال بيوض إبراهيم: "بجواز الزواج من الكتابية، والكتابية هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى والصابون، كما ورد في الآية التالية: { اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنات غير

* أحد كبار المتابعين، وقد وضع من خلال فقه الخطوط الكبرى والمبادئ الأساسية لقواعد المذهب الإباضي ، أنظر الملحق : تراجم وسير

** أبرز زعماء الإصلاح المعاصرين في واد مزاب، نظر الملحق: تراجم وسير.

1. بن حمو أرشوم مصطفى: النكاح صحة وفسادا وآثار في المذهب الإباضي، مقارنة بالمذاهب الإسلامية والقوانين الوضعية، ط1، مطابع النهضة، مسقط. سلطنة عمان، 1422 هـ / 2002م، ص44.

2. بكوش يحي محمد: فقه الإمام جابر بن زيد الجزء الثاني، ط2، المطبعة العربية غرداية، 1988، ص380.

3. بكوش يحي محمد، المرجع سبق ذكره، ص276.

4. فتاوى الأمام الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر ترتيب وتقديم وتخرّيج بكير بن محمد الشيخ بالحاج، مكتبة إبي الشعثاء، السيب سلطنة عمان ط2، 141 هـ 1990، ص357

مسافحات ولا متخذات أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين} ¹. ².

إذ من خلال هذا العرض يتبين أنه لا توجد اختلافات كبيرة وجوهية بين المذهب الإباضي وبقية المذاهب الأخرى في قضية الزواج،* ما عدى بعض الأمور الفرعية التي ترجع إلى اجتهادات العلماء والأدلة والنصوص التي اعتمدها وساقوها. ومنها نستنتج أيضا أنه لا يوجد في المذهب ما يمنع المزابي الإباضي من الزواج من المذاهب الإسلامية الأخرى**، إلا البدو من الرحل، ففي كتاب النيل "أنه لا يجوز أن تزوج ابنتك لبدوي لأنه يفتتها عن دينها، فالبدوي لا يصلي صلاه الجمعة ولا الجماعة ولا بدينه ولا طهارته"³.

ب . الأنظمة العرفية وتنظيمها للزواج.

1) هيئة العزابة تنظيمها للأعراس:

كون حلقة العزابة السلطة العليا في المجتمع المزابي فإن أعضاء الحلقة يتابعون القضايا الاجتماعية بحضورهم للأفراح والأتراف والإشراف عليها، لذا يضع عزابة كل قصر بمساعدة الأعيان ورؤساء العشائر والمجلس النسوي لوائح تنظيمية لمراسيم الأعراس منذ الخطبة إلى

¹. القرآن الكريم، سورة المائدة(رقم5) الآية 05. ¹

². فتاوى الإمام الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر، مرجع سابق، ص370.

*فبالمقارنة بين الإباضية والمالكية نجد أن الإباضية وافقوا المالكية في اعتبار الولي والزوج عن عناصر العقد واختلفوا معهم في رضا المرأة والشهود والصدّاق هل هي من عناصر العقد الأساسية التي باختلافها يبطل العقد.

** وهذا من أبرز أوجه الاختلاف بين المذهب الإباضي والخوارج الذين يحرمون الزواج من خارج مذهبهم، مما يدلنا أن الإباضيين ليسوا بخوارج كما يرميهم بعض العلماء ومن بعدهم الجمهور بالطبع بأنهم خوارج، أنظر محمد ناصر، منهج الدعوة عند الإباضية، (مرجع سابق).

³. كتاب النيل وشفاء العليل لصاحبه الشيخ عبد العزيز الثميني وهو من أعلام المذهب الإباضي المغاربة (فقهة معتمد الإباضية في الفقه).

** يراعى في تحديد المهر وما يتبعه طاقة غالبية السكان وحالة معاشهم، وإن شاء الغني أن يزيد ويفضل فإلى ما بعد الأشهر الأولى من الزفاف.

نهاية العرس، فتحدد المهر والصدّاق للبكر والثيب مهما تكن أسرتها** وجمالها أو غنى الزوج أو فقره، فإذا جرت الخطبة ووقع القبول لا يبقى أمام الأصهار الجدد إلا تعيين يوم الزفاف، أما بقية الأمور الأخرى كتحديد أيام العرس وزي العريس¹ ومراسم إجراء حفل الزفاف فقد تم الإجماع على تنظيمها، ويلزم بها كل من يرغب في الزواج، كما نجد لهم مكانا خاصا في صدر الحفلات والمناسبات، ومن النادر أن نجد عرسا لا سيما في " بني يزقن " والقرارة والعطف لشاب وحده، وإنما تتوحد جماعة من شخصين فأكثر للزواج في عرس جماعي.² وإذا لاحظ العزابة أمورا مستحدثة على ما هو متفق عليه مثل الولائم الزائدة في الأعراس أو بعدها فإنهم يسعون إلى دحضها، كما أنهم يتخلصون من العادات التي لا تصلح أو لا نفع فيها، ويستندون في وضع لوائح الأعراس على مبادئ منها:

1. الدفاع عن حقوق المرأة لئلا تكون سلعة تساوم أو تحفة تزين بها الأعراس.
2. احترام نصوص شرع الله ونبذ المباهاة والإسراف التي تضر ببعض الفئات الاجتماعية.

3. المحافظة على عادات المجتمع وتقاليده، كلما كانت في متناول الجميع ولا تغير إلا للضرورة.

¹ . يلبس العزابة العرسان تلك الحلة الموحدة المكونة من بردة (البرنوس) المصنوع من الوبر أو الصوف وعمامة تغطي الرأس وهي تحمل عدة معاني تاريخية وثقافية، ونفسية ويسميها المزابيون تاج الرجولة، مع وجود بعض الاختلافات البسيطة فيها بين قرى واد مزاب، وكذلك الأمر بالنسبة للفتيات اللاتي يرتدين حلة مرصعة بالذهب تسمى "بالدبشة" وهي تصنع محليا، تكملها بعض النساء وتجعلها وقفا لأي عروس تريد الزواج، تعبر عن التعاون والاشتراك الجماعي في العرس.

² . العرس الجماعي في بني يزقن يجمع أبناء العشيرة الواحد أو قد يجمع عشيرتين وثلاث، وفي مليكة وبريان يجمع بين أبناء القصر كلهم.

(2) هيئة تمسردين (الغاسلات) ودورها في تنظيم الأعراس:

عندما يريد العزابة دراسة قضية من قضايا الزواج فإنهم يتصلون بهيئة تمسردين بواسطة محارم أحد العزابة، "فتمسردين" لهم الحق في تعديل لوائح الأعراس باعتبار أن لديهن سلطة ونفوذ في الأعراس والمجامع النسوية التي جعلت النساء تحت سلطتين، فهن يشهدن الأعراس للإشراف عليها ورد ما عساه يقع من منكر ويعرض عليهن الصداق في دار العرس ليراقبنه،¹ فإذا وجدن شيئاً زائداً على ما أقره العزابة، فإنه يطرحنه وبعد ذلك يسلمن الصداق مباشرة في يد العروس.

(3) العشيرة ودورها في تنظيم الأعراس:

تساعد من أراد الزواج من أبنائها فتعين له مرشداً يهديه إلى معنى الرابطة الزوجية وقداستها، ويكون عوناً له في مراسم العرس، وإن كان فقيراً تضمه تحت جناح أحد الأثرياء، وتقدم له دار العشيرة لإجراء العرس بكل متطلبات العرس من أواني الطبخ والفرش وغيرها، وتضبط معه قائمة المدعوين ومن يقوم بمتطلبات المأدبة كتوزيع الطعام على الحاضرين.

ت . مراسيم العرس في واد مزاب . في "بني يزقن" أنموذجاً .

للأهمية الكبيرة للحياة الزوجية، فقد شرعت عدة جمعيات خارج مزاب خاصة بتنظيم دورات تكوينية وتوجيهية لفائدة جميع المقبلين على الزواج ذكورا وإناثا من أي قصر كانوا، ومن مختلف النواحي (الدينية، الاجتماعية، النفسية، الجنسية...) يؤطرها مشايخ ومختصون مشايخ ومختصون نفسيون واجتماعيون وأطباء، فمن خلالها تعطى للمتربصين نصائح وتجارب حول الحياة الزوجية، من أجل ضمان سير حسن لهذه الحياة المهمة في حياة كل إنسان.

¹ . إذا كانت قيمة الصداق أقل مما هو متعارف عليه ورضي به الطرفان فلا حرج في ذلك.

أما بالنسبة لتنظيم حفلات الأعراس فقد تتشابه مراسم إجراء العرس بين قصور واد مزاب في كثير من الجوانب، وتختلف في جوانب أخرى حسب ما تعارف عليه أبناء كالقصر، كزني العريسين والوزير (أتباع) طريقة تنظيم العرس...، ولأخذ قصر "بني يزقن" نموذجاً من أعراس واد مزاب أين يتم إقامة الأعراس بصورة جماعية في دور خاصة - دور العشائر*** - المجهزة بكل الوسائل اللازمة لإقامة مثل هذه المناسبات.

صاحب العرس:

عندما كانت السلطة في البيت بيد الرجل كان هو المسؤول الأول على تزويج أبنه، ومرجع ذلك إلى ما ورد عن النبي (ص) أنه من حق الابن على أبيه أن يزوجه إذا أراد، والوالد في ذلك يرجع دين زواجه الذي تكفل به أبوه قبل ذلك، وبذلك سيستمر انتقال ذلك الدين، فمحافظة المجتمع لهذه القيمة الاجتماعية سيضمن تماسك أجياله وتواصلها.

كما سيعمل الابن جاهداً على إرضاء والديه بعد زواجه، وخاصة عند كبرهما، وستبقى علاقته بهما لا تتغير ولو انفصل عنهما في المسكن لأنهما أساس بناء علاقته الزوجية، لذا لا نجد في المجتمع المزابي دوراً للعجزة تؤولهم.

موسم الأعراس:

المتجول بين أزقة قصر "بني يزقن" في موسم كل ربيع خاصة ♦ يطرب آذانه ومسمعه إيقاع الدف ♦ وزغاريد النساء، فما إن تغيب عن مسمعه حتى يبادر إلى مسمعه نفس الإيقاع، لكن من منزل أو من شارع آخر، إنه وقت الأعراس أين تتشط دور الأعراس لإقامة أعراس جماعية لكل أبناء عشيرة، فما تكاد تنتهي مراسيم عرس إلا وتبدأ تحضيرات لعرس موالي، مما يفرض على الجمعيات المنظمة للأعراس أن تضبط تاريخ وقوائم العرس ليسهل عملية التنظيم والتسيير. حيث يخضع الأعراس في قصر "بني يزقن" إلى نظام موحد، فكل

من يرغب في الزواج يخضع لنظام تسير وفقه الأعراس، وإذا كان أحد العرس معسور الحال أنظم تحت أحد الأغنياء للتكفل بمصاريف العرس مما يخلق التضامن بين أفراد المجتمع.

ومراحل إجراء العرس تتم في يومين • وهي كالتالي:

مرحلة الإعداد للعرس:

بعد تمام الخطوبة يتكفل والد الخاطب بالعرس ويكون هو المسؤول الأول لأنه يغطي كل مصاريف العرس، لذا ينسب إليه العرس، ويخبر إدارة عشيرته بالعرس، وهي بدورها تنقل الأمر إلى العزابة لتنظيم تواريخ الأعراس وفق رغبات أصحابها.

اليوم الأول (آس نوغراس):

يوم الشاة أو النحر: حيث يقوم العرس ومن معهم باكرا بإشراف أحد أعيان العسيرة - لتنظيم الأمور - بتحضير اللحم بذبح الشاة وهو محدد حسب حجم العرس. وفي المساء يعقد القران بحيث يجتمع الحاضرون في دار العشيرة أين يجلس العرسان في الوسط أمام الموثق الذي يباشر في العقد بعد أن يتثبت من حضور أطراف العقد من العروس وأولياء العرائس، والشاهدين من هيئة العزابة ليتم العقد وفق شروط معينة* ثم قراءة سورة الفاتحة أمام الملاء مع إعطاء كلمة توجيهية للعرس الجدد وللحاضرين، هذا من ناحية الرجال.

أما من ناحية النساء فهم يوم 'الخير' أين ين يسلم المهر من أهل العريس إلى يد العروس مباشرة من خلال - تمسردين - بعد مراقبته عسى أن تكون فيه زيادة في المهر، وإذا كان فيه زيادة فإنه يطرح ويرد إلى أهل الزوج علما أن مبلغ الصداق محدود ومعلوم حيث يقدر بثلاثون غراما ذهبيا مع أساور (تقريبا أربعة ملايين سنتيم سنة 2008 مع صعود ونزول لقيمة الذهب) مع ما يقدر مع هذا المهر من فستانين وأقمشة وعطور.

اليوم الثاني: هو يوم التتويج أو يوم الوليمة:

بعد صلاة الظهر وتلاوة الحاضرين لخواتم القرآن (من سورة التكاثر إلى سورة الناس) يتم فيه تتويج جميع العرس بنفس الحلة فلا يظهر الغني من الفقير ولا الشخص الذي تكفل بالمصاريف، إلا العريس الحافظ لكتاب الله يرتدي رداء فوق حلة العرس فيميزه عن الآخرين بذلك، وهذا الرداء يسمى "أحولي"¹، وبعدها يلتف المدعوون حول مائدة وليمة الغذاء الرسمية للعرس**.

ثم يختم بدعاء من أحد المشايخ. أما من ناحية النساء ترتدي العروس الحلة الخاصة بها وتقوم مرافقة تسمى بـ "تاوزيرت" بأمرها طوال أيام العرس، كما تتقدم إليها إحدى تمسردين تهنئها وتدعو لها بالسعادة وتنصحها في حياتها الزوجية.

وبعد وجبة العشاء والمدعوون هم أقارب العريس تقوم فرقة خاصة مختصة في هذا المجال بإقامة حفل•

أناشيد ومدايح بالمناسبة من دون إيقاع والدعوة عامة ومفتوحة، وأثناء الحفل الذي يدوم حوالي الساعة والنصف توزع حلويات مع شراب تقليدي تعده أم العروس يسمى بـ "تاكاروايت"² مكوناته من التمر وبعض الأعشاب وهو شراب خاص بمناسبة الزواج فقط،

-
- العرس يدوم شهرا كاملا قبل ليلة الدخول وبعده، ثم حدد بسبعة أيام، فأربعة، والآن يومين فقط.
 - * الشروط الموجودة في العقد هي الصداق الجاري في البلد وعلى ألا يتزوج عليها إلا بعد رضاها وألا يغيب عنها أكثر من ثلاث سنوات، وألا يفعل شيئا من الكبائر الخمس:
 - الزنا والفسق، شرب الدخان والسكر والمخدرات، والسرقه والقمار، ترك الصلاة، والقتل، فإن فعل ما ذكر أو بعضه رجع أمر طلاقها بيدها أن شاءت قعدت وإن شاءت طلقت نفسها، ولا يضرها الانتظار في شيء من حقوقها.
 - ¹. "أحولي": هو اللباس الرسمي لهيئة العزابة، أنظر الملحق: خرائط وصور.
 - ** هي محددة من هيئة العزابة رغم ذلك هي ليست إلزامية إلا أنها لا تختلف من عرس آخر.
 - النساء يشهدن هذا الحفل من جناح خاص بهن عن طريق التصوير الحي بالكاميرا.
 - ². تاكاروايت: تقدم في إناء خاص يصنع محليا، (أنظر الملحق: صور)

وأثناء الحفل تؤخذ العروس إلى "الحجة"•• وفي موكب نسائي رفقة صبايا صغيرات ينشدن بعض المدائح من منزلها بعد أن تزين لتزف إلى زوجها ثم بعد الحفل يذهب العرس مع وزرائهم إلى المسجد ليصلوا ركعتين (صلاة النكاح) حمد الله على أن وفقهم للزواج داعين الله السعادة والهناء لحياتهم الجديدة وهي آخر ما يتقرب به العبد إلى ربه في مرحلة العزوبة، ثم يذهبون إلى دار "الحجة" أين لكل عريس عروسته في انتظاره مع زغاريد النساء ليقضي مع زوجته أول أيام حياتهما معا قبل الفجر حيث يستيقظ العرسان للصلاة ليفارقوا زوجاتهم إلى الليلة المقبلة التي يقضيها معا في منزله.

وفي صبيحة اليوم الموالي يذهب العرسان إلى أحد الأجنحة المحيطة بالبلد أين يقومون بالترفيه عن أنفسهم بالأناشيد والمدائح وإعطاء نصائح تخص الحياة الزوجية ويقدم للحاضرين التمر والحليب. وبعد صلاة الظهر يتناول الحاضرون وجبة الغذاء مع فاكهة الفصل مع كون هذه المأدبة محصورة في الأقارب فقط.

وفي المساء تقام على شرف العرسان محاضرة يحييها أساتذة ودكاترة ومشايخ وتكون قصد الدعوة عامة قصد المناقشة والإثراء وتستمر إلى أذان المغرب، وبعدها تؤخذ صورة تذكارية. وفي الأخير يرجع كل عريس إلى داره ليكمل فرحته بالزغاريد والتهاني. ومن هنا تغلق أبواب العشيرة أو دار الأعراس إذنا بنهاية العرس، وبداية لحفل عرس آخر.

•• دار الحجة: مكان من قسمين يفصلان الرجال عن النساء فصلا تاما فكل جانب من تلك الدار باب خاص يكون من الجهة الأخرى للشارع تدخل منه النساء لئلا يقع الاختلاط مع الرجال عند الدخول، ولا يكون الاتصال بينهما إلا عن طريق المحارم من أهل العرس، المخصص ليقضي فيها العرسان ليلتهما الأولى معا.



صورة تمثل أعضاء حلقة العزابة بلباسهم الرسمي



صورة تمثل أعضاء حلقة العزابة

الباب الثاني

الجانب الميداني

الفصل الثامن

عادات وتقاليـد زواج عرف سيـدي معمر

وبني يزقن

تاريخية عن مدينة شرشال

تمهيد

1-شرشال تاريخيا

2-شرشال جغرافيا

3-شرشال ثقافيا وحضاريا

الخلاصة

تمهيد:

شرشال مدينة عريقة تزخر بتاريخ عظيم، فقد سميت "بالمتحف المفتوح" لإحتوائها على آثار رومانية تعود إلى أكثر من 15 قرناً، لاتزال شاهدة على هذه المدينة إلى يومنا هذا.

فقد كان لهذه المدينة مكانة مرموقة كبيرة جداً، فموقعها الحيوي جعلها تصبح المدينة الثانية في شمال إفريقيا بعد قرطاج.

شرشال تاريخيا (نشأة مدينة شرشال وتطورها التاريخي):

1-نشأة مدينة شرشال:

تدل معالم مدينة شرشال على أنها خضعت للعديد من الإمبراطوريات وأنظمة الحكم المختلفة فكانت في بادئ الأمر مدينة فينيقية تسمى بـ"أيول" وازدهرت في عهد القرطاجيين، بينما يعتقد الكثير من العلماء أن شرشال كانت مستعمرة مصرية في منتصف الألف الثانية قبل الميلاد (1500 ق.م)، أي ربما قبل العهد الفينيقي وذلك يعود لاكتشاف تمثال مصري في شرشال عليه خرطوشة الفرعون "تحتمس الأول (1493-1482 ق.م) وهو تمثال منحوت من البازلت الأسود وجلسته جلسة الألوهية مصرية، وهو موجود اليوم في متحف المدينة.

أصبحت المدينة واحدة من مدن المملكة النوميدية فخضعت لحكم سيفاكس ثم ماسينيسا وبعد انتصار الرومان على مملكة نوميديا عام 105 ق.م استولى عليها الرومان، وفي عهد الملك يوبا الثاني جعل من شرشال عاصمة لموريتانيا القيصرية، وتحول اسمها من إيول إلى "قيصرية" تكريما للإمبراطور الروماني أغسطس قيصر (31 ق.م - 14م)، وقد جعل يوبا الثاني من عاصمته "قيصرية" مركزا للثقافة اليونانية-الرومانية، وفي عهد الإمبراطور الروماني كاليغولا فقدت مدينة قيصرية استقلالها وألحقت بروما وسميت (كولونيا كلاوديا 1سيزاريا).

ورغم ذلك لم تفقد قيصرية مركزها التجاري لأنها أصبحت عاصمة للولاية الرومانية الجديدة التي شملت ثلثي الشمال الجزائري.

شهد دخول الوندال عام 372م تدميرهم للمدينة تدميرا لحق بكل المدن التي وصلوا إليها، ثم خضعت المدينة للبيزنطيين منذ عام 534م هي وتيباسا المجاورة وقد حاولوا أن يعيدوا

لها شيئاً من أهميتها السابقة في إطار ما كانت تريده الإمبراطورية لاستعادة مجد روما، لكن شرشال رجعت بعد ذلك إلى الانحدار حتى اختفت من الذاكرة، وبعد الفتح العربي الإسلامي لشمال أفريقيا سميت المدينة بشرشال.



صورة تمثل مدينة شرشال

2- شرشال جغرافيا:

سوف نتعرض للموقع الجغرافي لمدينة شرشال مع أهم المميزات الطبيعية.

1- موقعها الجغرافي:

تقع بلدية شرشال غرب العاصمة على بعد 100 كم يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب مناصر وسيدي سميان والغرب سيدي غيلاس وشرقا سيدي عمر

والناطور يبلغ عدد سكانها 48 ألف حسب إحصائيات 2008 ويقام هذا التعداد كل 10 سنوات وتبلغ مساحتها 130 كلم مربع أي 1300 هكتار.



خريطة تمثل الموقع الجغرافي لمدينة شرشال

تحتل موقعا استراتيجيا لما تحتويه من مؤهلات مادية وتراثية طبيعية وبشرية تاريخية وثقافية وكذا موقعها المصنف في القطب السياحي شمال وسط الجزائر. تجمع كل القطاعات السياحية والفلاحة والصيد البحري والصناعة اليدوية التقليدية، وذلك نظرا لوجود عنصر التكامل والتداخل بينها والغابات السياحية يمكن أن يشكل هذا القطاع دعما اقتصاديا، وقطاعا حيويا يدعم ميزانية المدينة ويدر اقتصادها المحلي والوطني وكذا موسم الإصطياف فهي ثقافة عند الجزائريين للإستمتاع بالبحر، حيث ينشط أكثر في فصل الصيف دون الفصول الأخرى¹.

¹ Bouchama Kamel, DE IOL à CaeSarea à...Cherchell,(les avatars historique d'une cite millénaire),3ém édition revue et augmentée,2008,p95-96.

3 - شرشال ثقافيا وحضرية:

3-1- شرشال ثقافيا:

وهنا سوف نتطرق لتعريف بالمنطقة بالمدينة ثقافيا وحضرية بهدف إبراز مميزات المدينة كثقافيا، مع ذكر البنية الفكرية وطبيعة الحياة الاجتماعية لأهالي المنطقة.

سميت شرشال بالمتحف المفتوح باعتبارها تحتوى على آثار تعود إلى أكثر من خمسة عشر قرنا ولا تزال إلى يومنا هذا شاهدة على تلك الحقبة التاريخية، ويرى الزائر للمدينة متحفها الأثري المفتوح الواقع وسط غابة من الأشجار والحجارة الضخمة التي تعود إلى عهد الرومان، وحسب اللوح المثبت على جدار المدخل فإنه يطلب من الزوار الهدوء وعدم لمس الآثار أو تقليب الحجارة وتوجد أيضا خريطة للموقع الأثري والمتكون من عدة مساح وساحات تحتوى على غرف مبلطة ومزينة بالفسيفساء والأسوار ولأعمدة ومن الأشياء المميزة للمواقع الأثرية بشرشال هو وجود اللوحات والعلامات الدالة على المكان والمعالم الموجودة به.

المسرح الروماني: من معالم شرشال الأثرية الرومانية نجد المسرح بمركز المدينة وهو من أهم المعالم التي لا تزال صامدة وشاهدة على القيصرية، كذلك بالقرب منه الفوروم الذي اكتشفت معالمه في 1978، أما المدرج الخاص بالسباقات والمعارك والذي كانت تقام به معارك الأسود فيوجد شرق المدينة والسيرك أيضا إلا أنه مهدم قليلا، وعن الحمامات التي اشتهر بها الرومان أيضا فهي تتواجد في الناحية الغربية على وجه الخصوص ومعروف ضمن معالم شرشال الحمامات الغربية الثلاث واحد منها موجود قرب باب تنس لا يزال يحافظ على نمطه وطريقة بنائه بالرخام والفسيفساء وفي الجهة الغربية دائما نجد آثار قليلة جدا تعود للمعبد الموجود بحي "قايد يوسف" ..

يكلفك الدخول للمتحف القديم أو الجديد 20 ديناراً جزائرياً وهو سعر رمزي مقابل مشاهدة المعالم الأثرية بالمدينة حيث يضم متحف شرشال تماثيل تعد الأفضل مما اكتشف في أفريقيا مثل التماثيل الضخمة للإلهين الرومانيين أسكليبيوس وباخوس، أما المتحف المطل على العالم الخارجي ففيه بعض الآثار الرومانية مثل الفوروم، البازيليكا السيفيلية، وكذلك المسرح الروماني الذي كان يسع جمهوراً يتراوح بين 10 آلاف إلى 14 آلاف مقعد، وإلى الغرب منه توجد الحمامات حيث يرى المدرج الروماني أو كما يسمى (الميدان) الذي كانت تتدرب فيه الأسود وكذلك كانت تستعرض فيه مباريات الفرسان بالإضافة إلى العروض المسرحية.

دخلنا في البداية المتحف الجديد وهو الموجود قرب دائرة شرشال حيث كان لنا لقاء قصير مع مسئولة متحف ومواقع شرشال الأثرية، وهو متحف تابع للديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية OGEBC تحت وصاية وزارة الثقافة، ويوجد مقره بدار عزيزة بالجزائر العاصمة، وتشهد متاحف ومواقع شرشال الأثرية زيارة حوالي 17 ألف زائر سنوياً.

المتحف الجديد لشرشال هو بناية تعرض بها السيراميك والفخار وأشياء أثرية كثيرة مصنفة تاريخياً ويعود أغلبها للفترة الإسلامية والأندلسية والتركية. بينما المتحف القديم الذي يقابل مدخله الساحة العمومية التي بنيت في بداية القرن العشرين والمسماة بالساحة الرومانية، فقد بني هو الآخر في العهد الاستعماري، هو بناية ذات طابع متوسطي بحت، تعرض به اللوحات الفسيفسائية والتماثيل الخاصة بالآلهة القديمة وبالعائلة الملكية ليوبا، دخلنا المتحف المتشكل من أربعة أروقة يتوسطها صحن، وعند مدخل المتحف توجد خريطة لقيصرية يوبا وما تحويه من آثار لا تزال صامدة بعض معالمها.

يأوي المتحف إحدى روائع القطع المنحوتة على مستوى شمال إفريقيا كله حسب مسئولة المتحف السيدة فاطمة الزهراء بن عكلوش، حيث تضيف لنا أن أغلب التماثيل المعروضة عبارة عن نسخ لتحف فنية إغريقية ضائعة، كتماثيل هرقل وهو نسخة لتمثال من البرونز من إنجاز ميرون، وتمثال أبولو سرسال هو نسخة لعمل فيدياس، أما أثينا فهو نقل عن تمثال فينوس وهو إعادة لعمل براكسيتال وسكوباس.

3-2- شرشال حضاريا:

سميت شرشال بالمتحف المفتوح باعتبارها تحتوي على آثار تعود إلى أكثر من خمسة عشر قرنا ولا تزال إلى يومنا هذا شاهدة على تلك الحقبة التاريخية، ويرى الزائر للمدينة متحفها الأثري المفتوح الواقع وسط غابة من الأشجار والحجارة الضخمة التي تعود إلى عهد الرومان، وحسب اللوح المثبت على جدار المدخل فإنه يطلب من الزوار الهدوء وعدم لمس الآثار أو تقليد الحجارة.

وتوجد أيضا خريطة للموقع الأثري والمتكون من عدة مسارح وساحات تحتوي على غرف مبلطة ومزينة بالفسيفساء والأسوار والأعمدة، ومن الأشياء المميزة للمواقع الأثرية بشرشال هو وجود اللوحات والعلامات الدالة على المكان والمعالم الموجودة به.

من معالم شرشال الأثرية الرومانية نجد المسرح بمركز المدينة وهو من أهم المعالم التي لا تزال صامدة وشاهدة على القيصرية، كذلك بالقرب منه الفوروم الذي اكتشفت معالمه في 1978.

أما المدرج الخاص بالسباقات والمعارك والذي كانت تقام به معارك الأسود فيوجد شرق المدينة والسيرك أيضا إلا أنه مهدم قليلا، وعن الحمامات التي اشتهر بها الرومان أيضا

فهي تتواجد في الناحية الغربية على وجه الخصوص، ومعروف ضمن معالم شرشال الحمامات الغربية الثلاث، واحد منها موجود قرب باب تنس لا يزال يحافظ على نمطه وطريقة بنائه بالرخام والفسيفساء، وفي الجهة الغربية دائما نجد آثار قليلة جدا تعود للمعبد الموجود بحي قايد يوسف.

يكلفك الدخول للمتحف القديم أو الجديد 20 ديناراً جزائرياً وهو سعر رمزي مقابل مشاهدة المعالم الأثرية بالمدينة حيث يضم متحف شرشال تماثيل تعد الأفضل مما اكتشف في أفريقيا مثل التماثيل الضخمة للإلهين الرومانيين أسكليبيوس وباخوس.

أما المتحف المطل على العالم الخارجي ففيه بعض الآثار الرومانية مثل الفوروم، البازيليكا السيفيلية، وكذلك المسرح الروماني الذي كان يسع جمهوراً يتراوح بين 10 آلاف إلى 14 آلاف مقعد، وإلى الغرب منه توجد الحمامات حيث يرى المدرج الروماني أو كما يسمى (الميدان) الذي كانت تتدرب فيه الأسود وكذلك كانت تستعرض فيه مبارزات الفرسان بالإضافة إلى العروض المسرحية.

إضافة إلى المتحف القديم، هناك المتحف الجديد وهو الموجود قرب دائرة شرشال حيث كان لنا لقاء قصير مع مسئولة متحف ومواقع شرشال الأثرية، وهو متحف تابع للديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية تحت وصاية وزارة الثقافة، ويوجد مقره بدار عزيزة بالجزائر العاصمة، وتشهد متاحف ومواقع شرشال الأثرية زيارة حوالي 17 ألف زائر سنوياً.

المتحف الجديد لشرشال هو بناية تعرض بها السيراميك والفخار وأشياء أثرية كثيرة مصنفة تاريخياً ويعود أغلبها للفترة الإسلامية والأندلسية والتركية. بينما المتحف القديم الذي يقابل مدخله الساحة العمومية التي بنيت في بداية القرن العشرين والمسماة بالساحة الرومانية، فقد بني هو الآخر في العهد الاستعماري، هو بناية ذات طابع متوسطي بحت، تعرض به

اللوحات الفسيفسائية والتماثيل الخاصة بالآلهة القديمة وبالعائلة الملكية ليوبا، دخلنا المتحف المتشكل من أربعة أروقة يتوسطها صحن، وعند مدخل المتحف توجد خريطة لقيصرية يوبا وما تحتويه من آثار لا تزال صامدة بعض معالمها.

يأوي المتحف إحدى روائع القطع المنحوتة على مستوى شمال إفريقيا كله حسب مسئولة المتحف السيدة فاطمة الزهراء بن عكلوش، حيث تضيف لنا أن أغلب التماثيل المعروضة عبارة عن نسخ لتحف فنية إغريقية ضائعة، كتمثال هرقل وهو نسخة لتمثال من البرونز من إنجاز ميرون، وتمثال أبولو سرسال هو نسخة لعمل فيدياس، أما أثينا فهو نقل عن تمثال فينوس وهو إعادة لعمل براكسيثالو سكوباس.

أما جدران المتحف فهي مزينة باللوحات الفسيفسائية والكتابات اللاتينية و ببعض الكتابات العربية، مع وجود قسم خاص بالشواهد الجنائزية، ونجد في صحن المتحف نافورتان جميلتان مزخرفتان بفسيفساء تمثل مشهد الأوليس مع عرائس البحر ومشهد لانتصار نابتون. وفي المتحف كذلك توجد تحفتان من الفن المصري مصنوعتان من الحجر الأسود، تمثل واحدة منها الكاهن بيدوباست وهو أكبر قساوسة الإله بتاح، وتمثل الأخرى ذراعا لتمثال هو توتموزيس الأول ملك من الأسرة الثامنة عشر. ويذكر أنه في عهد الاستعمار الفرنسي الأول لشرشال نقلت العديد من التحف إلى متاحف في مدن باريس والجزائر ودمرت الكثير من المعالم الشرشالية من أجل حجارتها للأسف الشديد، كالمسرح الروماني الذي استخدمت حجارتها المكسوة في بناء الثكنات الفرنسية واستخدمت مواد الهيودروم أو المضمار في بناء الكنيسة، كما شهد ورواق الهيودروم الذي كان معمدا بأعمدة من الغرانيت والرخام وممهدا

بدرجات سلال جميلة، تدميرا على يد الكاردينال المسيحي "لافيجيريه" في بحثه عن قبر القديسة المسيحية "مارسيانا"¹.

وبمناسبة ذكرنا لعهد الاستعمار وتخريبه للمعالم الشرشالية لابد أن نذكر أيضا عن المنطقة ما شهدته من حركة للمقاومة الشعبية في أوساط تلك المنطقة الغابية الهائلة، على يد قادة أمثال محمد بن عيسى البركاني الذي قاتل وقتل في معركة "الزماله" سنة 1834م، وموسى بن علي بن حسين المصري الأصل والشهير بالدرقاوي أو "بوحمار"، نظرا لأنه كان يركب حمارا وهو يتجول بين القبائل لحثها على الجهاد.

كما تعرف شرشال بأزقتها الموريسكية المبنية بعد الهجرات الكبيرة للأندلسيين المهاجرين منذ سقوط مملكة غرناطة التي كان يحكمها المغاربة في يد "فردناند" و "إيزابيلا" عام 1492، إلى غاية طردهم ما بين عامي 1609 و 1910 من قبل الملك الإسباني فيليب الثالث، حيث استوطنوا شمال إفريقية من مدن مغربية وجزائرية وتونسية ساحلية كانت بينها مدينة شرشال.

4-المعالم التاريخية بمدينة شرشال:

ميناء شرشال: حصن الرومان المنيع

أقام الرومان حول ميناء مدينة شرشال الذي شكل حصنا منيعا يمتد على مئات الأمتار، هذا الميناء معروف في وقتنا هذا بكونه ميناء مخصصا للصيد ومع ذلك فهو يستقبل يوميا الكثير من الزوار خاصة مع عطلة نهاية الأسبوع ، ولميناء شرشال العديد من المداخل التي توصلك جميعا إليه لتكتشف عالما آخر للمدينة حيث تنتشر العديد من

¹ –Ghebalou Mohamed Chérif,IOL CESAREE,CHERCHELL,Une cite Millenaire D'art et D'histoire,ouvrage a compte d'outeur,2010,p37.

المطاعم المتخصصة فقط في طهو الأسماك والمأكولات البحرية التي تجذب الزوار الراغبين في تناول المأكولات البحرية على ضفاف البحر وداخل الميناء الكبير الذي خصصت داخله ساحة كبيرة للعب الأطفال وجلس الأولياء.

ولميناء القيسرية نصيب من الآثار حيث تنتصب هناك المنارة المصنفة ضمن التراث الوطني والشامخة شموخ المنطقة ويقوم الزوار عادة بالصعود إليها عبر سلالم أنجزت خصيصا لذلك، وعندما تصعد إلى هناك تشاهد ما يدعوك إلى البقاء هناك حيث تقابلك مناظر طبيعية في قمة الروعة؛ أشجار الغابة الكثيفة والصخور المنتشرة التي تعود إلى أزمنة غابرة، إضافة إلى اصطفااف القوارب الخاصة بالصيد على أطراف الميناء الذي يشكل الصيادون جزاء هاما من ديكوره¹.

"ساحة الفوارة الرومانية" حينما تعانق الحضارة الرومانية

تعد ساحة الفوارة الرومانية من أكبر المواقع السياحية استقطابا للسياح وزوار مدينة شرشال، فعندها تتمازج عراقية الحضارة برومنسية الطبيعة العذراء، لينحدر مباشرة على الميناء مما جعله شرفة مفتوحة على البحر الأزرق حيث يشد انتباهك فانوس المنارة المتلألئ ليلا أو جزيرة المنارة التي تتوسط البحر وقد حطت عليها طيور النورس للاستراحة هناك.

¹ –Ghebalou Mohamed Chérif,IOL CESAREE,CHERCHELL,Une cite Millenaire D'art et D'histoire,ouvrage a compte d'outeur,2010,p49.



صورة تمثل ساحة الفوارة الروماني

الزواج بـ "4 دورو" وبركات سيدي معمر على أهل المنط:

بالإضافة إلى ما سبق، تعرف مدينة شرشال بوليها الصالح "سيدي براهيم الغبريني" و"عرف سيدي معمر" نسبة للولي الصالح "سيدي معمر"، المعروف بتسهيل الزواج وتيسيره على المعوزين من أبناء المنطقة.

ضريح سيدي براهيم الغبريني:

يقع هذا الضريح على يمين الطريق الوطني مقابل المتحف الجديد لمدينة شرشال ويضم مقبرة لجميع عائلة الغبريني وبئر وضريحين بقبتين متصلتين برواق عين قصيبة:

يمثل هذا الموقع نموذجا من نماذج القصبة ويندرج ضمن المواقع الأثرية الإسلامية لمدينة شرشال والمتميزة بطابعها الهندسي في فن العمارة الإسلامية. فهو يحتل وسط المدينة، يحده من الجهة الشمالية طريق محمد عزاز ومن الجهة الجنوبية طريق الإخوة يوسف خوجة المحاذي للأكاديمية العسكرية ويتربع على مساحة قدرها هكتارين وقد كان هذا الحي مقر إقامة لحوالي 1200 عائلة أندلسية في القرن 15 الذين طردوا من اسبانيا سنة 1492. هذا الموقع السكني الذي يمتاز بوجود ساحة محاطة بأروقة وغرف ذات أبواب ونوافذ تعلوها أقواس كما يوجد في كل بيت بئر. الجامع الكبير أو مسجد مائة عرصة:

يقع في وسط المدينة يحده من الجهة الغربية مستشفى الإستعجالات ومن الجهات الثلاث دكاكين ووحدات سكنية. وقد أطلق عليه عدة أسماء منها الجامع الكبير لأنه كانت تقام فيه خطبة الجمعة وسمي بجامع 100 عرصة لإحتوائه على ما يقارب 100 عمود أو عرصة.

معالم الفترة الإستعمارية المدينة الجديدة la ville européenne:

من فندق السيزاري سابقا إلى البحر عبارة عن مدينة مصغرة لمعمارها الفرنسي كانت عبارة عن مزارع فلاحية وبنتها فرنسا. الكنيسة:

بنيت سنة 1876 من طرف فرنسا يقع في الطريق الوطني للمدينة وبعد الإستقلال حولت إلى مسجد لإقامة الصلاة والعبادة ويسمى الآن مسجد الرحمن.

فندق السيزاري:

هذا المعلم بني عام 1930 وهو عبارة عن فندق لإقامة الزوار والسياح.



صورة تمثل مسجد الرحمن بشرشال

1- وصف عادات وتقاليد وطقوس الزواج في عرف سيدي معمر

1- الاختيار للزواج:

تعتبر عملية الاختيار الزوجي مرحلة أساسية في عملية الزواج، وهي محاولة إختيار الرجل لشريكته أولاً قبل طلبها للزواج، ولكن هذه المبادرة ليست بالأمر السهل ولا تأتي تلقائياً بل نتيجة تفكير طويل، وقد تشمل العائلة ككل كما يقول عدي الهواري "ليس أي رجل يستطيع أن يطلب أي امرأة للزواج"¹.

ويتضمن إجراءات ترتبط بثقافة المجتمع، وتتأثر برؤية الشخصية والمعايير الاجتماعية، وتختلف المجتمعات في معايير الاختيار الزوجي وأسسها بحسب ثقافة كل مجتمع، فهناك بعض المجتمعات تقوم الأسرة فيها بدور الوكيل الزواج، وتختار الزوج أو الزوجة لأبنائها بالنيابة عنهم من دون الرجوع إليهم كالمجتمعات لرفية والبدوية، وبعضهم الآخر يتخذ الفرد فيها قرار الاختيار بمفرده دون الرجوع لأسرته كالمجتمعات المتحضرة أو المتمدنة بوجه عام.

فالزواج في عرف " سيدي معمر " مبني على قيم ومعايير الدين الإسلامي والسنة النبوية الشريفة التي تحث على تيسير الزواج وذلك بعدم المغالاة في المهر، أو ما يسمى "بزواج ربعة دورو" تدفع إلى أهل العروس، أما الشروط الأخرى من الجهاز والمصوغ الذهبي القليل فتأجل إلى ليلة الدخلة فالزواج المعمر في السابق كان يعتمد على خصائص منها قلة الارتباط بالمجتمعات الخارجية، أي عدم الزواج من العائلات الغير معمرية وكثرة

¹ - كلثوم علي غانم، اتجاهات الشباب نحو قضايا الزواج -دراسة إستطلاعية على عينة من الشباب القطري، المجلس الأعلى لشؤون الأسرة، قطر، 2010، ص28.

الارتباط على روابط الدم، أي إعطاء الأهمية والأولوية لنظم القرية مما جعل الاختيار الزوجي يركز بالدرجة الأولى على القرابة الدموية.

أما مسألة الزواج فكانت من صلاحية الوالد فهو الذي كان يقرر على زواج ابنته، وأبنيه فيقرر ما يراه مناسباً وبدون حتى أن يستأذنها حتى تجد نفسها أمام قرار الزواج، فالإختيار للزواج كان من مسؤولية الآباء وبالتالي عدم تحكم الأبناء في مستقبلهم لأن زواجهم كان مبكر جعل لإبائهم مسؤولية أخذ القرار بدلا عنهم، لأن الأب كان يرى ان ابنته أو ابنه تنقصه الخبرة في إختيار شريكة حياته.

وغالبا ما تتزوج الفتاة والشاب في سن مبكر، كون أن المجتمع آنذاك يعتبر البنت التي تعدت سن الثلاثين في تعداد العوانس، لكن مع مرور الزمن ونظرا للتغيرات الاجتماعية التي عرفها المجتمع الجزائري تغير معدل سن الزواج وأصبح يصل إلى 30 و32 سنة.

كما تعطي العائلات المعمرية الأولوية في طلب يد الفتاة من المقربين، كأبناء العم أوالعمة وأبناء الخال والخالة، لكن في الوقت الحالي هناك أيضا زواج خارجي "Exogamie" لكن بشرط أن تحافظ الفتاة أو الشاب على عادات وتقاليد، وطقوس "عرف سيدي معمر" هذا ما صرح به اغلبية المبحوثين، ذكور وإناث "من قبل كانت البنت تتزوج داخل العرف، من وليد عمها ولا وليد خالتها ولا واحد من عائلة معمرية واليوم يقدر و يتزوج خارج العرف بصرح لازم يطبقوا كل ما يقول عليه العرف"¹.

ويشترط ان يكون الزواج برضا الوالدين ومن يخالف الولدين سوف يعرف ما يسمى بدعوة الشر إذ أن رضا الوالدين من رضا الله فإتمام هذا الزواج يأتي بموافقة الوالدين أولا،

¹ -ADDI Lahouari, , **les mutations de la société algérienne**, famille et lien social dans l'Algérie contemporaine, éd la découverte, Paris,p89.

حيث يتم اللقاء بين والد الفتاة ووالد العريس في مكان مخصص في اغلب الأحيان يكون في البيت¹.

2- الخطبة:

تعتبر الخطبة أول خطوة في عملية الزواج وتأتي مباشرة بعد إختيار الشريك أو الشريكة وهي مرحلة التعارف بالنسبة للخطيبين، و"تأكيد على هذه المرحلة يكون بتحديد "المهر" وقراءة الفاتحة " وتحديد موعد الزفاف وغيرها من الطقوس².

وتحظى الخطبة بالأهمية في الكثير من المجتمعات الشرقية التي لا تقبل أي علاقة غير رسمية الأمر الذي أصبح معه الخطبة هي الوسيلة الوحيدة المقبولة من الأسرة، والمجتمع للتعارف وتتطوي الخطبة على مرحلة التحول النهائي للمكانة المتغيرة من العزوبة إلى الزواج³.

فالخطبة في "عرف سيدي معمر" بمدينة شرشال تتم بين أهل العروس، والعريس بدون تدخل طرفي الزواج (الشاب والفتاة)، وفق معايير متعارف عليها مستوحاة من الدين الإسلامي والسنة النبوية الشريفة، إضافة إلى ما ينص عليه العرف عدم المغالاة في المهر لتيسير الزواج على الجميع مع الأخذ بالإعتبار الحسب ونسب والأخلاق التي يتمتع بها كلا الطرفين، أي أن كليهما يتمتع بسمعة طيبة وعرض شريف بحيث تكون الفتاة قادرة على تحمل أعباء الحياة الزوجية.

¹ -جان فرنسوا دوروتي ، معجم العلوم الانسانية، ترجمة د. جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع، ب ط، 2009، ص462.

² - الخولي سناء، الأسرة والحياة العائلية، ص190.

³ - Toualbi Radia, **les attitudes et les représentations du mariage chez la jeune fille algérienne**, édition ENAL, 1984, p64.

فإذا تم إختيار الفتاة سواء من طرف الوالدة أو الشاب ،تذهب والددة الشاب لتزور عائلة الفتاة من اجل التعرف على الأسرة والفتاة في آن واحد ،لطلبها رسميا من والديها تكون مرفوقة ببعض أفراد عائلتها حسب الأصول فتصطحب معها الجدة والأخت وكذلك أحد المقربين من عائلة زوجها كالخال، ومن بين الأشياء التي يأخذوها يوم الخطبة ،السكر أو البيض أو علبة حلوى وعندما تتم الموافقة الأولية فإن كانت الفتاة من "العرف" عليها أن تطبق عادات وتقاليد وطقوس الزواج المعمري، وإن كانت من خارج العرف فاعليها أن تعرف كل ما ينص عليه "العرف" لأنها قد دخلت فيه بقبولها الزواج من شاب على "العرف" لتطبقه قبل وبعد مراسيم الزواج.

3-المهر:

بعد الإعلان الرسمي عن الموافقة يبقى الإتفاق على شروط الزواج أي المهر، فالخطبة هي اليوم الذي يتم فيه الإتفاق على كل شروط الزواج، فالمهر هو ما أوجبه الشرع من المال أو ما يقوم مقامه حقا للمرأة على الرجل في عقد الزواج، لذلك جعل الإسلام المهر رمزيا، إذ يترك حسب ماي تقتضيه الزوج، وظروفه. فقد إختلف العلماء والفقهاء في تحديد المهر وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: "إلتمس ولو خاتم من حديد"¹ المهر في "عرف سيدي معمر" يعمل وفق هذا الحديث ،فهو رمزي حيث يقدر ب "لوزية ربع دورو من ذهب" أي قطعة نقدية من ذهب قيمتها "ربعة دورو"، هذا ما ينص عليه "العرف" والغرض من ذلك تيسير الزواج من خلال عدم المغالاة في المهر فهذا هو المهر الذي يدفع للعروس إضافة إلى قنطار سميد ودهان وخروف ،أما الشروط الأخرى من الجهاز ونصيب القليل من الصيغة تكون من ذهب تؤجل بعد قراءة الفاتحة، أو بعد ليلة الدخلة حيث تجدها العروس في بيت زوجها. (2) ومدة الخطوبة لتتعدى سنة أو سنتين، أما عن

¹ - قاسمي، ناصر، سوسيولوجية العائلة والتغيير الاجتماعي، دار الكتاب الحديث، ط1 ، القاهرة، 20 ص35.

الهدايا فلا يتم تقديم الهدايا إلى غاية الزواج كل حسب مقدوره، وخلال هذه الفترة لا يجوز للفتاة أن تأكل من بيت خطيبها حتى بعد الزواج ويقوم الخطيبين بتجهيز نفسيهما، فمن جهة الفتاة تقوم بتحضير جهاز العروس كلبعض الألبسة الأفرشة للمنزل وبعض المجوهرات لمن لديه القدرة على شرائها.

فهي ليست إجبارية، مثلما هو معمول به في بعض مناطق الوطن أما لباس العروس ليوم زفافها فيقدم هدية من أحد اقربائها إذا كانت على عرف "سيدي معمر"، وإن لم تكن من العرف فأهل العريس هم الذين يحضرون اللباس التقليدي الخاص بالعروس.

أما من جهة الشاب فعليه أثقل من الفتاة نظرا لما ينتظره من تكاليف الزواج، من أكل وشرب وتجهيز البيت، وهذا يفسر محاولة إثبات وظيفته كرجل مسؤول في تلبية حاجيات زوجته في المستقبل. هذه أهم العادات المتعارف عليها في مرحلة الخطبة با نسبة لزواج المعمر، وبعد الموافقة على الشروط تقوم والدة العريس بتلبيس كنتها خاتم ليس خاتم الخطبة بل خاتم الكلمة الذي هو رمز القبول الرسمي والمعنى انها أصبحت محجوزة.

ومن العادات الشائعة تفضيل المصاهرة بين العائلات المعمرية لكن اليوم أصبحنا نلاحظ زواج خارج العرف، أما عن رؤية الخطيب لخطيبته فقد عرف هذا تغيرات كبيرة نظرا لعامل التحضر إذ أصبح اللقاء بين الطرفين ضروري قبل الزواج بحجة التعارف أكثر بحضور المحارم.

4- الفاتحة:

الفاتحة هي المرحلة التي تأتي مباشرة بعد الخطبة، وفي الإسلام هي العقد الذي بموجبه تصبح المرأة زوجة شرعية لزوجها، وبهذه المناسبة يحضر أولياء العروس والعريس، وبعض الضيوف من الأهل والأقارب يكون ذلك في بيت العروس، وفيه يتم تقديم كل شروط الزواج المادية المتمثلة في المهر في عرف "سيدي معمر" المهر هو "لوزة ربعة دورو"، أي قطعة نقدية من ذهب قيمتها "ربعة دورو" مع تقديم قنطار سميد، دهان أو سمن وخروف، ومبلغ مالي بسيط كل حسب مقدوره نظرا لتحولات الإقتصادية وغلاء المعيشة¹.

ولتوثيق هذه الشروط على اسس متينة يبرم، عقد الفاتحة، أو قراءة الفاتحة وتكون في المساء في بيت العروس وبحضور إمام مسجد، و العريس ووالده ووالد العروس مع بعض الأقارب تقرا الفاتحة وبعدها يقد خاتم الخطوبة للعروس سواء من طرف والدة العريس، فالعريس لا يضعه في يد العروس بنفسه فلاوجود لحفلة الخطوبة وتبادل الخواتم، وتقطيع الحلوى وغيرها من مظاهر التفاخر وتباهي فلا عرف يحث على التواضع والبساطة، عكس ما هو موجود في الأنماط الأخرى من الزواج في الجزائر لا تقدم أي وجبة غذاء أو عشاء بنسبة للعائلات المعمرية، ماعدا القهوة وبعض الحلويات التقليدية البسيطة.

ملاحظة:

من قبل كان الناس يختارون المسجد كفضاء إجتماعي لإتمام مراسيم الفاتحة باعتباره رمز من رموز الإسلام المقدسة، حيث يتم فيه عقد أهم رباط وهو عقد القران. ومع التحولات الراهنة وذلك نظرا لتداخل الثقافات العصرية، فأصبحت الفاتحة مرحلة مهمة فبعدها كانت تتم بحضور الرجال حيث يغيب فيه العنصر النسوي، والقليل من الأقارب تغير مدلولها

¹ - أسعد فايزة المدينة والمقدس مدينة وهران وأولياؤها نموذجاً رسالة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة وهران، 2007، ص32.

الإجتماعي أصبحت تتم بحضور عدد كبير من المدعوون من الأهل، والأقارب رجال ونساء وبعد الفاتحة يخرج العريس ليضع خاتم الخطوبة في يد خطيبته وهذا رمز للعلاقة الزوجية وحلاوة الحياة يقطعون معا قالب من الحلوى، يدا بيد رمزا لتعاون، وعلى رغم من هذا المزيج الثقافي نجد العائلات المعمرية ترفض هذه العادات الجديدة وتبقى متمسكة بالعرف في كل مراسيم الزواج من البداية إلى نهاية.

5- عقد القران:

يعتبر عقد القران المرحلة الأساسية قبل الزفاف، ففي الماضي كان في نفس الأسبوع الذي يتم فيه الزفاف، أما اليوم فتغيرت العادات والقيم أصبح عقد القران بعد الفاتحة مباشرة فهناك بعض العائلات تفضل عقد القران قبل موعد الزفاف، واستنادا لهذا أصبحت اليوم الفاتحة تتم بموجب عقد القران وذلك حفاظا على نظام الأسرة وتوازن المجتمع.

6- الزفاف أو يوم العرس:

يعتبر الزفاف "نقطة مرور ومرحلة عبور بالغة الأهمية في حياة الأشخاص اي العروسين من الجنسين إذ هو آخر يوم للعزوبية والحياة الفردية، حيث من خلاله يكون الإعلان الكبير بقيام العلاقة الزوجية يترتب عليه حقوق والتزامات لكل من العروسين تجاه الآخر، وبجانب هذا فهو يحاط بكثير من الطقوس والعنا صر الفلكلورية"¹.

إن حفل زفاف "عرف سيدي معمر" في مدينة شرشال يكتسي طابعا خاصا لما له من إهتمام في عاداته وتقاليده، الخاضعة لقواعد إجتماعية وثقافية خاصة بالعرف، فتحضيرات لهذه المناسبة تدوم سبعة أيام متواصلة وبداية المراسيم تكون في بيت أهل العروس

¹ - محبوب محمد عبده، المرأة والقيم في المجتمعات العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2011، ص350.

¹ وبمشاركة كل العائلة كبير أو صغيرا فالزفاف يتم عادة سنة أو سنتين من الخطبة وبإتفاق الطرفين على الموعد، ولهذه المراسيم الإحتفالية عادات وتقاليد تختلف باختلاف الثقافات، وحتى داخل المجتمع الواحد يمكن أن نجد إختلاف، مثل ما هو الحال في دراستنا هذه نجد "الزواج المعمري" له مميزات خاصة من حيث عاداته وتقاليده، وطقوسه. وخلال هذه الفترة تكون العروس منشغلة بتجهيزاتها أي لوازمها الخاصة من لباس وافرشة وغيرها بعد إستلام المهر أي المبلغ المالي لكن بالنسبة للعروس المعمرية مادام مهرها رمزي "لويضة من ذهب" بقيمة أربعة دورو" مع مبلغ بسيط، فإنها تجد جهازها في بيت زوجها بعد الزفاف بالإضافة إلى هذا يمكنها ان تحضير او تجهز ما تريد إذا كان لديها الإمكانيات المادية من ذهب ولباس و فراش.... إلخ.

أما موعد الزواج أو العرس فالأهل وكلا العروسين هم الذين يحددون اليوم فيوم الزفاف في العرف هو لأربعاء ثم يتم الإعلان عنه، وعند إقتراب موعد الزفاف تذهب أم العروس والعريس إلى زيارة ضريح الولي "سيدي معمر" للزيارة وللقيام بلوعة أو الزيارة، هذا إذا كان الطرفين من عائلات معمرية أما إذا كان طرف واحد فقط فيذهب الطرف المعني سواء كان من جهة العروس، أو العريس ويكون هذا قبل أربعة أو خمسة أيام قبل الزفاف.

طقوس الزيارة:

تبدأ الزيارة بالمقام تتوجه النساء ومعهم العروس إلى المقام أو الضريح، ويدخلن بعد نزع الأحذية أمام عتبة الباب، فهذا يدل على مجموعة من السلوكات التي يجب إحترامها خلال القيام بطقوس وترمز إلى تقديس الولي يدخلن الواحدة تلوى الأخرى، وهن يزغردن ثم تخرجن الشموع وتقمّن بإشعالها وحسب قواعد الطقس يبدأن بطواف على الضريح، سبع

¹– BOUDJEDRA, Rachid, **Vies quotidienne contemporaine en Algérie**, Librairie Hachette, Paris, 1971, P46.

مرات متتاليات وهن يتمتن بصوت خافت طلباتهن ثم يرددن عبارات التي تدل على الخضوع التام للعرف "مسلمين مكتفين مع القيام بحركات جسدية تتمثل في تكتيف اليد، كرمز للخضوع وطاعة الولي وقبل الخروج يضعن بعض القطع والأوراق النقدية في صندوق يوجد عل علو متر من الأرض.

أما لوازم الزيارة كقطع القماش لونها أحمر وأخرى أخضر وأبيض، يتم تقديمها لحارس الضريح أو لمقام ويسمى "لوكيل" أو "وكيلة" لأخذ بركة الولي. ويتم أداء طقوس أخرى كتعطير المكان بالبخور ووضع الحناء على الأيدي ثم تضع بصماتها على جدران المقام، للحصول على حماية الولي من الحسد والعين فأصبع الأيدي الخمس ترمز "لأيدي فاطمة" أو "الخامسة" التي نجدها منذ القدم في بلدان المغرب ثم انتشرت في بلدان مختلفة، فأنها ترمز للحماية والقدرة والقوة. توضع الحناء في الضريح باعتبارها ممارسة شعائرية وهي تهدف إلى الحماية من العين الشريرة التي يمكن أن تكون ضحيتها العروس تتمثل هذه الطقوس في عملية تحويل العين الشريرة المفترضة، باستعمال الحناء التي تضعها على اليد، ثم كبصمة على الجدران التي يستقبلها الولي الذي تحمي قدرته المرأة التي أدت هذه الطقوس، وإن لون الحناء الأحمر يدعم دورها الوقائي.

كما يحضرون حلوى بسيطة من دقيق الشعير تسمى "روينة" وهي حلوة تقليدية خاصة بعرف "سيدي معمر" تصنع من دقيق القمح حيث يمزج بسكر وماء الزهر وتشكل على شكل كرات صغيرة وتوزع على الموجودين والفقراء، للبركة وجلب فال الخير للعروس والعريس ، لنيل رضا "الولي سيدي معمر" خوفا من عواقب عدم تطبيق كل طقوس التحضير لمراسيم الزواج المتمثلة في المرض أو الإصابة بالعقم (أي عدم القدرة على لإنجاب)، فقد شكلت زيارة الأضرحة في اعتقاد بعض الأنثروبولوجيين خروجاً عن العالم المادي ،إلى العالم الروحي ممثلاً في رمز الولي الصالح، واعتبرت هروب من الحياة الدنيوية إلى الخيال المقدس وهي

ظاهرة تمثل التواصل بين الماضي والحاضر، عند إستذكار فضائل وكرامات اصحاب الأضرحة، فالفرد متمسك بضمير الجماعة الذي هو واحد منهم، كما يقول 'دوركايم': "الضمير الجمعي ضمير قاس يجعلهم يعاقبون بقسوة بالغة كل من يخرج عن المجموعة أو أوامرهم"¹.

فهذه العائلات المعمرية لازالت تمارس ببعض العادات رغم عامل التغيير، وذلك نظرا لارتباط الإنسان بماضيه وبعادات أجداده، خصوصا وأنه يرى في هذه العادات إمتثال للأسلاف تمثل رمز للخضوع للروابط الإجتماعية الموجودة.

وتبرر في لغة المقدس لتأثير المعتقدات على العادات، وتطبعها فيتأثر بها الفرد، وبالتالي يصبح خاضع لها بحكم القداسة التي تعطيها إياها الذاكرة الجمعية، وهذا الخضوع لسلطة الأجداد ليس خوفا منهم بقدر ما هو تقدير لتقاليدهم ولأن بنية المجتمع تفرض ذلك لضمان الانتماء إلى الجماعة.

7-المرحلة الثانية والأخيرة: تحضيرات عرس "سيدي معمر" في مدينة شرشال:

إن الزواج المعمري له أعراف خاصة حيث يجب على كل من ينتمي إليها أن يحترمها ولكي نتعرف على هذه الخصائص لابد علينا أن نتطرق لتفاصيل الزفاف أو (العرس).

¹-محمد علي محمد، المفكرون الاجتماعيون قراءة معاصرة لأعمال خمسة من أعلام علم الاجتماع الغربي دار النهضة العربية، بيروت، 1986، ص176.

1-تحضيرات العرس:

يوم الذبائح:

باقتراب يوم العرس بثلاثة أيام يحضر أهل العريس إلى بيت العروس، وهم يحملون معهم قنطار من السميد، 7كغ من السمن وخروف كتكملة لمهر العروس فيذبح الخروف وتبدأ النساء بتحضير اللحم من أجل وليمة العرس، حيث في ذلك اليوم في وقت العشاء يطبخ طبق "البركوكس بدواره"، ويقدم للحضور الموجودين من أهل العروس وأغلبيتهم من المقربين من عائلة الأب والأم كما ترسل بعض الصحن للجيران على سبيل الصدقة.

2-ترتيبات الزفاف بانسبة للعروس:

جهاز العروس:

إن مدة الزفاف في عرف سيدي معمر " هي 7أيام، اليوم الأول مثلما ذكرنا يخصص لنحر واليوم الثاني ترسل العروس ما حضرته من جهاز إلى بيت زوجها، حيث تكلف مجموعة من القريبات مثل الخالة والعمة وغيرهم، بتنظيم جهاز العروس من أفرشة ولباس أي ما تحتاجه في حياتها الزوجية في غرفة نومها، وخلال ترتيبهم للجهاز لا تقدم لهم مشروبات، أو حلويات فمن عادات "عرف سيدي معمر " ألا يأكل أهل العروس من بيت العريس حتى بعد الزواج أي يوم الدخلة. وفي نفس اليوم تحضر وجبة العشاء، التي تقدم لأقارب العروس والأصدقاء والجيران ويكون عبارة عن "كسكس" بالحم والخضار مرق أبيض الى جانب فاكهة الموسم.

2-ليلة الحناء :

الحناء هي سنة الأسبقين لذلك يتفاهل المسلمون بها كثيرا، ويعتبرونها قدوة بالرسول صلى الله عليه وسلم، لما ترمز إليه الحناء من أمان والغال الجيد، والبركة لذلك تمثل الحناء رمزا لجلب الحض ومن رموز المؤسسة للعادات، تبدو ليلة الحناء كمرحلة خاصة بالعرب تتصل بمعتقداتهم القديمة كما يؤكد لنا 'ويستر مارك' "كان لعرب يعتقدون بأن الحناء قوة رمزية بمقدورها أن تطهر الإنسان، وتدافع عنه ضد الشر"¹. وكغيرها من الطقوس، فإن طقوس الزواج تعتمد على يوم يسمى «الحناء»، وليلة الحناء في عرف "سيدي معمر" تقام مرتين، المرة الأولى من طرف أهل العروس والمرة الثانية من طرف أهل العريس عندما يحضرون إلى بيت أهلها ليزفوها إلى بيت زوجها. وتقام هذه الطقوس عادة في اليوم الثالث من تحضيرات العرس.

أ-حنة اليمامة:

وهي رمز لفأل بالخير والرزق والبشائر فالحنة هي الفاصل بين الحزن والفرح ولا يقام عرس بلا الحنة ولا تكتمل زينة العروس إلا بها. تقام هذه طقوس في بيت العروس مرتين المرة الأولى ، وتسمى "حنة اليمامة" ويحضر لهذه المناسبة أكلة "الروينة" فتتم في حفل بهيج تحضره النساء من أقارب وجيران ،فهو طقس انثوي لوجود فيه لذكور إذ تغيب السلطة الذكورية ،ويكون لباس العروس عبارة عن لباس تقليديا أبيض مصنوع من غرزت لحساب ذات أكمات طويلة تغطي رأسها بخمار أبيض أو أحمر ثم يربط رأسها بوشاح أحمر كرمز "للحزام الذي كان يضعه "الولي الصالح سيدي معمر" وتضع شمعتين على رأسها

¹ -سكار جينيسكا كريستينا وحدة التراث الشعبي العربي مدخل تاريخي للوحدة العربية الملامح العربية المشتركة في الزواج، مجلة شهرية تصدر عن وزارة الثقافة والإعلام دار الجاحظ، العراق، العدد38، 1980، ص 10.

من الجانبين وتكونا مشتعلة ،ويوضع على كتفها مرآة لإبعاد العين والحسد ثم تجلس في الوسط باتجاه القبلة على جلد خروف مقلوب ،وتتولى امرأة مسنة مهمة وضع الحناء التي يتم إحضارها من ضريح "سيدي معمر" في الزيارة الأخيرة للبركة وفأل الخير، قبل الزفاف يمكن للعروس أن تتزين بالحلي أو بمساحيق التجميل فالحناء هي مصدر تزين يدي العروس ورجليها ،وهي رمز لزينة والتطلع للحظ السعيد.

تقدم سيدة من الحاضرات الحناء في طبق من فخار مغطي بمنديل فتخلط الحناء بماء الورد والبيض، وتضع على كلتا يدي العروس إلى الكعبين والرجلين إلى الكوعين وتربط بقفاز أو قطعة قماش أبيض، وترفق هذه الطقوس بالزغاريد أو "تول ويل" هي عادة تعمل بها النساء باعتبارها أساس الإحتفالات كرمز للفرحة، إن "الزغاريد" نوع من الرموز اللغوية والصياح الطقوسي كانت تقوم به نساء الإغريق في المعابد.

صورة تمثل طقوس الحناء لعروس سيدي معمر



ولزغاريذ وظيفة رمزية مزدوجة، فهي وسيلة إخبارية من خلالها يتم الإخبار ولإشهار بالحفل وفي نفس الوقت لها وظيفة نفسية هي تعبير عن الفرح ولمشاعر، هي ذات طابع نسوي تحاول من خلالها إثبات وجودهن فهي علامة بروز اجتماعي. ويرافق الزغاريذ تقدم، يمثل هو أيضا رمزا لفظيا عبارة عن مجموعة كلمات على شكل شعر وتتمثل فيما يلي: "بسم الله بسم الله اوبيك يبدأ البادي اوبيك بيد البادي والي مصلى على النبي يسمى شافي تريح تريح يارابح ولفال قال انشاء الله

محمد محمد صلوا يالاما عليه سيدنا وحبينا ويربح من صلى عليه جينا مطريق بعيدة وكراسينا يرعد هذي مرتك يا ولدي وعشرة في عنين العدو".
وهناك تقدم آخر خاص "بعرف سيدي معمر" على شكل قصيدة أو أغنية تذكر خصال الولي الصاح "سيدي معمر".

القصيدة الأولى

يا علايتي سيدي امعمر	يا علايت السادات
يا علايتي بو مكحلة	حرم الحميسيات
سيدي وسيد خاوتتوا	والعالية الي رباتوا
سيدي امعمر قنوني	وأنت نور أعيوني
جيتك بجاه الله	جيتك يا مول البرهان
بجاه الله ترضى علينا	يا امعمر يا نور عينيا
سيدي امعمر يا ناس	راهو علينا عساس
سبحان من كان عليل	وبرا وصاب الراحة
الله يا الله يا الله	الله يا الله يا الله
سيدي امعمر رايس السادات	بيه الرجال تعلات
سيدي امعمر ولاد البيضات	والشموع بيه اضوات

خلال التقدم توضع الحنة في يد العروس، وينتظر جميع الحضور طقس الحناء لما فيها من معاني ورموز كبيرة لدى العامة.

* الحنة رمز السعادة والفرح.

* البيض رمز الخصوبة والغنى.

* ماء الزهر رمز المودة واللفظ.

* القطعة النقدية رمز للثراء.

أما المرحلة الثانية لمراسيم "الحناء" لعروس "سيدي معمر" يوم تزف إلى بيت العريس قبل خروجها من بيت أهلها توضع لها الحناء من طرف أهل العريس وبنفس الطقوس.

لهذا يعد طقس "الحناء" جزء أساسيا من المراسيم الإحتفالية للزواج، في المجتمع الجزائري عامة ومجتمع بحثنا خاصة فهي تتجاوز الحدود الجمالية التي تتزين بها النساء وهي مرحلة عبور لتجعل من هذه الليلة، ليلة وداع العروس لأهلها ووداع للعزوبية، والانتقال إلى حياة الزوجية والمسؤولية¹.

4-الذهاب للحمام (حمام لعروسة):

إستحمام العروس طقس من الطقوس المرتبطة بالزواج وهي في آخر مرحلة من مراحلها وليس لطهارة فحسب كما يظن الكثير من الناس وإنما له وظائف أخرى كثيرة. يجري الاعتقاد عند أهل مدينة شرشال، أن استحمام العروس في الحمام هو رمز للإخصاب فبخار الماء الساخن يساعدها على أن تحمل بسرعة كما يرى بعض الباحثين أن الحمام يوحي بالإثارة الجنسية، وهو تحضير للفعل الجنسي لهذا نرى أن العريس والعروس يذهبان للحمام قبل وبعد العرس ويرمز الماء لنظافة والطهارة وأيضا إلى استمرار الحياة والخير والرفاهية.

يجرى الإحتفال بيوم "الحمام" «في "عرف سيدي معمر" قبل زفاف العروس، وفي اليوم الرابع تتوجه العروس ومن معها من الأقارب إلى الحمام، والذي يكون عادة مخصص لهن بعد أن يتم كرائه وغلقه وعند الوصول تزغرد النساء وتلبس العروس "قوطة" المنسوج"¹ وتصطحبها إمراتان حاملتان الشموع، حيث تتطلق الزغاريد ويتجهن داخل الحمام فلا يجوز للعروس أن تدخل لوحدها لتستحم، لأنه في الإعتقاد السائد قد يعرضها لظاهرة المس.

وبعدما تستحم تخرج مصحوبة بزغاريد المتعالية، ثم ترش بالعطّر كما ترش كل من يوجد في الحمام كرمز لقال الخير والحظ السعيد، بعد الحمام يجتمع الجميع في ساحة الحمام حيث توزع "الحنونات" و"الروينة"، والمشروبات تسمى "الشربات" وترافق العروس إمرأة متقدمة في السن لتجعلها في أحسن صورة، إلى غاية ذهابها إلى بيتها.

5-تسديرة العروس:

تمثل آخر المراسيم الإحتفالية الخاصة بالعروس في بيت أهلها، حيث يخصص هذا اليوم للعروس حيث تلبس أجمل ما لديها من ثياب التي أعدتها خصيصا لهذا اليوم على مرأى جميع المدعوات في فضاء إجتماعي خاص بالنساء، يمكن أن يكون في بيت الأهل، أو قاعة الحفلات نظرا إلى بعض التغير الذي طرأ على عادات وتقاليد الزفاف المعمرى خاصة بالنسبة للجيل الجديد²، فمن قبل لم تكن هناك تسديرة حتى بعد ليلة الدخلة وتكون في بيت العريس اما حاليا فهناك من تذهب لصالونات الحلاقة لزينة وتسريحات الشعر العصر.

¹ -عمر الجولاني فادية، إتجاهات الأسرة العربية نحو عادات الزواج، المكتبة المصرية، الإسكندرية، 2004، ص، 171.

² Carlier, O. , « Les Enjeux Sociaux du Corps, le Hammam Maghrébin (19-20 siècle) lieu pérenne, menacé ou recréé, *Annales, Histoire, Sciences sociales*, 55 année, N°6, Nov.- Déc 2000, Paris, éd. l'Ecole des Hautes Etudes en Sciences Sociales, p. 1312.

6-الإحتفال في بيت الزوج:

تقام هذه المراسيم في بيت العريس أو الزوج، وهناك تحضيرات خاصة لهذه المناسبة هي كالآتي:

تكون عادة في اليوم الخامس حيث يتوجه أهل العريس ،وأقاربه إلى بيت العروس في موكب جميل مرفوق بزغاريد النسوة ،وترديدهم لأغنية "سيدي معمر " متبوعين بفرس بيضاء مزينة لتحمل أو تنقل العروس فهذه هي عادة عروس "عرف سيدي معمر"، وهي رمز لفال الخير في إعتقاد العائلات المعمرية فالفرس له مكانة خاصة في ذكارتنا الشعبية يتناقلها الأفراد عبر الأجيال فهي خطاب إجتماعي ينتقل من جيل لآخر عن طريق التنشئة الإجتماعية ولهذه المراسيم الإحتفالية وقت محدد، تكون بعد الساعة الثانية صباحا وقبل صلاة الفجر وعند وصول الموكب أمام بيت العروس ،تدخل النساء فقط ورجال يبقون في الخارج حيث تتقدم امرأة كبيرة في سن وتكون متزوجة من عائلة العروس وهي تحمل معها طبق فيه حناء و"ملحفة"،وهو اللباس الزفاف الذي سوف ترتديه العروس فهذا اللباس يهدى من طرف عائلة الزوج إذا كان هو أيضا من العرف، وإن كان من خارج العرف يهدى من طرف عائلة العروس.

أ- "الملحفة": هي لباس تقليدي خاص بعروس عرف "سيدي معمر" يوم تزف إلى زوجها ويتكون هذا اللباس من قماش ابيض يلف على العروس بطريقة خاصة للحصول على ما نسميه ملحفة.

* برنوس أبيض.

*بنيقة حمراء يغطي بها شعر العروس.

*حزام أحمر يحزم به العروس وشمعتين توضع فوق الرأس.

- * قمجة بيضاء ومراة لونها أحمر عددها 02 تضع على الكتفين عند ربط الملحفة والغرض منها إبعاد العين.
- * خيوط من الصوف يربط بها ملحفة العروس.



صور تمثل لباس لمحفة لعروس سيدي معمر

7- طقوس خروج العروس من بيت أهلها ولبس "الملحفة":

ولعرف "سيدي معمر" طقوس خاصة بطريقة تزين العروس وخروجها من بيت أهلها نحو بيت زوجها حيث يطلب منها أن تكون طبيعية فتمنع من استعمال أي مساحيق للتجميل، والحلي والمجوهرات ولا يسمح لها بذلك إلا بعد وصولها إلى بيت زوجها وإتمام الدخلة، وقبل خروج العروس من بيت أهلها تلبسها امرأة متقدمة في سن "الملحفة" ويجب أن تكون هذه الأخيرة من العرف، حيث تلبسها قمجة بيضاء طويلة وبأكمام.

وبعدها يضعون عل رأسها بنيقة حمراء وأخير تلبس البرنوس الأبيض ويغطي رأسها ويربط بوشاح أحمر لتضع عليه الشمعتان وتكونا مشتعلتان، وأخيرا توضع المرايا وعددها، اثنتين على الكتفين، أما الحزام الذي يشد به على وسط المرأة يجب أن يسبع سبع مرات حولها، ومن جهة أخرى فإن الملابس الزائدة من الإزار والملفوفة حول صدرها يتشكل معه كيس توضع به كميات من الحلوى والتين واللوز أو "التراز"، حيث تلقي بها العروسة إلى الحضور من الضيوف الذي ينتظرون خارج البيت الذين يسارعون إلى التقاط هذه الحلوى بل ويتهافتون عليها بشكل مدهش وكأنهم يرونها لأول مرة دون أن يجدوا لذلك تفسيراً إلا بكونها تحمل "بركة الولي الصالح". يشترط على العروس أن تخرج من بيت أهلها وهي حافية القدمين مرفقة بالزغاريد وأغنية "سدي معمر" وتضع على ظهر فرس بيضاء تحملها إلى بيت العريس.



صورة لتحضير عروس سيدي معمر



صورة تمثل تحضير خروج عروس سيدي معمر



صور تمثل لباس عروس سيدي معمر عند خروجها لتزف إلى بيت زوجها



صورة تمثل طقوس سيدي معمر لزف العروس لببيت زوجها

ملاحظة:

إذا كانت العروس تقطن بعيدا عن بيت أهل العريس يمكنها أن تزف إلى بيت زوجها على متن سيارة، وذلك بحضور موكب الزفاف الذي يحضره العريس، بالحفاظ على نفس الطقوس.

الأغنية التي يتم ترديدها عند خروج العروس من بيت أهلها

يا علايتي سيدي امعمر	يا علايت السادات
يا علايتي بو مكحلة	حرم الحميسيات
سيدي وسيد خاوتاتوا	والعالية الي رباتوا
مروان يا مروان	ولعالية لربات
سيدي معمر قنوني	وأنت نور أعيني
ونتيا نور عيوني	مروان يا مروان
جيتك بجاه الله يا سيدي معمر	جيتك بجاه الله توب علينا
جيتك بجاه الله	جيتك يا مول البرهان
بجاه الله ترضى علينا	يا معمر يا نور عينا
سيدي معمر يا ناس	راهو علينا عساس
سبحان من كان عليل	وبرا وصاب الراحة
الله يا الله يا الله	الله يا الله يا الله
سيدي امعمر رايس السادات	بيه الرجال تعلات
سيدي امعمر ولاد البيضات	والشموع بيه اضوات

تحرص معظم العائلات على احترام تلك الطقوس خوفا من إصابتها بلعنة الولي إذا ما خالفوا عرف أو عادة "سيدي معمر".

ملاحظة:

في حالة مرض العروس وعدم الإنجاب دليل على عدم تطبيق كل عادات العرف يجب تكرارها مرة ثانية، حيث تخرج العروس وهي حافية القدمين من بينها، وعليها جمع مقدار من الدقيق من سبعة بيوت ثم تؤديها كزيارة للولي للحصول على عفوه وبركته وتسمى هذه الطقوس "تسوسي".

8-ليلة الدخلة:

يعبر مفهوم الدخلة في المخزون العام للذاكرة الجمعية على إثبات عذرية الفتاة أو العروس، لذلك ينتظر الجميع هذا الطقس أي كل من اهل العريس والعروس، كما ينتظرها العروسان نفسيهما.

وقبل التطرق لهذا الطقس يجب تحديد رمزية البكارة في المجتمع العربي الإسلامي. لقد كانت على مر العصور ينظر إليها على أنها علامة أنثوية وخصوبة الزوجة، ورمز للعفة باعتبارها قيمة أساسية في الأنثى المكتملة فقد ترمز ليلة الدخلة للطهارة، مما جعلها تأخذ صفة القداسة لدى المجتمع العربي عموماً، والمجتمع الجزائري خصوصاً لذلك ينظر إليها في هذه المجتمعات باعتبارها خاصة مميزة لشخصية الزوجة الكاملة الأوصاف¹.

هذا ما يجعل هذا الطقس شيء مقدس، ويجعل من ليلة الدخلة طقس عبور أو مرور تنتقل فيه المرأة من عالم العزوبة إلى عالم الخصوبة، هي امتحان حقيقي يختبر فيه الزوجان لأنهما مجبران على أن يبرزوا برهان، "القدرة" و"العذرية" وهذه الليلة هي رمز لرجولة في

¹ -Faouzi Adel, **La nuit de nocés ou la virilité piégée**, Insanité, N°4Janvier-avril1998, revue algérienne d'Anthropologie et de sciences social, Cracs, Oran, p4.

الوسط الاجتماعي، ودليل على القوة الذكورية¹ هي لحظة حساسة وحاسمة في حياة العروسين، فهي المحور الرئيسي لمراسيم حفل الزواج فهي تعتبر الدخول إلى مرحلة جديدة، واكتساب مكانة مغايرة يقول عادل فوزي في هذا الصدد:

"إنها المحدد الأساسي لمركز ووضع كل الأطراف المتعاقدة خصوصا وأن الجانب الأخلاقي لاسيما الشرف، سيأتي كمبدأ أساسي ضمن التفاعلات التي تحدث في هذه الليلة"².

وهذا ما يجعل من الزواج في حد ذاته طقس مرور حيث يمر فيه كلا الزوجين من حياة عادية تتميز بالفردية ليس فيها مسؤوليات، إلى حياة مشتركة مليئة بالمسؤوليات لكل فيها حقوقه وواجباته فتمر العروس من جماعة العازبات إلى جماعة المتزوجات كما يمر العروس(الرجل) في هذه الليلة إلى حقل إثبات الذات من خلال فض البكارة³. إذن الزواج هو في الحقيقة طقس مرور الذي يغير جذريا قانون حياة العروسين الجديدين.

ومن بين العادات الخاصة بليلة الدخلة التي مازالت سارية في عرف "سيدي معمر" عند وصول العروس إلى بيت العريس يستقبل العروس طفل صغير ينزع عنها البرنوس لكي ترزق في أول ولادتها بذكر ولا تتم ليلة الدخلة في ذلك اليوم، حيث تنام العروس مع من رافقها من النساء القريبات في غرفة أخرى، مع عزوف أهل العروس المرافقين لها يوم الزفاف إلى بيت زوجها عن تناول أي شيء أو حتى شرب الماء في منزل العريس قبل أن تتم الدخلة، وهو ما يجعل أهل العريس في الغالب يعتمدون على جيرانهم لإطعام أهل

¹ –Guy Rocher, **Introduction a sociologie général, L'organisation sociale**, t2 HMH, Montréal, 1968, p.

²–Faouzi Ade l–instancia, Revue **Algérienne d'anthropologie et de sciences sociales, famille hier et d'aujourd'hui**, CRASC, 1998, P3.

³ –Guy Rocher, **L'organisation sociale**, op.cit., p96.

العروس. وفي اليوم الموالي يؤتى للعروس بسمكتين فينثرون في حجرها حراشفها تيمنا بكثرة الأبناء وتلبس لمحفة مرة أخرى لتقضي بها ليلة الدخلة، نظرا لهذه لأهمية التي يوليها المجتمع ليلة الدخلة فتصاحبها طقوس متنوعة في مجتمع البحث بعد دخول العريس على عروسه وبعد فض البكارة يخرج ويقدم المنديل أو قميص نوم ملئ بدم لأهله وأهلها، يثبت من خلاله عن عذريتها فتصبح قطعة القماش دليل رمزي على عذرية العروس، إن العفة النفسية غير كافية في غياب دليل مادي وحجة ملموسة تؤكد لها يوم ليلة الدخول، وهي مرحلة يثبت فيها العروس قدرته الذكورية واثبات رجولته فإن ليلة الدخلة تتميز بفرحتان فرحة الحفاظ على الشرف، وفرحة اثبات الرجولة.

بعد هذه الليلة في (صباح دخول) تحمل والددة العروس قمجة إبنتها لتوريها لوالدة العريس وهي تزغرد كرمز على التفاخر وتباهي بعذرية وشرف إبنتها، التي أثبتت عفتها وطهارتها نفس الشيء تقوم به والددة العريس لتباهي بار جولة إبنها. هذا الطقس يعتبر المرحلة التي يمكن للمرأة أن تحظى بقبول المجتمع وبذلك هو طقس إنتماء إلى العضوية الإجتماعية، ففض البكارة والطهارة ترمز إلى شهادة القبول داخل المجتمع، أما دم العذرية هو بمثابة التضحية التي تقدمها المرأة مقابل الإعتراف الإجتماعي وبذلك هي لحظة ميلاد ثانية للمرأة، وفي صباح الدخلة يقدم العريس هدية إكراما لها على حفاظها على عذريتها وتكون قطعة من ذهب خاتم أو أقراط.

ثم تجتمع عائلة العروس مع عائلة العريس أين يتم اصطحاب العروس إلى الحمام ولدى عودتها يقصون قليلا من شعرها دلالة على أن الصبية أصبحت، امرأة وتزين بزينة من مساحيق التجميل، والمجوهرات وتلبس لباس تقليدي جميل. وتحرص معظم العائلات على احترام تلك الطقوس خوفا من إصابتها بلعنة الولي إذا ما خالفوا عرف أو عادة سيدي امعمر.

وبقدر ماهي ليلة حاسمة للمرأة، كذلك الرجل عليه ان يثبت جدارته أمام مجموعته في خضم الحياة الفردية، والجماعية وبذلك يعد طقس مرور " les riturles de passages" بالنسبة لثقافتنا المحلية أخذ هذا الطقس مسارا إحتقاليا غريبا، حيث يجب تقديم قميص نوم العروس (لقمجة- أوالمنديل) إلى والدتي العروسين، لكن في أغلبية الحالات يفضل الزوجين الحفاظ على الخصوصية، وهذا راجع الى تشبع شباب اليوم بثقافة جديدة أي تحمل المسؤولية المطلقة كأفراد راشدين¹. وبالموازاة مع ذلك يتم تحضير الروينة، لتوزع على الأقارب وفي صبيحة الدخلة يؤتى إلى العروس برحى حيث تقوم برحى ما يعرف في الجزائر ب "الدشيشة" وهي عبارة عن قمح مطحون ثم تقوم بطبخها ليفطر عليها الجميع في صبيحة العرس.

إذن فالعرس قد تم بجميع مراحله ،وطقوسه الإحتقالية بما أنهم خضعوا لقوانين "عرف سيدي معمر"، يقام عرس كبير يسمى "بالمحفل" ففيه يتم تبين كل ما أشتري للعروس من جهاز ومصوغ ذهبى للناس تعبير عن قبولهم وفرحتهم بالعروس وفي اليوم السابع يقومون بعملية تحريم العروس حيث يلبسونها فستان(جبة) مقلوب وبرنوس وتكون مكتوفة - مربوطة الأيدي - للدلالة على أنها خاضعة لأوامر وشروط "سيدي معمر" وفي هذا الوقت يهتفون بعبارة "مسلمين ومكتفين" و مدح " لسيدي معمر" بالغناء ،وهي مزيج من الرموز الفضية الغناء وجسدية كالرقص وحركة اليد "مسلمين مكتفين" ترمز لطاعة الولي والخضوع التام.

أما بالنسبة لمحفلة العروس فتوضع في "طبق من دوم" ويجمعون فيها زيارة، هي عبارة عن مبالغ مالية يتبرع بها الضيوف والأقارب ليتم اخذها بعدها، إلى "ضريح سيدي معمر" حيث توضع "لمحفلة" على المقام، وتقدم المبالغ المالية لوكيلة الضريح.

¹-شبال مالك مرجع سبق ذكره، ص106.

وتحرص معظم العائلات على إحترام تلك الطقوس خوفا من إصابتها بسوء، أو لعنة الولي إذا ما خالفوا عرف أو عادة "سيدي امعمر".

9- طقس الحزام:

ترتبط بهذا اليوم عادات لا بد من إتباعها ومراعاتها فتقتضي تقاليد الزواج لدى العائلات المعمرية في شرشال أن يزور أهل العروس إبناتهم في صباح الدخول (صباح ليلة الدخلة) حاملين طبق فيه أنواع مختلفة من المكسرات وحلويات، ويدخلن بها الى بيت العريس بزغاريد.

وهو آخر مرحلة في العرس بنسبة لأهل العريس، حيث يقام حفل صغير وقت الظهر بعد ليلة الدخلة ويضم فقط أفراد العائلة، وبعض الأشخاص المقربين حيث تقوم إمراة كبيرة ومتروجة باللباس العروس "ملحفة العرس"، مع تباع كل طقوس اللباس مرة أخرى أما الحزام الذي يشد به على وسط العروس يجب أن يسبّع سبع مرات حولها، ومن طقوس "الحزام" أن يقوم ولد صغير بوضع الحزام على نطاق العروس سبعة مرات ويسلم عليها وتعطيه قطعة نقدية، إن إختيار الولد للقيام بهذه المهمة فال خير، ويرمز لإنجاب الذكور. ومن جهة أخرى فإن الملابس الزائدة من الإزار والملفوفة حول صدرها يتشكل معه كيس توضع به كميات من الحلوى والتين واللوز أو "التراز"، حيث تقوم العروس برمييه بطريقة عشوائية للحضور، وهذا يرمز للخصوبة والرغبة في إنجاب الأطفال. ولطقس الحزام وظائف متعددة منها:

الوظيفة الجمالية حيث يساعد على حفظ القوام، وإظهار الرشاقة، أما المعنى الخفي فيتمثل في كونه يشير إلى إنخراط العروس في الحياة الزوجية، واستعدادها لمواجهة وتحمل المسؤولية الملقاة على عاتقها من الجهتين المادية والمعنوية الإمتثال والإنضباط، وتنفيذ الأوامر.

أما الحزام بحد ذاته فهو دلالة على ربط العروس، وإمتلاكها من طرف عائلة العريس واستقبال حياة جديدة واكتساب مكانة مغايرة، وهي صفة المرأة المتزوجة يقول "لواست": "العذراء لتضع وسط خصرها أي حزام أو رباط، وقد جاءها اليوم الموعد والذي تودع فيه حياة العزوبية نهائيا، وفي الختام تقاد العروس للتعرف على عائلة زوجها".¹

نستنتج من كل ما سبق أن "الحزام" يمثل مرحلة عبور، أي خاتمة لفترة راحة العروس، وإعفاءها من كثير من الواجبات، لتبدأ بعد هذا اليوم في تحمل المسؤولية والقيام بما تعرضه قواعد الحياة الزوجية.

¹ -Emile Laoust, **Noces berbères les cérémonies du mariage au Maroc**, Edition sud, paris, 1993, p49.

نبذة تاريخية عن مدينة بني يزقن

تمهيد

1 - بني يزقن تاريخيا.

2 - بني يزقن جغرافيا.

3 - بني يزقن ثقافيا وحضاريا.

الخلاصة.

تمهيد:

"بني يزقن" مهد الحضارة ومقل التراث ولأصالة هي قلب غرداية النابض بروح الحياة العريقة ونسمات الأصالة المتجذرة لدى المزابي والتي ورثها أبا عن جد.

بني "يزقن" أو (آت يزجن) بالغة الميزابية هي "آتيزجن" أحد القصور السبعة في مدينة غرداية، وتعتبر نقطة مهمة جدا تاريخيا واجتماعيا وحضاريا وكذلك طبيعيا فهي تلقب "لؤلؤة الصحراء".

يزخر قصر "بني يزقن" بآثار كبيرة خلفتها حضارات الأمم والشعوب التي تعاقبت على المنطقة، وظلت شاهدة على عمق ماضيها.

لقد أنجبت "بني يزقن" مشاهير العلماء والأدباء، والشعراء، والفقهاء شاركوا في بناء صرح الحضارة الإسلامية وإثرائها منهم قطب الأئمة الشيخ محمد بن يوسف أطفيش وشاعر الثورة "مفدي زكرياء".

من خلال هذا المبحث سنحاول التعرف بإيجاز عن ميدان بحثنا لمدينة أو "قصر بني يزقن" معتمدين بصورة أساسية على ما كتب حولها، وتصورها عبر الأزمنة والعصور لكثير من المؤرخين بالإضافة إلى إبراز أهم مميزاتها بإيجاز من الناحية التاريخية، الجغرافية، والثقافية.

1- بني يزقن (آت يزجن)

نشأة قصر "بني يزقن" وتطوره التاريخي:

تأسس قصر "بني يزقن" (آت يزجن) في الفترة الرابعة عشر 270 هـ / 1321م، أصل المدينة "تافيلاّت" ولا يزال هذا الاسم يطلق على أول أحياء المدينة الواقع في الجزء الأعلى منها، وقد استقبلت هذه المدينة سكان القرى المجاورة والمهجورة: ترشين: ثلاث موسى، أفوناي، بوكياو، أما سكان "موركي" فقد تفرقوا بين "بنورة" وبني يزقن وسكان "تمزرت" فقصده بعضهم "بني يزقن" وبعضهم "بنورة" والباقي غرداية. وفي الحديث عن أصل سكانها يقول الشيخ الحاج محمد بن يوسف أطفيش "قطب الأئمة 1818. 1914: ((ففي أعماق قسنطينة قوم يسمون أولاد يسقن جاءت طائفة منهم إلى القرية فنسبت إليهم)).¹

يظهر أن إزقن اسم قبيلة بربرية، منتشرة جنوب قسنطينة مركزها الحالي مليلة، مشهورة اليوم بالسقينة، تتألف من ثلاثة أعراش: أولاد موسى، وأولاد عنان، وأولاد خالد، مع الملاحظة أن القبائل موجودة كلها "ببني يزقن" دون سواها من المدن الميزابية. تتميز المدينة أو قصر "بني يزقن" بإرثه المعماري الذي يجمع بين البساطة، والأصالة، والمعاصرة. فيمكن القول عنه أنه القصر المثالي في أيامنا هذه، حيث لا تزال المدينة تحيط بصور الذي يبلغ طوله بعد آخر توسع للمدينة 2500م. ويبلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار، تتخلله خمسة أبواب: اثنان أساسيان "الباب الغربي والشرقي، وثلاثة منها ثانوية متفاوتة الارتفاع موزعة بين المدينة والجنان المجاورة لها كانت تستعمل للحراسة. وأشهرها البرج المنسوب إلى "الشيخ بالحاج" المدفون بالقرب منه، حيث يبلغ طوله 14مترًا ويتألف من خمس طوابق، وهو البرج الوحيد الذي يستند إلى دعامتين تسمى الواحدة منها بالغة الميزابية "بوليلة" لذا تسمى "برج بوليلة"، يمكن أن ترى من خلاله واحات النخل التابعة للقصر.

¹ الحاج سعيد: مرجع سبق ذكره، ص23.

ويتوسط المدينة سوق " لاله عشو " الذي لا تزال إلى الآن تباع فيه السلع بالطريقة التقليدية بالمزاد العلني، يفتح كل يوم بعد صلاة العصر حيث تعرف ساحة السوق حينها نشاطا كبيرا وحركة غير عادية.

وما يميز مدينة "بني يزقن " مسجدها العتيق المتربع في قمة القصر تعتليه منارة تتميز بشكلها المعماري وقد احتفظ إلى الآن بهندسته الأصلية، كما تشتهر المدينة بمصلياتها الجنائزية كمصلى الشيخ بمحمد باسة أو فضل وغيرها.

ويتميز قصر " بني يزقن " بمكاتبه المتعددة والغنية، المهيأة داخل مساكن أين يمكن مطالعة العديد من المخطوطات، والمؤلفات الخاصة بمختلف جوانب المجتمع الإباضي وتشريعاته.

2- بني يزقن "آت يزجن" جغرافيا:

سوف نتعرض باختصار إلى الموقع الجغرافي لمدينة أو قصر "بني يزقن" مع أهم المميزات المناخية والطبيعية.

1 . موقعها الجغرافي:

بني يزقن "آت يزجن " تقع المدينة جنوب العاصمة الجزائرية " الجزائر " تبعد عنها حوالي 600 كم وبالضبط بمنطقة "وادي ميزاب" بولاية غرداية.

يقع قصر بني يزقن " على قمة التلة بين قصري "مليقة" و "بنورة"، وبملتقى واد أنتيسة بوادي ميزاب، ويعتبر واد أنتيسة حدوده الطبيعية من الناحية الشرقية، البابان الرئيسيان الواقعان في الشمال والجنوب (باب الشرقي وباب الغربي) وثلاثة أبواب صغيرة (خارجة) تؤدي نحو المقابر.

استفاد "قصر بني يزقن" من عدة عمليات ترميم وحماية وإعادة تأهيل مشكل عناصر النظام الدفاعي للقصر.

يستعمل سكان منطقة مدينة "بني يزقن" كغيرهم من سكان ولاية غرداية اللهجة الميزابية المحلية إلى جانب اللغة العربية التي يمتاز سكانها بفصاحتهم الشديدة ونطقهم السلس للغة العربية الفصحى.

ΣΨ⊗ΟΓ°Ι ΣΓ⊗⋈U°Ο °+ Σ⋈I⊗



أغرم تافيلالت: هو النواة الأولى لقصر بن ي يزقن، شيد بموضع المسجد العتيق.
أغرم أنموركي: بني فوق مرتفع جبل يشرف على قصري بنورة وبني يزقن.
أغرم أنبوك: بني على جبل يشرف على الجهة اليمنى لبساتين بني يزقن.
أغرم أنترشين: بني بالمحاذاة من بساتين بني يزقن في الجهة الشرقية.
أغرم أنمومو: يقع في شعبة جبل من الجهة القبلية لبساتين بني يزقن.
أغرم ناقنوناى: يقع في الجهة الغربية لواحة بني يزقن وقد كانت أراضيها تسقى من مياه مجرى وادي أنتيسة لسقي المحاصيل الزراعية.



صورة رقم (1) تمثل قصر بني يزقن



صورة رقم (2) تمثل قصر بني يزقن

3- بني يزقن ثقافيا وحضاريا:

وهنا سوف نتطرق إلى التعريف بالمدينة حضاريا وثقافيا، وإبراز مميزات المدينة ثقافيا مع ذكر البنية الفكرية والحياة الاجتماعية لأهالي المنطقة.

أ. بني يزقن "آت يزجن":

يعود تاريخ مدينة "بني يزقن" "آت يزجن" إلى القرن الرابع عشر، ولعل ما يميز هذه المنطقة الثراء التاريخي النابع من أصالة سكان المنطقة، والبارز في المعالم الأثرية الضاربة في عمق التاريخ منذ قرون نتيجة المزيج الثقافي والحضاري.

. أما اليوم فمدينة "بني يزقن" تتربع على قمة المناطق السياحية في صحراء الجزائر.

1. برج بوليله وسور القصر:

يحيط بقصر "بني يزقن" سور دفاعي يبلغ طوله حوالي 1525م وإرتفاع 3 أمتار وسمك في القاعدة يبلغ المتر وفي القمة حوالي 20سم، لقد تم بناؤه في المرحلة الأولى وفي القرن الرابع عشر، وبلغ شكله النهائي الحالي سنة 1880، يشمل السور العديد من أبراج المراقبة، وأهمها برج "بوتليلة".

2. ساحة سوق قصر بني يزقن:

مع بداية 1860م، وبعد أن عرف القصر توسعات ثم نقل ساحة السوق القديمة، إلى الساحة الحالية "لاله عشو" وهي ترجع إلى امرأة تسمى بهذا الاسم، منحت هذه الساحة التي كانت تستعمل سابقا للفلاحة لاستعمالها كسوق للقصر. وهي توجد بعيدا عن وسط البلدة، لها شكل مثلث، تقع داخلها محلات تجارية ومخازن. ومميزة بالبيع بالمزاد العلني

الذي يقام كل يوم بعد صلاة العصر ماعدا الجمعة، وهي مسيرة ومراقبة من طرف مجلس العزابة.

وصف عادات وتقاليد وطقوس زواج "بني يزقن"

المراسيم التحضيرية:

1-الإختيار للزواج:

يعتبر الزواج أهم حدث في حياة الفرد الخاصة وأعظم حدث عائلي، والاختيار للزواج وإتخاذ القرار هو بمثابة محور أساسي ونقطة بداية لخوض مشروع الزواج فعملية الإنتقال من مرحلة العزوبة إلى الحياة الزوجية ليست بالأمر الهين، ثم إنها عملية حدثت وتحدث عبر التاريخ الإنساني، ولم تكن يوما عملية عشوائية أو نشطا عفويا بل إنه كان دائما مقيدا بقيود تتضمنها عملية الإختيار ذاته نستطيع أن نسميها محددات الإختيار وأبعاده¹.

وتختلف عملية إختيار الزواج من مجتمع لآخر با اختلاف الثقافة، فكل مجتمع نظمه واساليه الخاصة التي تتحكم في عملية الإختيار طبقا للقيم والعادات، والتقاليد السائدة في ذلك المجتمع، وعادة ما يختلف هذا الإختيار داخل المجتمع الواحد أي وجود ثقافات فرعية لعادات الزواج. والملاحظ أن المعيار الأساسي في عملية الإختيار ترتكز عل البحث عن الشخص المناسب "فكل إنسان يختار للزواج ما يتناسب معه، وما يوازيه من حيث عوامل مختلفة يراها أساسا لقيام الحياة الزوجية"².

إن الزواج الميزابي وبضبط في قصر "بني يزقن" لديه عادات وتقاليد خاصة فالشباب أو الفتاة المقبلين على الزواج، لا يمكنهم ان يتزوجوا من خارج القصر فالزواج عندهم لا يتم

¹ - سامية الساعاتي، الإختيار للزواج والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة ونشر، مصر، 1981، ص16.

² - مليكة لبديري الزواج والشباب الجزائري إلى أين؟، الجزائر، 2005، ص 24.

إلا بين عائلات من عشيرة واحدة، يلتقي نسبها في جد واحد. ويعتبرون أن الزواج غير صحيح إذا كان أحد طرفي الزواج، من غير أهل المنطقة، فالزواج من غير الميزابي يجوز شرعا إذا كان مسلم، لكن من الأفضل أن يكون ميزابيا إياضيا سواء بالنسبة لشاب أو الفتاة لأنهما ينتميان إلى ثقافة مشتركة وهذا ما يساعد على الانسجام.

لقد تعرض العلامة "إبن خلدون" لأهم مظاهر الحياة العشائرية والقبلية، وهي العصبية التي يقصد بها الجماعة المرتبطة ببعضها البعض برباط القرابة النسبية (الدموية)، وهي تعتمد على الزواج من نفس القبيلة أو العشيرة حيث يشعر أفرادها بمشاعر روحية ونفسية تشدهم إلى بعضهم البعض وهذا ملا حضناه خلال عملية الاختيار الزواج في "بني يزقن"¹.

وهذا النوع من الزواج يسمى بـ "الزواج التقليدي" الذي يظهر فيه تدخل العائلة وفي بعض الأحيان يكون بمثابة قرار صارم لا رجعة فيه، فالاحترام القائم بين الآباء والأبناء مازال قائم وبشدة ولكن في وقتنا الراهن ليعني أن القرار الأول والأخير يكون للوالدين فقط، بل يتاح مجال للتشاور مع الأبناء وإبداء الرأي بعد الطرح، وغالبا ما يقع إختيار الوالدين على الأقارب قرابة الدم: بنت العم أو العمة، ابن العم أو العمة أو بنت الخال أو الخالة، وابن الخال أو الخالة ويمكن أن يكون من المنطقة.

وفي حال الوصول إلى قرار بالموافقة على زواج الشاب، تقوم نساء الأسرة بعملية البحث وتنقيب عن فتاة مناسبة، ويرجع الدور الأساسي هنا إلى والد العريس فهي أدرى بما يتناسب ويتوافق مع ابنها فهي تتجه أولا إلى المحيط العائلي الضيق، ثم إلى المحيط الاجتماعي الأقرب منها وينصب الإختيار على فتاة صغيرة في سن ذو قدر من الجمال تتمتع بأخلاق

¹ - حمد يسري ابراهيم دعبس، الأسرة في التراث الديني والاجتماعي، مصر: دار المعارف، 1995، ص 18.

حسنة، إلى جانب هذا هناك معيار آخر والذي يركز على العائلة يجب أن تكون من نفس عشيرة العريس يلتقي نسبها في جد واحد أو من نفس العشيرة. ويعتبرون الزواج غير صحيح إذا كان أحد طرفي الزواج من غير أهل المنطقة نفس الشيء بالنسبة للعروس.

لهذا نجد نوعا خاص من الزواج في بني مزاب وبضبط في قصر "بني يزقن" الأضوائي أو الداخلي "»، وفي هذا النمط من الزواج يمنع افراد جماعة معينة الزواج ممن لا ينتمون إلى نفس الجماعة، بحيث يتحتم على الفردان يكون شريك حياته من ضمن الجماعة التي ينتمي إليها سواء كانت هذه الجماعة تمثل طبقة إجتماعية، أو عرقية للمحافظة على رابطة الدم وروح الجماعة، ووحدة العشيرة وبالتالي ضمان الإستقرار.

2-الخطبة:

الخطبة هي كل ما يصدره الخاطب عن اعتزام الزواج سواء كان بنفسه، أو من بهم من أهله وإخوانه لكن في واقع الممارسات الإجتماعية، فالخطبة موجودة في جميع مجتمعات العالم إلا أنها تختلف في أشكالها وهي تعتبر فترة تعارف بين الخطيبين، كما أنها تؤكد جدية العلاقة بين وضرورة حدوث الزواج¹. تعد هذه المرحلة أولى المرحل الرسمية الممهدة للزواج، ففيها يتم التقدم لخطبة الفتاة من أهلها بشكل رسمي. فالخطبة في "قصر بني يزقن" لا تختلف عن غيرها من مناطق المجتمع الجزائري من حيث الرسميات فتبقى دائما هي الخطوة الأولى الممهدة للزواج، لكنها تختلف من حيث عاداتها وتقاليدها عن باقي المناطق الأخرى، الخطبة في "قصر بني يزقن" لا تهتم بشكليات فهي جد بسيطة ومتواضعة من حيث تحضيراتها، يتم الإطار الزمني للخطبة في اغلب الأحيان في الفترة المسائية حيث تذهب عائلة العريس إلى بيت الفتاة ، والتي تضم في الغالب أحد كبار العائلة من النساء كالجددة والخالة أو العممة أو أخت واحدة على الأقل مع ممثلة من "هيئة تيم سريدين"، التي هي عبارة عن مجلس قيادي

¹—سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار المعرفة الجامعية، 1994 ص191.

ديني نسوي يضم مجموعة من الفقيهات الإباضيات وعددهم 12 عضواً وقد يزيد هذا العدد، أو ينقص حسب المهام وقد ظهر هذا المجلس مع تأسيس حلقة العزابة وترأس هذا المجلس أنقاهن، وأوفرهن علماً وتسمى "ماما شيخة" فمن مهامها الإشراف على تنظيم، وإقامة الأعراس فهي تحضر مع العائلات من مرحلة الخطوبة إلى الزواج لتتأكد من عدم مخالفة العائلات للقانون الاجتماعي (قانون العزابة) الخاص بالزواج في "بني يزقن"، فهي جد حريصة على متابعة كل مراحل الزواج، لمتابعة ومراقبة مدى الالتزام بالعائلات بما ينص عليه نظام العزابة، والعشيرة فيما يخص تحضيرات الزواج من بدايته إلى يوم الزفاف¹.

أما من جهة الرجال فيحضر يوم الخطبة والد العريس والعم جانب العريس ممثل من حلقة العزابة أو كبار العشيرة. تعتبر الخطبة مرحلة الإتفاق حول المهر وشروط الزواج بعد الموافقة والتفاهم وهي تحضي بأهمية بالغلة لدلى العائلتين. و يوم الخطبة في "قصر بني يزقن" لا تحضر فيه الأم، فالأم لا تخطب لابنها فإلى يومنا هذا يعد عيباً أن تتقدم الأم في طلب البنت لابنها بنفسها، وإنما ترسل أحد كبار العائلة كالجدّة أو الخلة، والعمة²، مع عضو من "هيئة تيم سردين" يتولون المراقبة والإشراف على المجتمع النسوي، ومن المقتنيات التي يحضرها أهل العريس نجد البيض والعدد يتراوح من 10 إلى 40 بيضة وسكر أو علبة حلوى فواكه وغيرها، ويتم استشارة الفتاة في الخطبة هذا بعد أن يتحققوا من أخلاق الخطيب وسلوكه، وإذا قبلت البنت الخطبة ردت بالموافقة هناك لقاء شرعي بين الطرفين الفتاة والشباب بحضور المحارم، الفتاة بحضور الأب أو الأخ، أما الرجل بحضور الأخت والأم. وبعد الموافقة تقام باقي مراسيم الخطوبة ومدة الخطوبة في "قصر بني يزقن" لا تقل عادة عن السنتين ولا تزيد على 3 سنوات.

¹ - باقولولو صالح، النبراس في تسير الأعراس، مطبعة الواحات، غرداية، ط1، 2008، ص15، 14.

² - عبد العزيز سعد، الزواج وطلاق في قانون الأسرة الجزائرية: دار هومة، الطبعة الثالثة، 1996، ص132.

3-المهر: (الصداق والشروط)

الصداق أو المهر هو ركن من أركان عقد الزواج الإسلامي، وهو "عبارة عن مقدار من المال يقدمه الزوج لزوجته لحلية الإستمتاع بها، كونه ركن من أركان عقد الزواج أو شرط صحة أو فقط أثر من آثاره(1). فا الرجل عليه دفع الصداق للمرأة صداقا طيبا لقوله تعالى: "وآتوا النساء صداقتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيا مريا" (النساء الآية 4)¹.

وهناك عبارات عديدة إستعملت لدلالة على الصداق: المهر، نحلة، فريضة، هبة، نقد وباعتباره حق من حقوق المرأة تتصرف فيه المرأة كما تشاء ومن الملاحظ أن المرأة تتجهز به وتنفقه على حاجيات ومستلزمات زواجها (عرسها)، من أقمشة ولباس وذهب.

ففي المجتمع الميزابي عامة و"قصر بني يزقن" خاصة المهر موحد فهيئة "العزابة" هي التي تتولى مهمة تحديد المهر، ويكون موحد على الجميع الغني والفقير يدفعون نفس المهر فالزواج عندهم معروف بالبساطة وعدم المغالاة من حيث المهر فهو رمزي.

ويكون المهر في قصر "بني يزقن" وبقية القصور عبارة عن ذهب بقيمة 35غرام، أما بقية القصور فيقدر بـ 35غرام إضافة إلى المبلغ المالي الذي يكون على حسب مقدرة الفرد. وهذه الكمية من الذهب تقدم على شكل مجوهرات من ذهب "خاتم الخطوبة"، أقراط، أو سلسال، أو سوار إضافة إلى طبق ويسمى بـ"لقفة" فيها حناء، عطور وأقمشة.

أما بالنسبة لخاتم الخطوبة فيمكن أن يقدم كهدية دون إحتقال، أو باحتفال بسيط، وبذلك يمكننا القول أن المهر في قصر "بني يزقن" مازال رمزيا وموحد بالنسبة للفقير والغني مثلما نصت عليه الشريعة الإسلامية، فقد يسر لنا ديننا الحنيف المهر وجعله رمزيا حتي يتيسر على

¹سورة النساء: الآية 4.

الشباب الإرتباط، وتباع سنة الحياة لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث شريف "إلتمس ولو خاتما من حديد"، وهذا ما يدل على القيمة المعنوية التي يحملها المهر وليس القيمة المادية.

4-تفقيده العروس أو الهدية:

إن الخطوبة في "قصر بني يزقن" مدتها لا تقل عن سنتين، ولا تزيد عن 3 سنوات وخلال هذه المدة هناك العديد من المناسبات الدنية التي يزور فيها أهل العريس، عائلة العروس وخلال هذه الزيارات تقدم للعروس بعض الهدايا، لكن هذه الهدايا مقيدة بما حددته هيئة العزابة.

* عيد الأضحى يقدم مبلغ 1000 دينار.

* عيد الفطر تقدم بعض الهدايا تتمثل في الألبسة الخاصة بالعروس (جبة) وحناء، عطر، وقطعة قماش وحلوى.

* المولد النبوي الشريف حلويات أو فستان أو قماش.

والواقع أن هذه الممارسات ليست مقصورة على الوسط الاجتماعي المدروس دون غيرهم من، أبناء المجتمعات العربية إذ تقول الدكتورة "فوزية دياب": "القيم والعادات تلزم الخاطب بأن لا يدخل بيت خطيبته بيد فارغة، بل يجب أن يحضر معه بعض الهدايا"¹، هذه الممارسات تخلق نوعا من الميول بين والإحساس بالمسؤولية والنضج بالنسبة للرجل، والشعور بالإهتمام بالنسبة للمرأة، كما تعد فترة تواصل بين العائلتين المتصاهرتين، وتزيد من أواصر المحبة وتبادل الثقة والترابط.

¹ - دياب فوزية، القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، ص84.

2- المراسيم الإحتفالية والإعلان الرسمي للزواج:

تمهيد:

تجري هذه المرحلة وفق صيرورة من الإحتفالات فهي بمثابة إعلان رسمي، فلم يتبقى إلا إشهار هذا الحدث المنتظر أمام الأهل، والجيران والأحباب من خلال مرحلتين: المرحلة الأولى وتقام في بيت العروس رفقة أهلها وأقاربها، والمرحلة الثانية وهي المرحلة الإنتقالية النهائية وهي يوم الزفاف.

- المرحلة الأولى وتخص بيت العروس:

1-يوم "الخير":

في قصر "بني يزقن" لا يوجد ما نسميه بحفل الخطوبة وكل يحمل معه من إسراف مادي، وتباهي وتفاخر مثل: قالب الحلوى الكبير على شكل طبقات والهدايا الباهظة الثمن والموسيقى والكاميرا...إلخ. في هذا اليوم (يوم الخير) يتم إرسال خاتم الخطوبة و"قفة" خاصة للعروس من طرف أهل العريس تحملها الأم مع احد القريبات، وتكون مرفقة بواحدة من أعضاء المجلس النسوي "تيمسريدين" للمراقبة وتتضمن هذه القفة ما يلي: علبة حناء متوسطة الجودة وعطر، مرآة، 100 غ كحل، محرمة صغيرة وأخرى كبيرة، قماش لثلاثة جبات مع أقمصتها غير مخيطة، حذاء وملحفة.

ملاحظة: يشترط أن لا تكون الألبسة من النوع الفاخر، مع مراعاة السترة والحشمة وعدم المنافسة.

2- قراءة الفاتحة الطقس الديني:

بعد الإتفاق بين عائلتي العروسين على المهر وشروط هذا القرآن، يحدد موعد لإقامة وقرأة الفاتحة وتكون في يوم واحد. تقرأ الفاتحة الخاصة بالعروس في قصر "بني يزقن" في بيت العروس، أو في بيت العشيرة المخصصة لمراسيم الزواج، بحضور عائلتي العروسين، مع ممثلي بعض أعضاء هيئة العزابة للمراقبة، وعادة ما يكون الإمام أو شيخ العشيرة هو الذي يقوم بقراءة الفاتحة.

هذا الطقس لا يمكن الإستغناء عنه في مجتمعنا الإسلامي عامة، وفي المجتمع الميزابي وقصر "بني يزقن" خاصة، حيث تبدأ صيغة العقد وذلك بأن يطلب الشيخ أو الإمام، من ولي أمر العريس أو من المعني نفسه، أن يطلب يد العروس من والدها أو موكلها بشكل رسمي وفصيح "كأن يقول رنا طلبين بنتكم لوليدنا على سنة الله ورسوله"، ويرد عليه ولي أمر العروس "راني قابل أو البنت بنتكم" فيكمل الشيخ بقية مراسيم هذا الطقس بقراءة الفاتحة جهرا وبصوت مرتفع، ويرفع جميع الحاضرين أيديهم مرددين مع الإمام لكن وبعد الإنتهاء يقومون بدعاء للعروسين، بتمام هذا الزواج بالخير والبركات، وذرية الصالحة تليها سلسلة من التهاني المتبادلة بين العائلتين، وبعد الإنتهاء تشرع النساء في زغاريد لتزكية الحدث فتقدم بعض الحلويات البسيطة والمشروبات، القهوة وشاي وسط أجواء إبتهاج وسرور.

والملاحظ في هذا الطقس أن العنصر الرجالي هو المسيطر والمهيمن، خلافا عن باقي التحضيرات الأخرى فالنساء هم يتولين الشطر الأكبر، فالدور النسوي يطغى في الأعمال المتعلقة بهذا الحدث الإجتماعي الهام.

3- عقد القران (عقد الزواج المدني):

يعتبر قد القران المرحلة الأساسية قبل الزفاف، ففي الماضي كان في نفس الأسبوع الذي يتم فيه الزفاف، أما اليوم فتغيرت العادات والقيم أصبح عقد القران بعد الفاتحة مباشرة فهناك بعض العائلات تفضل عقد القران قبل موعد الزفاف، واستنادا لهذا أصبحت اليوم الفاتحة تتم بموجب عقد القران، وذلك حفاظا على نظام الأسرة وتوازن المجتمع.

وفي قصر "بني يزقن" يتم عقد القران في الغالب عند إقتراب موعد الزواج بأسبوع أو خمسة عشر يوم حيث تذهب فيه الفتاة (العروس)، مرفوقة بوالدها أو موكلها إلى جانب الشاب (الزوج) مرفوق بوالده أو موكله وشاهدين من هيئة العزابة، من أجل عقد القران في البلدية من طرف كاتب إداري ضابط للحالة المدنية، بشكل قانوني ورسمي، إضافة إلى المرحلة الشرعية ألا وهي قراءة الفاتحة، إن تسجيل الزواج في دار البلدية أمر ضروري وحتمي فهو إثبات صحة الزواج وتأكيد مشروعيته عن طريق الوثيقة الرسمية ودفتر العائلي.

المرحلة الثانية والأخيرة: تحضيرات العرس في قصر "بني يزقن":

"يعتبر العرس أو يوم الزفاف نقطة مرور بالغة الأهمية في حياة الأشخاص من الجنسين حيث يكون الإعلان الكبير بقيام العلاقة الزوجية، ويترتب عليه حقوق والتزامات لكل من العروسين تجاه الآخر. وبجانب هذا فهو يحاط بكثير من الطقوس والعناصر الفلكلورية".

إن حفل الزواج أو الزفاف في "بني يزقن" يكتسي طابعا خاصا لما له من إهتمام في عاداته وتقاليده الخاضعة لقواعد إجتماعية وثقافية وتحضيرات خاصة، تختلف عن بقية المناطق الأخرى من الوطن فالفرد الميزابي جد متمسك بهذه العادات والتقاليد ولا يمكنه

ابدا الإستغناء عنها، لأنها تشكل محورا أساسيا في عملية التنشئة الاجتماعية التي خضع لها.

فتقاليد الأعراس في وادي ميزاب لديها الكثير من الخصوصية التي لنجدها إلا عند هم فهي تتميز بالبساطة فلا مكان لمظاهر الفرح الصاخبة من غناء ورقص وتباهي وتفاخر، فهي مطبوعة بطابع الدين الخالص.

والتي تظهر جليا من خلال ترتيبات الزواج والمهر والخطوبة والأزياء التي يتم ارتداؤها في تلك المناسبات فالزواج له أعراف معينة على الجميع احترامها فلاهل هذه المنطقة منظومتهم الاجتماعية والثقافية التي تمثلها أحد المؤسسات العرفية المهمة في المنطقة وهي "هيئة العزابة" في المرتبة الأولى ثم تأتي بقية الهيئات الأخرى بوظائفها المختلفة. ولكي نتعرف على هذه الخصائص لابد علينا أن نتطرق لتفاصيل الزفاف أو (العرس).

1-تحضيرات العرس:

تتسم أعراس الميزابيين، بأنها خالية تماما من الاختلاط بين النساء والرجال، وأنها خالية من اللهو الماجن ومظاهر التفاخر وتباهي، الذي تتصف به الكثير من الأعراس في العالم الإسلامي للأسف، ومن بين العادات المتجذرة في المنطقة إحياء العرس الجماعي مرتين في السنة، وأصل نشأة هذه العادة تعود إلى سنة 1962 حيث سافر 16 طالبا من مدينة غرداية نحو تونس، وبعد إستقلال الجزائر رجعوا إلى مسقط رأسهم وفكروا في الزواج، ونظرا لإمكاناتهم القليلة قرروا إقامة عرس جماعي، فهذه العادة تحمل بعدا اجتماعيا كتضامن والتعاون بين السكان، وتحفيز الشباب على إكمال نصف دينهم، وبعدا إقتصاديا من حيث النفقات المحدودة للعرس الجماعي.

منذ ذلك التاريخ أصبحت العادة متداولة بين الناس أن أعراس الميزابين تكون جماعية دائما ولا تكون فردية أبدا، ماعدا القليل منها وهذا لرفع الحرج عن الفقراء من العرسان في تحمل مشقة نفقات العرس، وكذلك تجسيدا لمبدأ التكافل الاجتماعي بين كل فئات المجتمع وقبل إحياء العرس يقوم مجلس العزابة، وهو مجلس يمثله شيخ كل قصر من قصور وادي ميزاب السبع، حيث يقومون بتحديد قيمة مهر (صداق) العروس في المسجد ويراعي في تحديد قيمته، الإمكانيات المادية للفرد.

صورة تمثل عرس جماعي



صورة تمثل العرسان بلباسهم التقليدي ببني يزقن



صورة تمثل العرسان من أعلى ووزرائهم من أسفل ببني يزقن



صورة تمثل لباس يوم العرس



صورة تمثال عرسان الزواج الجماعي وهم يحملون لباسهم التقليدي ببني يزقن



2- ترتيبات الزفاف بالنسبة للعروس:

يتم الزفاف عادة بعد سنة أو سنتين من الخطبة وقراءة الفاتحة، وبعد إتفاق الطرفين على موعد العرس، فعند إقتراب الموعد بأسبوع تبدأ العروس بتحضيرات الأخيرة ففي الثلاثة أيام الأولى تقوم بإرسال جهازها الى بيت العريس، حيث تذهب مجموعة من النساء القاربات للعروس كالأخت والخالة، أو زوجة الأخ بترتيب جهازها في بيت العريس في غرفة النوم الخاصة بها، أما بنسبة إلى طقس ذهاب العروس إلى الحمام فهو غير موجود في عادات وتقاليد العروس في "قصر بني يزقن".

3-ليلة الحناء:

ويكون يومين أو ثلاثة أيام قبل موعد الزفاف وهي حفل رمزي لتوديع مرحلة العزوبية حيث تجتمع عائلة العروس من النسوة،بدأ بوالدتها وأخواتها حيث تتولى واحدة من الأقارب الكبيرات في السن بوضع الحناء للعروس وفي أغلب الأحيان تكون الجدة، أو الخالة أو العممة فتضع لها الحناء في يديها ورجليها، وسط أجواء من المدائح الدنية، وزغاريد، وتلبس العروس خلال طقوس الحناء لباس تقليدي وتزين بشكل بسيط،من قبل كان سواك وكحول، لكن الآن يمكن وضع بعض مواد ومساحيق التجميل البسيطة،وتتولى عملية تزين العروس امرأة متزوجة يطلق عليها اسم "التيتة".

"التيتة" هي من السيدات المتخصصات بتزيين العروس في يوم عرسها وهن يتوارثن هذه المهنة جيلا بعد جيل)، ويعرفن ما يليق للمرأة الميزابية من تسريحة وحلي وزينة وذلك يتم بقليل من (الكحل) والسواك وبعض مواد التجميل العصرية وهي تقوم بتزيين العروس لمدة سبعة أيام كاملة ترافق خلالها العروس في مأكلا ومشربها قبل زفافها إلى زوجها وعادة ما

تتقاضى (التيّة) مبلغاً مالياً متواضعاً مقابل الخدمات التي تقدمها للعروس تبعاً للمستوى المعيشي والاجتماعي لكل عائلة.

4-تسديرة العروس:

بعد طقوس الحناء نجد يوم التسديرة التي يكون عادة في بيت العروس حيث يجتمع كل اقارب العروس من النساء ،كبار وصغار لحضور آخر يوم سوف تظهر فيه العروس في بيت العائل، وذلك في وسط اجواء بهيجة ،لكن في نفس الوقت مع الإلتزام بالبساطة والبعد عن أجواء الرقص والغناء المتعارف عليه ،في باقي المناطق الأخرى فلا وجود للفرق الموسيقية او الكاميرا، ماعدا الصور التي يلتقطها المقربين فقط مثل الأخت لتبقى كذكره للعروس تحتفظ بها لنفسها ،فتلبس العروس اللباس التقليدي الميزابي الذي غالبا ما يكون من صنع حرفيات المنطقة ،ويراعي فيه أن يحمل خصوصيات الثقافة الميزابية ويطلق على هذا الرداء الذي تستقبل به العروس ضيوفها "تيلحفّت" ،وهو رداء الذي يتميز بالألوان المزرکشة التي يطغى عليها اللونان الأخضر والأصفر والأشكال الهندسية المتناهية في الصغر وتراعي العروس الميزابية الاعتدال في وضع الحلي التي يشترط أن تكون من الذهب يمنحها إياه العريس دون تحديد مسبق لنوعية الطقم ،أو وزنه أو تعدد أجزائه وتسمى مجموعة الحلي الذهبية عندهم باسم (سرمية)، لابد للعروس أن تضع الخلخال في ساقها ويشترط أن يكون من معدن الفضة الخالصة كرمز للصفاء والنقاء.

وخلال التسديرة تلبس العروس أربعة البسة تقليدية مزينة بأشكال هندسية خاصة بالمنطقة حيث تتزين العروس بطاقم من الذهب، كم تضع السخاب إلى الجانب الخلخال المصنوع من الفضة في رجليها. أما بالنسبة لتسريحة الشعر والمكياج فتكون بسيطة وغير مبالغ فيها، ولا وجود للألبسة العصرية والفتستان الأبيض وخلال هذا الحفل تقدم حلويات تقليدية بسطة ومشروبات على حسب الموسم في أغلب الأحيان عصائر وشاي وقهوة.

صورة تمثل حلي سرمية من ذهب ببني يزقن



صورة تمثل خلخال الفضة الذي تضعه العروس في بني يزقن وزلان wezlan



صورة تمثل زينة العروس في بني يزقن



الزينة التقليدية للمرأة المزابية في "بني يزقن" تتكون من تازولت نوسينجل، لمسواج، تمنا ست لحني لجير أكراض كلها من مستحضرات الزينة التقليدية، للمرأة المزابية تحضر بمواد طبيعية، لديها سحر فريد لا تعوضه مستحضرات التجميل العصرية بشتا أنواعها.

صورة تمثل أسوو



أسوو:

أسوو هو عبارة عن لّيمت (برتقالة) وتغرز فيها القرنفل وتوضع في إناء يدعى لمترد وبجانبيها خرقة برتقالية ولفة من خيط أخضر، بهذه الألوان الزاهية المتزاوجة نحصل على ديكور جميل فهي تطلق رائحة طيبة وإن لها تأثير خاص على نفسية العريس فهي تذهب عنه التوتر ليلة الزفاف. تقدم كهدية للعريس في يديه عشية حفل أسبارك، من قبل شخص كبير في العائلة وفي بعض القصور الأخرى يقدمها والد العريس، وفي بعض القصور يقدمها صهر العريس وهو بدوره يهديها للعروس فتمسكها بين يديها حين تتصدر في صبيحة اليوم التالي.

صورة تمثل لباس تقليدي للعروس في "بني يزقن"



5-موكب العروس:

هذا الطقس وليد الثقافة الغربية وقد طغى بشكل كبير على ثقافتنا العربية، خاصة مع التطور التكنولوجي الذي عرفته وسائل النقل، لا بد من نقل العروس في أجمل سيارة حيث ترجع مسؤولية نقل العروس إلى بيت الزوجية إلى أهل العريس، فيتوجب عليهم توفير عدد من السيارات التي تشكل موكب الزفاف لنقل العروس وبعض أقربائها، وقبل وصول الموكب

تلبس لباسها التقليدي لتخرج به من بيت أهلها، وفوقها البرنوس الأبيض. وتتوجه باتجاه بيت العريس أو بيت العشيرة الخاص بهم، حيث هناك فضاء إجتماعي خاص بالرجال وفضاء آخر خاص بالنساء.

6-تحضيرات العريس لليوم الزفاف:

بعدما تعرفنا على اهم تحضيرات العروس سوف نتعرف على أهم المراحل الخاصة بتحضيرات العريس، إلى غاية ذهاب الزوج رفقة زوجته إلى بيت الزوجية وتبدأ المرحلة النهائية:

7-اليوم الأول "أس نوغراس":

وهو اليوم الأول لبداية تحضيرات العرس (الزفاف) ويستهل بيوم الشاة أو النحر حيث يقوم العريس ومن معه بإشراف أحد أعيان العشيرة، بتنظيم الأمو، حيث يقومون بتحضير اللحم بذبح الشياه، والعدد محدد حسب حجم العرس لأن أغلبية الأعراس تكون جماعية وتكون هذه التحضيرات في جناح خاص لدار العشيرة يخصص للأعراس.

أ-اليوم الأول يوم الذبائح:

ويقوم فيه العرسان وأهلهم بالذهاب إلى مكان الذبح، ويكون عادة في الغابات التي يمتلكها أحد العرسان، ثم يقومون بنحر عدد من المواشي أو الأبقار حسب عدد العرسان , ويتراوح عدد العرسان من 5 وحتى 20 أو 25 عريسا ويرافق كل عريس رجل صديق يجب أن يكون متزوجا يسمى بـ "لوزير"، ومهمته مرافقة العريس في كل أيام العرس ونصحه وإرشاده بأخلاق وأداب الزواج خاصة في الأيام الأولى.

يشارك العرسان في شراء المواشي ، والتي تستغل لحومها في اطعام الضيوف يوم العرس بعد عملية الذبح ، تنقل اللحوم إلى دار العشيرة ، أين تقوم النساء بإعداد وطهي هذه اللحوم.

ب-اليوم الثاني: يوم التتويج أو الوليمة:

ويعتبر هذا اليوم ، اليوم الرئيسي في العرس، حيث يحضر المدعوون وأهالي العرسان من الرجال والنساء إلى دار العشيرة، الخاصة بكل واحد من الجنسين (الرجال في دار والنساء في دار أخرى تكون قريبة من دار الرجال) بعد صلاة الظهر، وفي دار الرجال، وبعد تلاوة الحاضرين لخواتم القرآن (من سورة التكاثر سورة الناس)، يتم فيه تتويج جميع العرسان بنفس الحلة فلا يظهر الغني من الفقير، ولا الشخص الذي تكفل بالمصاريف إلا العريس الحافظ لكتاب الله يرتدي رداء فوق حلة العرس فيميزه عن الآخرين بذلك، وهذا الرداء يسمى "أحولي"¹.

وقبل تقديم الطعام يجلس العرسان أمام الشيوخ والعزابة الحاضرين، وكل واحد يحمل معه رزمة قماشية حمراء جميلة، يضع فيها لباس العرس المتواضع ويتكون من سروال "الدوالة" المعروف عند عرب الجزائر "بسروال لوبية" لشكله المتميز الذي لا تلمحه إلا عند الميزابين، منذ نعومة أظافرهم، ويتخذ السروال الميزابي شكلا مدورا ما بين الفخذين وينتهي في الأسفل بنفس شكل السروال العصري، تعلوه تكميشات رفيعة على مستوى الخصر، وفوٹ الدوالة.

يضع "أحلي" وهو نوع من البرنوس المصنوع من القطن الرفيع، يشترط ان يكون ناصع البياض كرمز للصفاء والنقاء، ولا ينس وضع "العقال" فوق رأسه فهو رمز لإباضيته ورجولته، وعادة ما يكون "عقال" الزفاف مصنوع من خيط الحرير، فيقوم العزابة والشيوخ

¹ - أحولي: هو اللباس الرسمي لهيئة العزابة.

باللباس العرسان بلباسهم الخاص، ثم يقوم أحد الشيوخ بسرّد أسماء العرسان وزوجاتهم أمام الملاء، كإعلان على الزواج.

وبعد ذلك يقدم الطعام، ويكون عادة طبقا كبيرا من الكسكسي يسمى العادة ويكون مدهون بسمن المحلي، والمزين بقطع اللحم والبيض المسلوق. وفي الأخير يشرع أحد أعضاء هيئة العزابة بحمد الله ودعائه، ويتفرق الحاضرون.

ج-العشاء والأناشيد:

في نفس اليوم وبعد صلاة العشاء، ينظم عشاء يحضره جمع من المدعوين، ويكون في دار العشيرة كذلك، وبعد العشاء يقوم أحد العزابة بالدعاء، ثم يتجه الحاضرون إلى الطابق العلوي (المكشوف) لدار العشيرة، أو إلى أي مكان مكشوف آخر، ويجلس العرسان في جانب من المكان لابسين (دائما) لباس العرسان، ويفتح الحفل بآيات من القرآن الكريم (يتلوه أحد الشيوخ أو العزابة الحاضرين)، ويستمعون إلى بعض الأناشيد الإسلامية الهادفة، لكن دون أي آلات موسيقية أو ما شابه ذلك، وهذا الحفل يدوم حوالي ساعة ونصف توزع حلويات مع شراب تقليدي، تعده أم العروس يسمى "تكاروايت" مكوناته من التمر، وبعض الأعشاب وهو شراب خاص بمناسبة الزواج فقط. قديما كانت النساء تستمع إلى هذه الأناشيد عن طريق الصعود إلى الطابق العلوي لدار العشيرة الخاص بالنساء، ويستمعن لأنه كما قلنا ليست هنالك مسافة بعيدة بين دار النساء والرجال أما الآن وبفضل التكنولوجيات الحديثة، فأصبحت الصورة تنقل إلى دار النساء مباشرة عن طريق الكاميرا التي يحملها المصور، ويرافق هذا المصور العرسان في كل مكان.

واثناء الحفل تؤخذ العروس إلى "الحجة" في موكب نسائي رفقة صبايا صغيرات ينشدن بعض المدائح، بعد أن تزين لتزف إلى زوجها ثم بعد الحفل يذهب العرسان مع وزرائهم إلى

المسجد ليصلو ركعتين (صلاة النكاح)، حمدا لله على أن وفقهم للزواج داعين الله بالسعادة، والهناء لحياتهم الجديدة، ثم يذهبون إلى دار "الحجة" أين لكل عريس تنتظره عروسه مرفوق بالزغاريد النساء، ليقضي مع زوجته أول أيام حياتهما معا إلى قبل الفجر حيث يستيقظ العرسان للصلاة، ليفارقو زوجاتهم إلى الليلة المقبلة التي سيقضيها معها في منزله.

د-نزهة العرسان:

يقوم العرسان في اليوم الثاني من العرس، بنزهة إلى الغابات والجنان الخضراء في الصباح الباكر حيث يقومون هناك مع أهاليهم من الرجال وأصدقائهم بالإنشاد والزهو، والفرحة تغمر قلوبهم وإعطاء النصائح تخص الحياة الزوجية، ويتناولون هناك بعض المشروبات المنعشة مثل التمر والحليب، وما شابه ذلك.

هـ-الغداء الثاني ونهاية العرس:

بعد النزهة يتوجه العرسان بعد صلاة الظهر، إلى دار العشيرة مرة ثانية، لكن لا يذهب معهم هذه المرة إلا المقربون إليهم من الأصدقاء والأهل، حيث يتناولون غداء آخر، تختم به أيام العرس. وفي المساء تقام على شرف العرسان محاضرة يحييها أساتذة ومشايخ وتكون الدعوة عامة، قصد المناقشة وإثراء وتستمر إلى أذان المغرب، وبعدها تؤخذ صورة تذكارية، وفي الأخير يرجع كل عريس لبيته ليكمل فرحته بالزغاريد وتهاني. ومن هنا تغلق أبواب العشيرة أو دار الأعراس في إنتظار حفل أعراس أخرى، والقيقة أنه وفي عهد غير بعيد في بلاد ميزاب، كان العرس يدوم طوال أسبوع، لكن هذه المدة تقلصت بمرور الزمن.

مقارنة لأوجه التشابه والاختلاف بين عادات وتقاليد وطقوس زواج عرف "سيدي معمر" و"بنو يزقن"

1-أوجه التشابه بين عادات وتقاليد الزواج في "عرف سيدي معمر" و"بنو يزقن": 1-الزواج:

الزواج كالنظام اجتماعي له أوجه تشابه، من حيث العادات وتقاليد، وطقوس بين "عرف سيدي معمر" و"بنو يزقن" رغم البعد الجغرافي أو المكاني، "لهم قوانين اجتماعية تسير معظم المراحل من الخطبة الى يوم الزفاف، أما نقطة التشابه فتكمن في عدم المغالاة في المهر وتيسيرها على كل الفئات الإجتماعية، لهذا فهي متميزة عن غيرها من المناطق الموجودة في المجتمع الجزائري من حيث:

القانون الإجتماعي للزواج:

هناك نظام إجتماعي خاص يقوم بتنظيم المراسيم الاحتفالية للزواج في جميع مراحله من البداية النهاية، أي من مرحلة الإختيار إلى يوم الزفاف، وهذا النظام يتمثل في "العرف" بالنسبة للزواج المعمري نسبة "للولي الصالح سيدي معمر"، و"هيئة العزابة" فيما يخص "بنو يزقن".

عرف "سيدي معمر":

عرف اجتماعي خاص بالزواج نسبة إلى الولي الصالح "سيدي معمر"، يحث على عدم المبالغة والمغالاة في طلب المهر، قيمة المهر "ربعة دورو" (لويضة من ذهب) أو ما يساوي 20 سنتيم فهو رمزي.

ويتغلب عليه الجانب الروحي على المادي، وتطبيق الشريعة الإسلامية الهادفة للحفاظ على التضامن الاجتماعي ومكافحة الآفات الاجتماعية، وتقليل العنوسة ينتشر في مدينة شرشال تنس، شلف وغيرها.

إضافة الى خصوصية المهر، نجد عادات وطقوس أخرى خاصة بالمراسيم الاحتفالية للزواج: الخطبة، يوم الزفاف وزي العروس يتميزان بالبساطة وبعيدان عن مظاهر التفاخر وتباهي وعلى كل من ينتمي للعرف، أي المجموعة المعمرية الإلتزام بالعرف نظرا لقداسته وذلك نظرا لسلطة التي يكتسبها الولي فهي تتخذ طابعها "الكاريزماتي" تجعل له مكانة خاصة أمام الجماهير، ونظرا لطبيعته الكاريزمية يتمتع "الولي" بنوع من السلطة يمارسها على الآخرين. فهي كما يعرفها "ماكس فيبر" القوة الثورية المتميزة في التاريخ¹ فمن يحاول خرق هذا العقد الاجتماعي سوف تصيبه لعنة الولي.

النظام العرفي "بني يزقن هيئة العزابة":

تمثل حلقة العزابة نظام عرفي اجتماعي، لها السلطة العليا في المجتمع الميزابي عامة، و"بني يزقن" خاصة فهم يشرفون على مختلف المراسيم الاحتفالية من أهمها الزواج فوضعوا لوائح تنظيمية لمراسيم الزواج من الخطبة والمهر أي وزي العريس، ومراسيم الزواج من البداية إلى النهاية حيث يلزم بها كل من يرغب في الزواج والا سوف يعاقب بنبذ أو الخلع (يصبح منبوذ) عن الجماعة EXCOMINIER». فهم يستندون في وضع اللوائح على مبادئ منها:

* نصوص من الشرع الإسلامي، تنهى عن المباهاة والإسراف والتفاخر المادي والحث على المحافظة على عادات وتقاليد المجتمع.

¹ - محمد احمد بيومي، أسس وموضوعات علم الاجتماع، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط، 2004، ص 173.

*الدفاع عن حقوق المرأة كي لا تكون سلعة تسالوم، أو تحفة تزين بها الأعراس.

يمتاز العرف لدى كلا الطرفين ("عرف سيدي معمر" و"بني يزقن") بأصالته واستمراره وعامل القدسية وصرامة فمن صعب كسره أو الخروج عنه، فالفرد في هذه الجماعات متمسك بضمير الجماعة الذي هو واحد منهم، كما يقول "دوركاييم" "الضمير الجمعي ضمير قاسي وقهري يجعلهم يعاقبون بقسوة بالغة كل من يخرج عن مجموعاته، أو أمرهم¹. أما الركن المعنوي للعرف هو ان يستمر الناس بضرورة احترامه، وأنه يوجد هناك جزاء يوقع عليهم إذا خالفوه مادي، ومعنوي².

وفي كل المجتمعات توجد درجات ومستويات وأشكال كثيرة للإلزام والضبط الاجتماعي، بحيث يشعر كل فرد في الجماعة أنه يواجه قوى كامنة وراء عادات وتقاليد وأعراف وموروثات المجتمع، يخشى مخالفتها كي لا يتعرض للنبد والجزاات المتنوعة، فشعور الإنسان بالقهر والإلزام لا يأتي من طبيعة الأشياء، وإنما من إدراك الأفراد والجماعات لوجود سلطة ما تمتلك القدرة، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على وضع ضوابط للسلوك وأن توقع الجزاءات على من لا يعمل وفقها³.

المهر⁴:

هو ركن من اركان عقد الزواج الإسلامي، وهو عبارة عن مقدار من المال يقدمه الزوج لزوجته وفي مجتمع بحثنا هو الميزة الأساسية التي تجعله يتميز عن باقي مناطق المجتمع الجزائري "المهر" يتميز بعدم المغالاة، قيمته رمزية في "عرف سيدي معمر" قيمته

¹ - الخشاب احمد الضبط الاجتماعي، القاهرة: مكتب القاهرة الحديثة، 1995، ص 143-144.

² - الساعاتي حسن علم الأتتماع القانوني، القاهرة: دار المعرفة، الطبعة الثانية، 1960، ص 106.

³ - الخشاب احمد مرجع سابق، ص 87-88.

⁴ - عبد العزيز سعد، نفس المرجع، ص 132.

"لويضة ربعة دورو" أي 20 سنتيم بغية تيسير الزواج، إضافة إلى خروف قنطار سميد-دهان- قماش، أما الشروط الأخرى من الجهاز والمصوغ الذهبي القليل توجل بعد ليلة الدخلة والزفاف.

ملاحظة:

نظرا لتغيرات الإقتصادية التي عرفها المجتمع الجزائري أصبح يقدم مبلغ مالي للعروس كل حسب مقدوره، فالعائلات المعمرية لا تشترط مبلغ معين.

نجد نفس الميزة بالنسبة لمهر العروس الميزابية في "بني يزقن"، المهر رمزي مقداره 50 غ من الذهب مع مبلغ بسيط، يقدم الذهب على شكل مجوهرات إسورة، أو اقراط، أو سلسال المهم ألا يتجاوز ما تم الإجماع عليه من طرف "العزابة"، إضافة إلى قفة تتضمن مقتضيات العروس، إناء وعطر، قطعة قماش، كحل، مرآة، مشط، جبة، حذاء، وملحفة يشترط ان لا تكون من النوع الفاخر، مع مراعاة عدم التنافس. و احكام هذا المهر مستمد من الدين الإسلامي والسنة النبوية الذي في الكثير من نصوصه يسهل للمرء الزواج كحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم: "التمسوا ولو خاتم من حديد" (2) لهذا نجد ان المهر لدي "عرف سيدي معمر" و "بني يزقن" كدلالة رمزية للإقتداء بسنة النبوية الشريفة.

لم يرد نصا في القرآن أو السنة يحدد قيمة المهر قليله أو كثيره ليقيد به أفراد المجتمع إنما ترك الأمر مفتوحا، وهذا من تيسير الدين لأن الذي يتحكم في مقدار المهر تفاوت الناس في المستوى الاقتصادي والمكانة الاجتماعية بالإضافة إلى الاختلاف في الطباع والعادات والتقاليد. وهذه الجوانب تختلف من مجتمع لآخر وكذلك تختلف في المجتمع الواحد من فترة زمنية لأخرى، بل أنها تختلف في المجتمع الواحد من طبقة اجتماعية لأخرى .

3-المراسيم التحضيرية للزواج:

تعد الخطبة وتحديد المهر من المراحل الرسمية الأولى الممهدة للزواج، فقد جرت العادة لدى "عرف سيدي معمر" و"بني يزقن"، ان تخضع هذه المراحل للبساطة وعدم الإسراف فهي تخضع لنظام موحد على حسب ما ينص عليه العرف، أي أنها تخضع لضوابط وشروط يقرها المجتمع المحلي ويسهر على تطبيقها من خلال وسائل الضبط الاجتماعي الذي تقوم الأسرة بتنفيذه بواسطة التنشئة الاجتماعية. ولعل ما عرف عن المجتمع المعمري والمجتمع المزابي، أنهم قبائل لم تعهد ترف الحياة كان غرضهم من إبرام عقود الزواج وسعادة الزوجين، وكبح شهوات الشباب في مفهوم "الشرف" والكبرياء للقبيلة أو العشيرة والأهل، فيمكن للمرء أن يتخلى عن كل شيء مقابل شرفه.

وهذا ما تفسره احينا امثالهم الشعبية ومواعظهم كقول: "لهنا خير مدراهم" أو "البركة فقليل" للدلالة على الرضا بحياة البساطة في العيش. وقد سارت "العائلات المعمرية" والعائلات الميزابية في "قصر بني يزقن" وفق النظام الزواج "الحمي" فيم يخص عملية الاختيار للزواج، للحفاظ على العشيرة وعلى تقاليدها العريقة المنقولة عن اعتبارات إقتصادية، أهمها التضامن الاجتماعي مع ابن العم وابن العشيرة الواحدة، بتخفيف أعباء "المهر" ومصاريف الزواج هو حسب Germaine Tillions و"جيرمين تيون" كونهم يعيشون في هذا النظام من واجباتهم التضامن مع أقربائهم¹.

¹ –Germain,Tillion, Le harm et les cousin,Paris : le seul,1966,p5.

4-المراسيم الإحتفالية وإعلان الرسمي للزواج:

- تلي المرحلة التحضيرية، المراسيم الإحتفالية للزواج وذلك وفق صيرورة إحتفالية فهي بمثابة إعلان رسمي لإنجاح الخطبة فلم يتبقى إلا إشهار هذا الحدث المنتظر أمام الأهل والأحباب، والجيران من خلال إقامة المراسيم التالية: قراءة الفاتحة، عقد القران وليلة الحناء ويوم الزفاف ثم يوم الدخلة وطقس لحزام.

-ولي هذه المراسيم الإحتفالية خصوصيات لا نجدها إلا في مجتمع بحثنا، من حيث الترتيبات تتميز بالتواضع والبساطة وعدم التبذير والإسراف، وبتخفيض تكاليف الزواج، وإعطاء طابع محلي أصيل للعادات وتقاليد ومحاربة كل ما هو دخيل من الثقافة الغربية، وتخضع لتداخل المنطق الديني الذي تستمد منه هذه الطقوس مشروعيتها والمتجلى بالخصوص فيما يسمى إشهار الزواج.

وتبدأ الاحتفالات بالمرحلة الأولى وهي:

قراءة الفاتحة:

تتم قراءة الفاتحة من طرف أمام مسجد أو الشيخ العشيرة، ولا يحضرها إلا لرجال المقربون فقط من قبل كان الطقس الديني يقام في المسجد، حاليا أصبح يقام في بيت العروس ولا تقدم خلاله لا مشروبات، ولا حلويات وهي أحد أهم الطقوس التقليدية التي يحرص عليها الكل مهما اختلف المستوى المادي، فلا وجود لحفلة الخطوبة وتبادل الخواتم بين العروسين حيث يقدم الخاتم على شكل هدية مع اشياء بسيطة حناء قطعة قماش وعطر، ثم الصداق أو المهر المتفق عليه لدى "عرف سيدي معمر" و"بني يزقن" فهي ترفض المنفعة المادية للزواج.

4 عقد القران المدني:

الذي يتم على مستوى البلدية لإثبات صحة الزواج بصفة قانونية، ويحضره العريس والعروس، أولياء العروسين مع شاهدين، بعد الإنتهاء من ترتيبات العقد المدني لا وجود لأي حفل أو وليمة مثل ما هو معمول به في بقية المناطق الأخرى من الوطن.

5-ليلة الحناء:

حيث تعتبر الحناء من الطقوس الأصيلة للزفاف العربي والمغربي نظرا لرمزيتها واعتبارها مصدرا للتقاؤل بالنسبة للحياة الزوجية للعروس، فهو اليوم الذي تهئ العروس نفسها للانتقال إلى أسرة العريس فلا تتزين العروس يجب ان تكون طبيعية جيدا، كي يظهر الفرق يوم بروزها كعروس فالحنة هي حفل توديع العروس قبل ليلة الدخلة، ويقام طقس الحناء في اليل في بيت العروس فقط أو ما يسمى بـ "حنة اليمات"، حيث نلاحظ غياب طقس الحناء في بيت العريس فالعروس تحنى مرتين في بيتها، المرة الأولى من طرف أهلها "حنة اليمات" والمرة الثانية من طرف أهل العريس قبل خروجها من بيت أهلها ويحضر الحفل المقربين من العمات والخالات لمواساتها هذه دلالة معنوية فلا حضور للفتيات الغير متزوجات فلاحظنا في قصر "بني يزقن" و"عرف سيدي معمر" أن طقس الحناء يكون عائلي ولا تلام أم العروس لعدم توسيعها الدعوة خوفا من السحر، أي طقس الشعوذة التي باتت تستهدف العرائس وتؤدي بهن إلى الربط والجنون والعقم وإلى غيرها من الأمور التي يتسبب فيها شياطين الإنس، كما يمنع استخدام جهاز الموسيقى مع الإكتفاء بزغاريد والأناشيد المحلية بنسبة "لقصر بني يزقن"، ومذائح و"قصيدة سيدي معمر" بنسبة للعائلات المعمرية، وترتدي العروس لباسا تقليديا بسيط محتشم مع تغطية الرأس بخمار أبيض أو أحمر، ويقع الإختيار على مرآة مسنة من باب الإحترام وحتى تكون فال خير لوضع الحناء التي يعهد إليها بتزيين يدي العروس ورجليها، نظرا لعمق وقوة العادات والتقاليد

المحيطة بالحناء والزواج بات إرتباط شرطي بين ذكر الحناء والزواج، وهي طقس عبور للانتقال من حياة العزوبية إلى الحياة الزوجية، فهي رمز من رموز الثقافة العربية الدالة على الفرح والبهجة والسلامة.¹

حفل زفاف العروس:

يعتبر أهم يوم في حياة العروسين حيث سيبدأ كليهما حياة جديدة، ويطوي حياة العزوبية وينتقل إلى حياة المسؤولية، يكلل هذا اليوم بحفل في بيت العروس أولاً يسمى "تصديره" في "عرف سيدي معمر" أو حفلة "الله أكبر" النسوية في "قصر بني يزقن".

- وتتميز أعراس "قصر بني يزقن" و"عرف سيدي معمر" ببساطة لا متناهية، فلا مكان لمظاهر التفاخر المادي، والفرح الصاخبة من غناء ورقص كما يحضر حفل الزفاف عدد محدود من المدعوين والنساء والأقارب المقربين من العائلة والملاحظ أنّ العروس ترتدي في يوم زفافها الزي التقليدي الخاص بكل منطقة.

فتلبس العروس لباس أو لباسين على الأكثر وذلك دون وجود الألبسة العصرية المستوردة المستعار من الثقافة الغربية، فنلاحظ أنّ لباس التقليدي حاضر بشدة لدى المجموعتين، ليس فقط كعنصر زينة وإنما كإشارة إلى التمسك والمحافظة بالماضي العريق، وبالعوادات وتقاليد المتوارثة عبر الأجيال من خلال التنشئة ماهية المترسخة في عقول الناس لأنها جزء من مقوياتهم الشخصية، وهويتهم الثقافية التي تفرض نفسها بشكل متميز فهي ترمز إلى الأصالة.

¹ - سامية حسن الساعاتي علم اجتماع الأسرة رؤية معاصرة لأهم قضاياها، القاهرة: دار الفكر العربي، 1999، ص217.

* لباس العروس:

ترتدي عروس "بني يزقن" رداء ميزابيا يدعى «تيملحفت» يتميز بألوانه المزركشة المخلوطة بين اللونان الأخضر والأصفر ويتصف بمنمنمات هندسية صغيرة لإضافة لزي ذات ألوان أخرى، وترتدي العروس "المعمرية" لباس تقليدي محلي "ملحفة" وبعد ليلة الدخلة ترتدي "قفطان أبيض" مصنوع من غرزة لحساب مزين بأشكال هندسية صغيرة و"كاركو"، ولا تتزين العروس بمواد التجميل ولا مجوهرات لأن "العرف" ينص على عدم الزينة كرمز لتواضع وللعفة وصفاء حتى بعد ليلة الدخلة.

كما لا تلجأ العروس الميزابية إلى مصفف الشعر بل تقوم بعض السيدات المتخصصة بتزيين العروس في يوم عرسها، وهنّ يتوارثن هذه المهنة جيل بعد جيل، وتعرف باسم «التيتة» ويعرفن ما يليق للمرأة الميزابية من تسريحة وحلي وزينة، وذلك يتم بقليل من «الكحل» والسواك، وهي تقوم بتزيين العروس لمدة سبعة أيام كاملة، ترافق خلالها العروس في مأكلا ومشربها قبل زفافها إلى زوجها وعادة ما تتقاضى «التيتة» مبلغاً مالياً متواضعاً مقابل الخدمات التي تقدمها للعروس تبعاً للمستوى الاجتماعي لأسرتها، وتراعي العروس الميزابية الاعتدال في وضع الحلي التي يشترط أن تكون من الذهب يمنحه إياها العريس دون تحديد مسبق لنوعية الطقم أو وزنه أو تعدد أجزائه، وتسمى مجموعة الحلي الذهبية عندهم باسم «سرمية»، كما يتعين للعروس أن تضع «الخلخال» في ساقها ويشترط أن يكون من معدن الفضة الخالصة كرمز للصفاء والنقاء.

يوم الزفاف وليلة الدخلة:

هو طقس من طقوس الزواج تعكس تشبث أهل منطقة "قصر بني يزقن" والعائلات التي تنتمي لعرف "سيدي معمر بمدينة شرشال" بالعادات الأصيلة وتقاليد مجتمعية تختزل قيم حضارية متوارثة. ورغم بروز أشكال احتفالية جديدة تطورت مع تطور الوسائل والإمكانات والعادات في مجتمعات بحثنا التي طالت مختلف نواحي الحياة، فإن تقاليد الزفاف لازالت تحتزن الموروث الاجتماعي والثقافي والحضاري والديني.

بعد إنتهاء العروس من جميع طقوسها الاحتفالية، يتم تحضيرها لتزف إلى بيت العريس في اجواء من الفرحه والبهجة، ولعرف "سيدي معمر" طقوس خاصة بطريقة تزين العروس وخروجها من بيت أهلها نحو بيت زوجها حيث يطلب منها أن تكون طبيعية فتمنع من استعمال أي مساحيق للتجميل والحلي والمجوهرات، ولا يسمح لها بذلك إلا بعد وصولها إلى بيت زوجها وإتمام الدخلة.

ويعتقد المنتمون لعرف "سيدي معمر" أن السبب وراء هذه العادة يعود إلى الثوابت الإسلامية اتي تقول أنه لا يجوز للزوجة ان تتزين، إلا في بيت زوجها وله فقط إنطلاقا من قوله تعالى: "و يبد ين زينتهن إلا بعولتهن" (سورة النور الآية 31).

وقبل أن تخرج العروس من بيت اهلها تلبس زيها التقليدي "لملحفة"، وتكرر نفس طقوس اللباس وتوضع فوق رأسها شمعتان كرمز لجمال لعروس، ثم يؤتى بجلد خروف "هيدورة" تفرش مقلوبة على الأرض وتوضع عليها قصعة تجلس عليها العروس لتربط لها الحنة في يديها ورجليها، ويشترط على العروس أن تخرج بـ "لملحفة" وبرنوس أبيض متواضع مغطاة الرأس. فالبرنوس يرمز لرداء "سيدي معمر" ولصفاء وطهارة، وهي حافية القدمين وذلك قبل وقت صلاة الفجر ويتم نقلها إلى بيت العريس على ظهر فرس أبيض فهو فال خير في إعتقاد "عرف سيدي معمر"، متبوعة بزغاريد اهل العريس، وهي رمز إلى إنطلاق العروس

إلى بيت العريس وقصيدة "سيدي معمر". وتسمى هذه الطقوس عند "فان جنب" طقوس العبور من مرحلة العزوبة الى مرحلة الزواج، ومن بين العادات التي مازالت سارية في عرف "سيدي معمر" هو عزوف أهل العروس المرافقين لها يوم الزفاف إلى بيت زوجها عن تناول أي شيء أو حتى شرب الماء في منزل العريس قبل أن تتم الدخلة، وهو ما يجعل أهل العريس في الغالب يعتمدون على جيرانهم أو الأقارب لإطعام أهل العروس. وفي اليوم الموالي يؤتى للعروس بسمكتين فينثرون في حجرها حراشفها تمنيا لها بكثرة الأبناء. يوم الدخلة للعروس "المعمرية" يكون في الليلة الثانية من التحاقها لبيت زوجها، وبعده يمكنها ان تتزين وتلبس ما أخذته معها من ألبسة في جهازها.

وتتم طقوس ليلة الدخلة في اليوم الموالي من زف العروس الى بيتها الجديد، وتبقى تنتظر في غرفتها حتى وقت متأخر من الليل، يظهر العريس مع بعض أقربائه وهو يرتدي طقم أسود وفوقه برنوس أبيض كرمز للطهارة والرجولة، فيدخل على العروس بلباسها التقليدي الأبيض الذي يرمز للعفة، وطهارة وهي لحظة حاسمة وحساسة في حياتهما، كما أنها تشكل المحور الأساسي لمراسيم حفل الزواج¹ هذا ما يجعل هذا الطقس شيء مقدس، أو طقس عبور أو مرور، تنتقل من خلاله المرأة من عالم العزوبة إلى عالم الخصوبة، وهي ليلة يختبر من خلالها الزوجان، لأنهما مجبران على أن يبرزوا برهان العذرية للمرأة، والقدرة لرجل وهذا رمز للرجولة في الوسط الاجتماعي، ودليل على القوة الذكورية.

هذا ما يجعل من الزواج في حد ذاته طقس عبور، حيث يمر كلا الزوجين من حياة عادية إلى حياة مشتركة مليئة بالمسؤولية².

¹ –Faouzi Adel, La **nuît de nocés ou la virilité piégée**, Insaniat, N°4Janvier–avril1998, revue algérienne d'Anthropologie et de sciences social, Crasc, Oran, p4.

² –Guy Rocher, L'organisationsocil, opcit, p96.

نظرا للأهمية التي يولها المجتمع لليلة الدخلة فإنه يصاحبها طقوس المنديل، والقمجة (القماش) الذي يثبت عذرية العروس، فيصبح هذا المنديل دليل رمزي على عذرية العروس، إن العفة النفسية غير كافية في غياب دليل مادي، مما يدفع بأهلها للتباهي بشرف إبنتهم، وأهل العريس يفتخرون بقوة إبنهم الذكورية، وإثبات رجولته فهذه الليلة تمزج برمزان الشرف ورجولة¹، وهي كذلك طقس عبور من حياة المرأة العازبة إلى المرأة المتزوجة.

وفي صباح يوم الدخلة تتزين العروس بزينة من مواد التجميل والمجوهرات، ثم تلبس "لباس تقليدي" خاص بالمنطقة "قفطان" "غرزت لحساب" أو غيره من الألبسة التقليدية حيث يقام حفل يحضره أهل العروس المقربين، يتم تحضير الروينة لتوزع على الأقارب وتوضع "ملحفة العروس في" طبق"، يجمع فيه مبلغ مالي رمزي يتبرع به الحاضرون يقدم فيما بعد للولي سيدي معمر" اثناء زيارة الضريح حيث يتم أداء طقس الزيارة، وذلك بإشعال لشموع والبخور ونثر الحناء على ضريح الولي ثم توضع ملحفة العروس على المقام ويعطى المال الى حارس الضريح "لوكيل". ومن عادات صبيحة الدخلة أن يؤتى إلى العروس برحي حيث تقوم برحي ما يعرف في الجزائر بـ "الدشيشة" وهي عبارة عن قمح مطحون ثم تقوم بطبخها ليفطر عليها الجميع في صبيحة العرس.

يعتبر هذا الطقس الأساس الذي يمكن من خلاله للمرأة أن تحظى بقبول المجتمع، وبذلك هو طقس إنتماء للجماعة، فهي ترمز لشهادة القبول داخل المجتمع، وداخل عرف "سيدي معمر".

وقد لاحظنا نفس البساطة والتواضع في إحتفالات العروس الميزابية في "قصر بني يزقن" وهذا راجع إلى اتباع تعاليم الدين الإسلامي والسنة النبوية الشريفة، وحرص "هيئة العزابة" والهيئة النسوية "تيمسريدين" على إتباع ومراقبة كل صغيرة وكبيرة تخص مراسيم

¹ –Guy Rocher, L'organisationsocil, opcit, p.99

الزواج من البداية إلى النهاية. حيث تلبس العروس يوم زفافها، أو يوم "التتويج" الذي تزف فيه إلى زوجها زيتها التقليدي "أحولي" الذي يرمز إلى مدى تمسكها بعبادات وتقاليد التي يتناقلها الأفراد، عن طريق الذاكرة الشعبية ولا تزين بالكثير من المجوهرات تكتفي بـ "سرمية"، وبعض مساحيق التجميل فتوصي أحد أعضاء "تيمسريدين" وزيرة "العروس تاوزيرت" بالحرص على إتباع هذه التوصيات وتمنع أم العروس من إرسال الطعام إلى ابنتها خلال اليوم الأول من العرس حتى بعد ليلة الدخلة.

ثم تنتقل العروس بعدها رفقة عائلتها إلى بيت العشيرة الخاصة بها إلى جناح مخصص "الحجة" في موكب من السيارات في هدوء تام، حيث يمنع إستخدام أبواق السيارات منعاً باتاً، وتنتظر العروس زوجها لتقضي أول أيام حياتها معه. فليلة الدخلة شيء مقدس لدى العائلات في "بني يزقن" أي إجتماعياً يشكل شيء مقدس مما يجعل منه "تابو" تحيط به المحرمات والممنوعات، ويجعل من هذه الليلة طقس عبور من عالم العزوبة إلى عالم الخصوبة، والعريس يمر إلى مرحلة إثبات الذات وهي رمز للرجولة في الوسط الإجتماعي. هذا ما يجعل من الزواج في حد ذاته يمر فيه كلا الزوجين من حياة تتميز بالفردية، إلى حياة مشتركة مليئة بالمسؤوليات لكل واحد منهم حقوقه وواجباته.

أوجه الاختلاف بين عادات وتقاليد وطقوس زواج "عرف سيدي معمر" و"بني يزقن"

2- أوجه الاختلاف:

بعدما تعرفنا على أوجه التشابه بين "عرف سيدي معمر" و"بني يزقن" الخاص بعادات وتقاليد الزواج، سوف نتطرق إلى معرفة أوجه الاختلاف الموجودة بينهم من حيث العادات وتقاليد والطقوس، الخاصة بالمراسيم التحضيرية والاحتفالية للزواج.

1- العرف:

العرف كنظام إجتماعي يقصد به ما اتفق الناس عليه من سلوك معين يتعلق بجانب من جوانب حياتهم الاجتماعية لفترة زمنية طويلة مع إلزامية تطبيق هذه القواعد داخل القبيلة أو الاتحادية القبيلة مخافة التعرض لأشد العقوبات المادية والمعنوية لكل مخالف. وبهذا فهو كل ما إعتاده الناس وساروا عليه في شؤون حياتهم¹ يسيرون وفقا لعادات وتقاليد يتوارثونها جيلا بعد جيل ويحافظون عليها.

يعتبر عرف الزواج لدى "سيدي معمر" و"بني يزقن" نظام اجتماعي يسير مختلف المراسيم الاحتفالية للزواج ويعكس تشبث أهل المنطقة بالعادات الأصيلة وتقاليد مجتمعية تختزل قيم حضارية متوارثة. ورغم بروز أشكال احتفالية جديدة تطورت مع تطور الوسائل والإمكانات والعادات في المجتمع، التي طالت مختلف نواحي الحياة، فإن تقاليد الزفاف لازال تختزن الموروث الاجتماعي والثقافي والحضاري والديني، ونمط وأسلوب عيش سكان المنطقة رغم تباين إمكانات أهل العريس والعروس وبرز متطلبات جديدة تسير العصر بفضل الموروث الثقافي والاجتماعي اللذين يجعلان العائلات تصر على مثل هذه العادات وتقاليد فتكون وحدة المجتمع وهويته. حيث يعود لها الفرد ليجد فيه الإطمئنان فيتعلق الأمر

¹ -مصباح عامر علم اجتماع الرواد ونظريات، الجزائر دار الأمة للطباعة ونشر، ط2005، 1، ص76.

بالثقافة الشعبية لمالها من القداسة، واحترام ما يمكنها من السيطرة والإلزام خصوصاً إذا تعلق الأمر بالجوانب الدينية والأخلاقية.

وهذا ما أشار إليه "دوركايم" في التعبير عن خاصية "القهر" بما سماه "الضمير الجمعي"، فهو يمارس سيطرة فعلية على ضمائير الأفراد، وهذا ما يجعل الفرد خضعا له يمارس عادات أجداده، وخروجه عنها يجعله محل سخط¹.

فنقطة الاختلاف بين "عرف سيدي معمر" و"بني يزقن" تكمن في أن "عرف سيدي معمر" يمثل عرف شفهي يعتمد على الذاكرة الجمعية أو الشعبية وإستطاع الحفاظ على بقائه بفضل المخيال الجمعي للمكانة التي يحتلها "الولي الصالح"، مازال الاعتقاد في بركته مترسxa بقوة في المتخيل الجمعي حيث يشعر الفرد، أنه توجد قوة كامنة وراء عادات وتقاليد المجتمع فيخشى معارضتها كي ليتعرض إلى السوء ولعنة "الولي" والاستهجان والإنكار من طرف الجماعة وهذا ما يفسر خوف الناس من عدم القيام بعادات الأجداد ما يجعلها تصل إلى درجة التقديس، وعليه تصبح قوية من حيث السيطرة والإلزام لكن يبقى السر في سيطرتها وقوتها، هو ارتباطها بالماضي والأسلاف² كما هناك أعراف وعادات وتقاليد التي تتصل بالأمكن المقدسة، مما يجعل الناحية الأسطورية غالبية عليها كذهاب عروس "سيدي معمر" لزيارة الضريح قبل الزفاف لنيل البركة، وذلك لأن هذه الأساطير لها علاقة بالماضي والأجداد، وهي ناتجة عن تجربة حيث أن خبرته في الماضي كانت محدودة فلجأ إلى مخيلته، حتى يتمكن من حل بعض الأمور ومع الزمن أصبحت هذه الأساطير جزءا من التراث الثقافي للمجتمع³.

¹ -مصباح عامر، مرجع سبق ذكره، ص90.

² -محمد الجوهري، مرجع سبق ذكره، ص70.

³ -فوزية دياب، مرجع سبق ذكره، ص120.

أما عرف "بني يزقن" الخاص بعادات وتقاليد الزواج فهو مكتوب على شكل لوائح أو قوانين عرفية تعلق في المساجد على شكل وثيقة توضح فيها كل القواعد التي يجب القيام بها خلال مراسيم الزواج من بدايته إلى نهايته، وما ينهى عنه العرف، ولديه هيئة مسؤولة (العزابة) عن مراقبة ومتابعة كل التجاوزات داخل المجتمع الميزابي عامة، و"قصر بني يزقن" خاصة. فهو يمارس الضبط الإجتماعي على الأفراد، والمنظم لسلوكهم في الجماعة وأي خروج عنه قد يعرض صاحبه الى العقوبة بدافع الخرج غما تقرره العشيرة.

2-المراسم التحضيرية للزواج:

يختلف "عرف سيدي معمر" عن "قصر بني يزقن" في بعض المراسيم الاحتفالية للزواج من حيث الشكل والمضمون منها:

الإختيار للزواج:

يتميز الزواج "المعمري" بإعتماده على شكلين من نمط الزواج "الداخلي Endogamie أو القرابي" والزواج عن طريق رابط الدم، أي لأقارب الذين يرتبطون فيما بينهم بالرابط الدم والزواج الإغترابي أو الخارجي Exogamie أي من خارج دائرة الأقارب، قد يكون قائم على الإختيار الحر أو الإختيار المقيد من طرف الأهل بإختيارهم لزوجة ابنهم، أو زوج إبناتهم، وهدف هذا الزواج هو توسيع نطاق القرابة بزواج من جماعات أخرى، ودعم الوحدات القرابية من خلال العلاقات الإجتماعية المتشابكة، والتي قد تترتب عن علاقة المصاهرة¹.

وفي الشريعة الإسلامية لطالما حبيب الرسول صلى الله عليه وسلم من الزواج بالأباعد وخارج نطاق القرابة، بغرض تكوين علاقات جديدة قائمة على المصاهرة. أما بالنسبة "لقصر

¹ -محمد عبده، فاتن محمد شريف، التراث الشعبي، ص154.

بني يزقن" فزواج عندهم مبدأه الأساسي الاختيار من داخل الجماعة وهدفه هو الحفاظ على تماسك الجماعة، ووجد فيه البعض وسيلة للقضاء عن العنوسة داخل الجماعة. إذ أنه في نظر مؤيديه الزواج بالقريبات أولى من الزواج بالغريبات، ويتخذ الزواج الإضوائي أشكالاً مختلفة، الزواج من "الطائفة أو العشيرة" وهذا ما لاحظناه في "قصر بني يزقن"، وحسب "بكير بن سعيد أعوشة": "إن قرى ميزاب تتكون من العشائر، قد تكون برابطة الجد الأول، وقد تكون رابطة صداقة قديمة، إنضمت بعض العائلات إلى تلك العشائر فانصهرت فيها"، ومن شروط الزواج، إختيار شريك حياة مناسب وملائم ويكون التناسب في عدة أمور: السلالة ينتمي إلى نفس السلالة الميزابية، والدين أي الإنتماء إلى المذهب الإباضي، لهذا نجد هذا النمط شائع في المنطقة الميزابية عامة، و"بني يزقن خاصة حيث يرفض الزواج خارج النسق الإجتماعي.

2- الخطبة:

للخطبة في "قصر بني يزقن" عادات وتقاليد مختلفة عن "عرف سيدي معمر" فيما يخص طريقة الخطبة وطلب يد العروس، فالأم لتخطب لابنها، فهذه الطريقة لازالت إلى يومنا هذا تعد عيباً أن تتقدم الأم بنفسها في طلب البنت لابنها، وإنما تبعث أحد كبار العائلة كالجدة، أو الخالة. أما طريقة الإختيار فهي متعددة بعدما كانت موحدة، وهذا نتيجة التغيرات الإجتماعية كارتفاع سن الزواج بين طرفين،¹ ومن بين هذه الطرق:

- أن يقدم الابن المواصفات التي يرغب فيها.
- أن تقوم الأم بعرض المواصفات لبنت ما، فيقوم الابن بالموافقة أو الرفض.
- أن يتم تبادل الصور بين الطرفين، أو من طرف واحد، وهذا لازال محرماً عند البعض.

¹ -بكير بن سعيد أعوشة، مرجع سبق ذكره، ص 106-109.

3-المراسيم الإحتفالية ولإعلان الرسمي للزواج:

نجد إختلاف في الزفاف بنسبة "لزفاف لمعمري" و"قصر بني يزقن" حيث تشتهر ميزاب بحفلات الأعراس الجماعية في كل قصورها، بما فيها قصر "بني يزقن"، أما في مدينة "شرشال" فلا وجود للأعراس الجماعية، بل هناك أعراس فردية خاصة بكل عائلة.

الأعراس الجماعية:

يواظب سكان "بني يزقن" على إقامة حفلات الزواج الجماعي في تقليد راسخ متوارث منذ مئات السنين، في ممارسة تعيشها مدينة غرداية على وقع حفلات الزواج الجماعي الذي يعد نمطا محببا لدى عوائل المنطقة، دأبت على المحافظة عليه منذ القدم في إطار التكافل التضامن الاجتماعي الذي يميز سكان الصحراء أو ما يسمى عند "دوركاييم" بتضامن العضوي الإجتماعي.

ويعود هذا النوع من الزواج الجماعي إلى عهد قديم ظلّ يتقيّد به أهالي الناحية حيث درج على تنظيمه سكان مختلف قصور سهل ميزاب، إذ يعمل كل عريس ميسور الحال على إشراك عدد من الشبان الفقراء في الاستفادة من هذه المناسبة من خلال تحمل أعباء وتكاليف زفافهم، في صورة يسعى عارضوها إلى توطيد دعائم التعاضد الاجتماعي وتكريس قيم التماسك بين سكان القصور القديمة المترامية على مستوى المنطقة المذكورة.

3-الحمام:

سوسيولوجية العلاقة بين الإنسان والحمام تتأسس على اعتبار الحمام كفضاء حاضن وعاكس إلى اليوم للجزء المجسد والمتجلي من حياة وتقاليد وأعراف وقيم الكثير من المجتمعات المتوسطة ومنها بالخصوص المجتمع الشرشالي. إذ يعتبر (الحمام) التراث

والتقليد العريقين، اللذين عرفهما هذا المجتمع فهو عالم وشبكة من الأنساق والممارسات والتمثلات، التي تتغذى تاريخيا وسوسيولوجيا من فاعليه إنه أكبر من أن يعد فضاء للإغتسال وطقسا للعبور، من النجاسة إلى الطهارة ومن المدنس إلى المحرم فهو العالم الآخر للذكريات والتخيّلات، وهو الفضاء الذي تتشكك فيه العلاقات الإجتماعية. كان للحمام وما يزال حضور قوي في المراسيم الإحتفالية للزواج وعادات وتقاليد المجتمع المعمري، فكان دوره على سبيل المثال حاضرا بقوة في عادات المجتمع الشر شالي في الزواج، خصوصا عندما كان الأمر يتعلق بالبحث عن خطيبة، ففيه كانت تتم عملية معاينة العروس ومراقبة حركاتها وجسدها للتأكد من خلو جسمها من العيوب..، يقول محمد كرد علي في ذلك: "و متى أصبح الأمر تقريبا واقعا، يذهبن (الخاطبات) إلى الحمام معاً ويرين جسمها وشعرها ويشممن آذانها (كذا) وفمها وتحت إبطها ورائحة عرقها ووثيابها وينقلن ذلك إلى الخاطب وعميد الأسرة مع وصف شكلها وجمال وجهها وطولها وغير ذلك"¹، وبالمقابل كانت الفتيات تحاولن لفت الأنظار بإظهار رشاقتهن وجمالهن وأنوثتهن. في سياق ذلك وبقدر ما كان الحمام فضاءا تزويجيا، فإنه أيضا كان ولا يزال فضاء للاحتفال والفرجة، فأثناء الزفاف مثلا، كان أهل مدينة شرشال ولا يزالون يحتفلون بدخول العروس الحمام "يوم الحناء" كما تسمى محليا مع قريباتها، والأمر نفسه بالنسبة للعريس الذي يمثل الحمام له "طقس عبور" في الليلة الدخول على عروسه. وتبقى هذه الطقوس تحافظ على نمطيتها ويعاد انتاجها إلى اليوم، كما أنّ الحمام كان دوما فضاء للسحر والشعر والنثر.²

¹ - كرد محمد علي، **خطط الشام**، ج6، بيروت، دار العلم للملايين، ط2، ص266.

² - Carlier, O. (2000), « **les Enjeux Sociaux du Corps, le Hammam Maghrébin (19-20 siècle) lieu pérenne, menacé ou recréé** », in *Annales, Histoire, Sciences sociales*, 55 année, n° 6, Nov-Déc 2000, Paris, Editions de l'Ecole des Hautes Etudes en Sciences Sociales.

كما أن التجميل بحد ذاته مازال سبباً وجيهاً وقوياً لاستعمال الحمام خاصة لدى السيدات فالمترددات منهن تقدرن الآثار التجميلية له، مما يجعله يستخدم بكثرة ضمن الاستعدادات للزواج. وقد تم ملاحظة إقبال المتزوجات على استعمال الحمام أكثر من غير المتزوجات لنفس الأسباب السابق ذكرها، فرمزية الحمام تكمن في كونه فضاء للعبور، بالمعنى الأنثروبولوجي، من مرحلة منتهية إلى مرحلة مقبلة، كالعبور من عدم معرفة الذات إلى اكتشافها، ومن العقم إلى الخصوبة، من الدنس إلى الطهارة، وأحياناً من المرض إلى العافية.

4-الإحتفال بليلة الزفاف الخاصة بالعروس:

للعروس "المعمرية"، من حيث طريقة خروجها من بيت أهلها حيث تخرج بعد القيام بطقوس الحناء للمرة الثانية من طرف أهل العروس، ويشترط أن تخرج قبل صلاة الفجر وهي حافية القدمين بلباسها التقليدي "ملحفة" حيث لاوجود لزينة أو مجوهرات، وتنقل إلى بيت العريس على ظهر فرس بيضاء إذا كانت المسافة قريبة، أما إذا كانت بعيدة، فيتم نقلها بسيارة متبوعة بزغاريد النساء وقصيدة "سيدي معمر". وهذا عكس ما هو قائم في قصر بني يزقن حيث تخرج العروس في هدوء مع زغاريد دون تحديد وقت محدد وليست حافية القدمين.

5-اللباس التقليدي للعريس:

- لباس العريس الميزابي ينتقل به من حياة العزوبية إلى الحياة الزوجية ويبقى الوحيد الذي يزين أعراس ومناسبات، المجتمع الميزابي، المعروف بالمحافظة على أصالته وعاداته وتقاليد العريقة فقد حافظ هذا اللباس التقليدي الميزابي الشهير على تواجده، منذ عصور طويلة.

مكوّناته ووظيفة رموزه:

فبنو ميزاب من أكثر سكان الجزائر تواضعا في أفراحهم فهم ينفقون على هذه المناسبات بحساب وعقل بعيداً عن هاجس حب الظهور والتبذير الفاحش الذي نلمسه في بقية الأعراس التي تشهدها مناطق كثيرة من القطر الجزائري.¹

مثلما تتواضع العروس الميزابية في لباسها. يكتفي العريس بارتداء بذلة الزفاف التي تتوارثها الأسر الميزابية أباً عن جد، ففي ليلة الدخول بعروسه لا يبالي الشاب الميزابي بآخر صيحات و"ماركات" البدل الغربية فهو يفتخر بأن يرتدي سروال "الدوّالة" المعروف عند عرب الجزائر بـ "سروال لوبية" لشكله المتميز الذي لا تلمحه إلا عند الميزابيين منذ نعومة أظافرهم، ويتخذ السروال الميزابي شكلاً مدوراً ما بين الفخذين ينتهي في الأسفل بنفس شكل السروال العصري، تعلوه "تكميشات" رفيعة على مستوى الخصر تزيد الرجل إذا كان ضعيف القامة "امتلاءً" وفوق "الدوّالة" يضع العريس الميزابي ما يسمى بـ "أحولي" وهو نوع من "البرنوس" المصنوع من القطن الرفيع يشترط أن يكون ناصع البياض كرمز للصفاء والنقاء ولا ينسى الميزابي وضع "العقال" فوق رأسه فهو رمز رجولته وإباضيته وعادة ما يكون عقال الزفاف مصنوعاً من خيط الحرير الذي تبذع الحرفية الميزابية في تشكيل أجمل الأصناف التي تتهافت العائلات الميزابية لاقتنائها لأولادها المقبلين على الزواج. إن التمسك بهذه الرموز، ودلالاتها لطالما اعتبرت بمثابة التمسك بالهوية، والأصالة.

- أما لباس العروس "المعمري" فنجدته مختلف عن لباس "قصر بني يزقن" حيث نجد فيه الطابع العصري يطغى عليه، فهو مشكل من طقم اسود خاص بالمناسبات وبرنوس أبيض كرمز للأصالة والرجولة.

¹ - حاج رمضان هبة: ميزاب التغير الاجتماعي وتعليم الفتاة، مذكرة نهاية الليسانس في علم الاجتماع، المشرف كولدين شولي وبن قرقور شريف، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر السنة الجامعية 1985-1986، ص50.

6-ليلة الدخلة:

من بين العادات الخاصة بليلة الدخلة التي مازالت سارية في عرف "سيدي معمر" عند وصول العروس إلى بيت العريس، أن يستقبلها طفل صغير ينزع عنها "البرنوس" لكي ترزق في أول ولادتها بذكر، ولا تتم ليلة الدخلة في ذلك اليوم حيث تنام العروس مع من رافقها من النساء القريبات في غرفة أخرى في أغلب الأحيان تكون في غرفة حماتها، مع عزوف أهل العروس المرافقين لها يوم الزفاف إلى بيت زوجها عن تناول أي شيء أو حتى شرب الماء في منزل العريس قبل أن تتم الدخلة. وتتم طقوس ليلة الدخلة في اليوم الموالي من وصول العروس إلى بيتها الجديد، وتبقى تنتظر في غرفتها حتى وقت متأخر من الليل.

يظهر العريس مع بعض أقربائه وهو يرتدي طقم أسود وفوقه برنوس أبيض كرمز للطهارة والرجولة فيدخل على العروس بلباسها التقليدي الأبيض الذي يرمز للعفة، وطهارة وصفاء، وهي لحظة حاسمة وحساسة في حياة تهماكما أنها تشكل المحور الأساسي لمراسيم حفل الزواج¹، هذا ما يجعل هذا الطقس شيء مقدس، أو طقس عبور أو مرور، تنتقل من خلاله المرأة من عالم العزوبة إلى عالم الخصوبة، وهي ليلة يختبر من خلالها الزوجان، لأنهما مجبران على أن يبرزوا برهان العذرية للمرأة، والقدرة لرجل وهذا رمز للرجولة في الوسط الاجتماعي، ودليل على القوة الذكورية. هذا ما يجعل من الزواج في حد ذاته طقس عبور، حيث يمر كلا الزوجين من حياة عادية إلى حياة مشتركة مليئة بالمسؤولية².

¹ -Faouzi Adel, La nuit de nocces ou la virilité piégée, Insaniat, N°4 Janvier-avril 1998, revue algerienne d'Anthropologie et de sciences social, Crasc, Oran, p4.

² -Guy Rocher, L'organisationsocil, opcit, p96.

أما العروس الميزابية في "قصر بني يزقن" فتتمر بهذه المرحلة في نفس الليلة التي تزف فيها إلى العريس.

نظرا للأهمية التي يولها المجتمع المعمري لليلة الدخلة فإنه يصاحبها طقوس المنديل، أو لقمجة الذي يثبت عذرية العروس، فيصبح هذا المنديل دليل رمزي على عذرية العروس، إن العفة النفسية غير كافية في غياب دليل مادي، مما يدفع بأهلها للتباهي بشرف إبناتهم، وأهل العريس يفتخرون بقوة إبنهم الذكورية، وإثبات رجولته فهذه الليلة تمزج برمزان الشرف والرجولة.¹

وفي صباح يوم الدخلة تتزين العروس بزينة من مواد التجميل والمجوهرات، ثم تلبس "الباس التقليدي" خاص با لمنطقة (شرشال) "قفطان" غرزت لحساب" أو غيره من الألبسة التقليدية حيث يقام حفل يحضره أهل العروس المقربين، يتم تحضير الروينة لتوزع على الأقارب وتوضع "ملحفة العروس في" طبق" يجمع فيه مبلغ مالي رمزي يتبرع به الحاضرون يقدم فيما بعد أي زيارة للولي سيدي معمر"، حيث يتم اداء طقوس بعد الزواج، تتمثل في الذهاب إلى ضريح الولي أو لمقام إشعال الشموع وتوضع ملحفة العروس على المقام ويعطى المال الى حارس الضريح "الوكيل". ومن عادات صبيحة الدخلة أن يؤتى إلى العروس برحي حيث تقوم برحي ما يعرف في الجزائر ب "الدشيشة" وهي عبارة عن قمح مطحون ثم تقوم بطبخها ليفطر عليها الجميع في صبيحة العرس. يعتبر هذا الطقس الأساس الذي يمكن من خلاله للمرأة أن تحظى بقبول المجتمع، وبذلك هو طقس إنتماء للعضوية الاجتماعية، فهي ترمز لشهادة القبول داخل المجتمع، وداخل عرف "سيدي معمر".

¹ -مالك شبال، مرجع سبق ذكره، ص81.

7- طقس لحزام:

يأخذ طقس "لحزام" مكانة مهمة في عادات وتقاليد زواج "عرف سيدي معمر" في هذا اليوم الذي يلي صبحي، تلبس العروس لباس تقليدي بحضور أهلها وأقارب زوجها ومن عادات هذا الطقس أن يقوم ولد صغير بتحزيمها 7 مرات وهو رمز لرغبة لإنجاب الذكور. ثم يقدم لها طبق يحتوي على حلويات وتين جاف ومختلف المكسرات فترميها للحضور ومن الملاحظ أن هذا الطقس أنثوي لمجال لتواجد الذكور فيه، ويرمز هذا الطقس إلى تباهي النسوة، وافتخارهم بعفة العروس وطهارتها، كما هو حفل تثبت فيه النساء مكانتهم في المجتمع لإثبات الذات النسوية في مجتمع ذكوري يمتاز بسلطة والقوة.

ولطقس الحزام وظائف متعددة منها:

الوظيفة الجمالية حيث يساعد على حفظ القوام، وإظهار الرشاقة، أما المعنى الخفي فيتمثل في كونه يشير إلى إنخراط العروس في الحياة الزوجية، واستعدادها لمواجهة وتحمل المسؤولية الملقاة على عاتقها، من الجهتين المادية والمعنوية الإمتثال والانضباط وتنفيذ الأوامر.

أما الحزام بحد ذاته فهو دلالة على ربط العروس، وإمتلاكها من طرف عائلة العريس واستقبال حياة جديدة وإكتساب مكانة مغايرة، وهي صفة المرأة المتزوجة يقول "لااووست": "العذراء لتضع وسط خصرها أي حزام او رباط، وقد جاءها اليوم الموعود والذي تودع فيه حياة العزوبية نهائيا، وفي الختام تقاد العروس للتعرف على عائلة زوجها."

جدول يبين بدقة أوجه التشابه والاختلاف لعادات وتقاليد الزواج وطقوس بين عرف "سيدي معمر" و"بني يزقن"

جدول يمثل أوجه التشابه والاختلاف بين عرف "سيدي معمر" و"بني يزقن"
ملاحظة: العلامة (+) ترمز لأوجه التشابه والعلامة (-) ترمز لأوجه الاختلاف.

زواج "عرف سيدي معمر"	زواج "بني يزقن"	أوجه الاختلاف	أوجه الشبه
1- الاختيار للزواج: يتميز الزواج "المعمري" باعتماده على شكلين من نمط الزواج الزواج الداخلي والخارجي.	1- الاختيار للزواج: النمط شائع في المنطقة الميزابية عامة و"بني يزقن" خاصة هو الزواج الداخلي من نفس الطائفة أو العشيرة.	(-) يرفض الزواج خارج المجتمع الميزابي، وخارج القصر ومن حيث الدين يجب الانتماء للمذهب الإباضي. - الزواج المعمري يختلف من حيث طبيعة الاختيار يكون خارج وداخل العرف.	

زواج "عرف سيدي معمر"	زواج "بني يزقن"	أوجه الاختلاف	أوجه الشبه
2- القانون الاجتماعي للزواج: هناك نظام اجتماعي خاص يقوم بتنظيم المراسيم الاحتفالية للزواج في جميع مراحله من البداية لنهاية أي من مرحلة الإختيار إلى يوم الزفاف يتمثل في:	2- القانون الاجتماعي للزواج: هناك نظام اجتماعي خاص يقوم بتنظيم المراسيم الاحتفالية للزواج في جميع مراحله من البداية لنهاية أي من مرحلة الإختيار إلى يوم الزفاف.		(+) يشتركان في وجود نظام اجتماعي ينظم المراسيم الإحتفالية للزواج.
3- العرف: نظام اجتماعي قديم نسبة للولي "سيدي معمر" خاص بتنظيم الزواج خاصة من حيث المهر.	3- العرف: نظام اجتماعي يتمثل في هيئة "العزابة" التي تشرف على الأمور الدينية والإجتماعية من بينها الزواج.		+

زواج "عرف سيدي معمر"	زواج "بني يزقن"	أوجه الاختلاف	أوجه الشبه
			(+) -يمتاز العرف لدى كلا الطرفين ("عرف سيدي معمر" و "بني يزقن") بأصالته واستمراره وعامل القدسية فمن صعب كسره أو الخروج عنه، فالفرد في هذه الجماعات متمسك بضمير الجماعة الذي هو واحد منهم، كما يقول "دوركاييم" "الضمير الجمعي ضمير قهري وقاسي، يجعلهم يعاقبون بقسوة بالغة كل من يخرج عن مجموعاته، أو امرهم

زواج "عرف سيدي معمر"	زواج "بني يزقن"	أوجه الاختلاف	أوجه الشبه
			بترد ونفي والعزل، أو النبذ.
عرف شفهي ينسب "للولي سيدي معمر" غير مكتوب يتناقله الأفراد من جيل لآخر من خلال التنشئة الاجتماعية. يحث العرف على تيسير الزواج عدم المبالغة والمغالاة في طلب المهر.	عرف مكتوب تشرف على تطبيقه هيئة العزابة و"حلقة "تيمسريدين" الخاصة بنساء. وتكون على شكل لوائح تنظيمية لمراسيم الزواج. يتناقله الأفراد بواسطة التنشئة الاجتماعية	(-) عرف "سيدي معمر" لامادي شفهي. عرف بني "يزقن "مكتوب ومراقب تشرف عليه هيئة العزابة	

زواج "عرف سيدي معمر"	زواج "بني يزقن"	أوجه الاختلاف	أوجه الشبه
عرف صارم من حيث مبدأ التطبيق.	عرف صارم من حيث مبدأ التطبيق.		(+) يعاقب كل شخص لا يطبق العرف بالإستهجان أو النبذ ونفي.
4-المهر: قيمة المهر "ربعة دورو (لويزة من ذهب) أو ما يساوي 20 سنتيم فهو رمزي. خروف قنطار سميد- دهان-قماش. ويتغلب عليه الجانب الروحي على المادي، وتطبيق الشريعة	4-المهر: نجد نفس الميزة بالنسبة لمهر العروس الميزابية في "بني يزقن"، المهر رمزي مقداره 30 غ من الذهب مع مبلغ بسيط، يقدم الذهب عل شكل مجوهرات إسواره، أو اقراط،		(+) يهدف إلى تيسير الزواج وعدم المغالاة في المهر. - أحكام المهر مستمد من الدين الإسلامي والسنه النبوية الشريفة الذي في الكثير من

زواج "عرف سيدي معمر"	زواج "بني يزقن"	أوجه الاختلاف	أوجه الشبه
الإسلامية الهادفة للحفاظ على التضامن الاجتماعي ومكافحة الآفات الاجتماعية	أوسلسال المهم ألا يتجاوز ما تم الإجماع عليه من طرف العزابة". وقفة العروس مقتضيات العروس، حناء وعطر، قطعة قماش كحل، مرآة، مشط، جبة، حذاء، وملحفة يشترط ان لا تكون من النوع الفاخر، مع مراعاة عدم التنافس.	-	نصوصه يسهل للمرء الزواج، لهذا نجد ان المهر لدي "عرف سيدي معمر" و"بني يزقن" رمزي كدلالة للإقتداء بآدين الإسلامي بسنة النبوية الشريفة.
- مهر سيدي معمر ثابت لا يتغير.	- مهر "بني يزقن" يتغير فهو غير ثابت، يتغير بتغير سعر الدولار.	تشرف هيئة العزابة وتيمسريدين على كل مراحل تقديم المهر، حتى لا تكون هناك تجاوزات.	+ رغم التغيرات التي تحدث في المجتمع بقي المهر محافظ رمزيته وقداسته في عرف "سيدي معمر
ملاحظة: ملاحظة بعد 3 سنوات من بحثنا لاحظنا تغير في المهر حيث أصبحت تقدم مبالغ مالية إلى جانب لويضة ربعة دورو نظرا		- تطبيق احكام المهر في عرف سيدي معمر خوفا	«نظر الأهمية مكانة الولي في ذاكرة الشعبية لدى العائلات المعمرية،

زواج "عرف سيدي معمر"	زواج "بني يزقن"	أوجه الاختلاف	أوجه الشبه
لعوامل اقتصادية (غلاء المعيشة).		من الإصابة بالعنة الولي.	وفي "بني يزقن" لوجود هيئة مراقبة وهي "هيئة العزابة".
5-المراسيم التحضيرية للزواج: الخطبة وتحديد المهر من المراحل الرسمية الأولى الممهدة للزواج.	5-المراسيم التحضيرية للزواج: الخطبة وتحديد المهر من المراحل الرسمية الأولى الممهدة للزواج. تختلف الخطبة في "بني يزقن" عن "سيدي معمر" من حيث طريقة طلب يد الفتاة أو العروس.	- هناك لإختلاف في طريقة طلب يد العروس فا الأم في "بني يزقن" لتخطب لابنها، فهذه الطريقة لازالت إلى يومنا هذا تعد عيبا أن تتقدم الأم بنفسها في طلب البنت لإبنها، وإنما تبعث أحد كبار العائلة كالجدة أو اخالة.	+ تتميز هذه المراحل بالبساطة وتواضع، وغياب مظاهر التفاخر وتباهي، وتكون موحدة لدى الجميع الفقير والغني.

أوجه الشبه	أوجه الاختلاف	زواج "بني يزقن"	زواج "عرف سيدي معمر"
	- - ما زالت العائلات في "بني يزقن" تستمر على المحافظة الزواج الجماعي، منذ القديم في إطار التكافل والتضامن الاجتماعي الذي يميز سكان المنطقة.	6-المراسيم الإحتفالية للزواج(العرس): تشتهر ميزاب بحفلات الأعراس الجماعية في كل قصورها، بما فيها "قصر بني يزقن".	6-المراسيم الإحتفالية للزواج(العرس): لا وجود للأعراس الجماعية في عرف "سيدي معمر"، يحتفل بالزواج بطريقة فردية.
+		تخلو الأعراس الجماعية من مظاهر التبذير، حيث يتم تحضير أكالات ومشروبات محلية كسكس وعصير التمر وشاي.	تحضرات العرس من أكل وشرب تكون بسيطة، عبارة عن أكالات شعبية بركوكس بادوارة يوم الذبح وفي اليوم الثاني يوم تصديره العروس كسكس بالحـم.

زواج "عرف سيدي معمر"	زواج "بني يزقن"	أوجه الاختلاف	أوجه الشبه
7-جهاز العروس: تتمثل في مستلزمات العروس من البسة أفرشة، هناك جزء يحضر من طرف العروس وجزء آخر من طرف العريس وتكون بسيطة بعيدة عن حب التباهي وتفاخر وبروز المكانة الإجتماعية خاصة من ناحية المادية.	7-جهاز العروس: مستلزمات العروس من البسة وافرشة وتكون موحدة بين الجميع حتى لا تبرز الفروق الطبقية بين افراد المجتمع الميزابي.		+ -هذا التواضع للدلالة على الرضا بحياة البساطة في العيش. وقد سارت "العائلات المعمرية" والعائلات الميزابية في "قصر بني يزقن" على مبدأ الرضا بالقليل. "البركة فقليل"
8-المراسيم الإحتفالية وإعلان الرسمي للزواج: هي إعلان رسمي لإنجاح الخطبة فلم يتبقى إلا إشهار هذا الحدث أي الزواج.	8-المراسيم الإحتفالية وإعلان الرسمي للزواج: يتم إشهار الزواج بمجموعة من المراحل.		+

زواج "عرف سيدي معمر"	زواج "بني يزقن"	أوجه الاختلاف	أوجه الشبه
9-قراءة الفاتحة: الطقس الديني يقام في المسجد حاليا أصبح يقام في بيت العروس الخطوبة وتبادل الخواتم بين العروسين حيث يقدم الخاتم على شكل هدية.	9-قراءة الفاتحة: تتم قراءة الفاتحة من طرف أمام مسجد أو الشيخ العشيرة، ولا يحضرها إلا لرجال المقربون فقط فلا وجود لحفلة الخطوبة وتبادل الخواتم بين العروسين حيث يقدم الخاتم على شكل هدية		+ ولا تقدم خلاله لا مشروبات، ولا حلويات وهي أحد أهم الطقوس التقليدية التي يحرص عليها الكل مهما اختلف المستوى المادي، فلا وجود لحفلة الخطوبة وتبادل الخواتم بين العروسين حيث يقدم الخاتم على شكل هدية.
10-عقد القران: يتم على مستوى البلدية لإثبات صحة الزواج بصفة قانونية، ويحضره أولياء العروسين مع	10-عقد القران: يتم على مستوى البلدية ويحضره العريس والعروس، أولياء العروسين مع		+ لا وجود لأي حفل أو وليمة مثل ما هو معمول به في بقية المناطق الأخرى.

زواج "عرف سيدي معمر"	زواج "بني يزقن"	أوجه الاختلاف	أوجه الشبه
العريس والعروس، أولياء العروسين مع شاهدين.	شاهدين من هيئة العزابة.		
11-الحمام: للحمام حضور قوي في المراسيم الإحتفالية للزواج وعادات وتقاليد المجتمع المعمري.	11-الحمام: عادة ذهاب العروس للحمام غير موجودة في عادات وتقاليد الزواج في "بني يزقن". فهي مرفوضة	- فرمزية الحمام تكمن في كونه فضاء للعبور، بالمعنى الأنثروبولوجي، من مرحلة منتهية إلى مرحلة مقبلة، كالعبور من عدم معرفة الذات إلى اكتشافها، ومن العقم إلى الخصوبة، من الدنس إلى الطهارة.	

زواج "عرف سيدي معمر"	زواج "بني يزقن"	أوجه الاختلاف	أوجه الشبه
12--ليلة الحناء: هي من الطقوس الأصيلة للزفاف العربي والمغربي نظرا لرمزيتها واعتبارها مصدرا للتقاؤل بالنسبة للحياة الزوجية للعروس.	12--ليلة الحناء: تحتفل العروس في "بني يزقن بالليلة الحناء مرة واحدة، ويتم التجهيز لهذه الطقوس بشراء كل مستلزمات الحنة من طرف العريس.		+
ويقام طقس الحناء في الليل في بيت العروس فقط أو ما يسمى ب "حنة اليمات حيث نلاحظ غياب طقس الحناء في بيت العريس.		- فالعروس المعمرية تحنى مرتين في بيتها، المرة الأولى من طرف أهلها "حنة اليمات" والمرة الثانية من طرف أهل العريس قبل خروجها من بيتها	+
		أن طقس الحناء يكون عائلي ولا تلام أم العروس لعدم توسيعها الدعوة كما يمنع إستخدام جهاز الموسيقى مع الاكتفاء بزغاريد والأناشيد المحلية بنسبة "لقصر بني يزقن"، ومدايح	

أوجه الشبه	أوجه الاختلاف	زواج "بني يزقن"	زواج "عرف سيدي معمر"
و"قصيدة سيدي معمر" بنسبة للعائلات المعمرية، وترتدي العروس لباسا تقليديا بسيط محتشم مع تغطية الرأس بخمار أبيض أو أحمر.	- -إن التمسك بهذه العادات وتقاليد، هو	13-لباس العريس: يكتفي العريس بارتداء بذلة الزفاف التي تتوارثها الأسر المزابية	

أوجه الشبه	أوجه الاختلاف	زواج "بني يزقن"	زواج "عرف سيدي معمر"
	رمز للتمسك بلهوية والأصالة.	أباً عن جد يرتدي سروال "الدّوّالة" المعروف عند عرب الجزائر بـ "سروال لوبية"، لشكله المتميز الذي لا تلمحه إلا عند الميزابيين. "وفوق" "الدّوّالة" يضع العريس الميزابي ما يسمى بـ "أحولي" وهو نوع من "البرنوس" المصنوع من القطن الرفيع يشترط أن يكون ناصع البياض كرمز للصفاء والنقاء ولا ينسى الميزابي وضع "العقال" فوق رأسه فهو رمز رجولته وإباضيته.	13-لباس العريس: يرتدي طقم أسود وفوقه برنوس أبيض كرمز للطهارة والرجولة.

أوجه الشبه	أوجه الاختلاف	زواج "بني يزقن"	زواج "عرف سيدي معمر"
+ تتميز ببساطة لا متناهية، فلا مكان لمظاهر التفاخر وتباهي.		14- حفل زفاف العروس: يسمى بحفلة "الله أكبر النسوية في قصر "بني يزقن"	14- حفل زفاف العروس: يكلل هذا اليم بحفل في بيت العروس أولاً يسمى "تصديره" في "عرف سيدي معمر".
+ العروس ترتدي في يوم زفافها الزي التقليدي الخاص بكل منطقة. كإشارة إلى التمسك والمحافظة بالماضي العريق، وبالعوادات وتقاليد المتوارثة عبر الأجيال.		15- لباس العروس: ترتدي عروس "بني يزقن" رداء ميزابيا يدعى «تيملحفت» يتميز بألوانه المزرکشة المخلوطة بين اللونان الأخضر والأصفر.	15- لباس العروس: تلبس العروس المعمريّةزيها التقليدي "الملحفة" وبرنوس أبيض فالبرنوس يرمز لرداء "سيدي معمر" ولصفاء.

أوجه الشبه	أوجه الاختلاف	زواج "بني يزقن"	زواج "عرف سيدي معمر"
	- تكون العروس طبيعية فتمنع من استعمال أي مساحيق للتجميل والحلي والمجوهرات ولا يسمح لها بذلك إلا بعد وصولها إلى بيت زوجها وإتمام الدخلة. هذه العادة تعود إلى الثابت الإسلامية اتي تقول أنه لا يجوز للزوجة ان تتزين، إلا في بيت زوجها وله فقط.	16-الزينة: تتم زينة العروس في "بني يزقن" بقليل من «الكحل» والسواك. وتضع الحلي التي يشترط أن تكون من الذهب يمنحها إياها العريس دون تحديد مسبق لنوعية الطقم أو وزنه أو تعدد أجزائه، وتسمى مجموعة الحلي الذهبية عندهم باسم «سرّمية»، كما يتعيّن للعروس أن تضع «الخلخال» في ساقها ويشترط أن يكون من معدن الفضة الخالصة كرمز للصفاء والنقاء.	16-الزينة: لا تتزين العروس بمواد التجميل ولا مجوهرات لأن "العرف" ينص على عدم الزينة كرمز لتواضع وللعفة وصفاء حتى بعد ليلة الدخلة.

أوجه الشبه	أوجه الاختلاف	زواج "بني يزقن"	زواج "عرف سيدي معمر"
	-	17-يوم الزفاف: تلبس العروس يوم زفافها، أو يوم "التتويج" الذي تزف فيه إلى زوجها زيتها التقليدي "أحولي" الذي يرمز إلى مدى تمسكها بعادات وتقاليد تنتقل بعدها رفقة عائلتها إلى بيت العشيرة الخاصة بها، إلى جناح مخصص «الحجبة» في موكب من السيارات في هدوء تام.	17-يوم الزفاف: يتم تحضير العروس دون اللجوء لصالون لحلاقة والتجميل، فمن عادات العرف أن تبقى العروس طبيعية دون زينة أو حلي لتزف إلى بيت العريس في اجواء من الفرحه والبهجة، ولعرف "سيدي معمر" طقوس خاصة عند خروج العروس من بيت أهلها. - تخرج العروس من بيت أهلها وهي تلبس زيتها التقليدي "لملحفة" والبرنوس في يديها ورجليها حناء، وهي حافية القدمين وذلك قبل وقت صلاة الفجر، ويتم نقلها إلى بيت العريس

زواج "عرف سيدي معمر"	زواج "بني يزقن"	أوجه الاختلاف	أوجه الشبه
على ظهر فرس أبيض. متبوعة بزغاريد وقصيدة سيدي معمر.			
عزوف أهل العروس المرافقين لها يوم الزفاف إلى بيت زوجها عن تناول أي شيء أو حتى شرب الماء في منزل العريس قبل أن تتم الدخلة.	وتمنع أم العروس في "بني يزقن" من إرسال الطعام إلى ابنتها خلال لأيام الأولى من العرس قبل ان تتم ليلة الدخلة.		+
18-ليلة الدخلة: يوم الدخلة للعروس "المعمرية" يكون في الليلة الثانية من التحاقها ببيت زوجها، فلا تنام في غرفتها بل في غرفة حماتها على حصيرة من دومة، ولا يأكلون من بيت اهل العريس حتى بعد ليلة الدخلة وتكزن في اليوم	18-ليلة الدخلة: أما العروس الميزابية في "قصر بني يزقن" فتمر بهذه المرحلة في نفس الليلة التي تزف فيها إلى العريس.	يكمن الاختلاف بينهم في طريقة إتمام مراسيم ليلة الدخلة. فالعروس المعمري يدخل على عروسه في اليوم الثاني، والعروس الميزابي في اليوم الأول.	+
			-تشكل ليلة الدخلة المحور الأساسي لمراحل الزواج لدى العائلات "المعمرية" و"بني يزقن" فهي طقس عبور أو مرور تنتقل من خلاله المرأة من عالم العزوبة إلى عالم

زواج "عرف سيدي معمر"	زواج "بني يزقن"	أوجه الاختلاف	أوجه الشبه
الثاني، بعدها يمكنها أن تتزين وتلبس ما أخذته معها من ألبسة في جهازها تتصدر مرة ثانية في بيت زوجها.			الخصوبة، وهي ليلة يختبر من خلالها الزوجان، لأنهما مجبران على أن يبرزو برهان العذرية للمرأة، والقدرة الذكورية رجل وهذا رمز للرجولة في الوسط الاجتماعي.
19- طقس لحزام: هذا اليوم يلي صبحي، تلبس العروس لباس تقليدي بحضور أهلها واقارب زوجها ومن عادات هذا الطقس أن يقوم ولد صغير بتحزيمها 7مرات وهو رمز لرغبة في إنجاب الذكور. بعدها لبد من القيام بطقس الزيارة" للولي" بعد الزواج	19- طقس لحزام: لا وجود لطقس لحزام في مراسيم الزواج الخاصة ببني يزقن، فالعرس ينتهي مع ليلة الدخلة.	- ويرمز هذا الطقس إلى تباهي النسوة، وافتخارهم بعة العروس وطهارتها، كما هو حفل تثبت فيه النساء مكانتهم في المجتمع لإثبات الذات النسوية في مجتمع ذكوري يمتاز بسلطة والقوة.	

أوجه الشبه	أوجه الاختلاف	زواج "بنبي يزقن"	زواج "عرف سيدي معمر"
	ويرمز هذا الطقس لدخول العروس في الحياة الزوجية، واستعدادها لمواجهة وتحمل المسؤولية.		أو ليلة الدخلة حيث تهدي لملحفة للولي مع تقديم مبلغ رمزي لحارس الضريح للبركة، وتوزع حلوة الروينة على الحضور.

خلاصة:

من خلال هذا الفصل حاولنا أن نكشف عن الواقع الحقيقي لعملية الزواج، وكيفية الإحتفال به في "عرف سدي معمر" و"بنو يزقن"، وما تحمله المراسيم التقليدية من بصمة إجتماعية وثقافية داخل صيرورة التطورات التي يعرفها المجتمع، وذلك بآء عطاء وصف كلي ودقيق لجميع المراسيم التقليدية، وطقوس الموروثة في "عرف سدي معمر" و"بنو يزقن" لمعرفة أوجه التشابه والإختلاف الموجودة بينهم.

رموز ووظائف عادات وتقاليد وطقوس المراسيم الاحتفالية الزواج :

1-رموز العادات والتقاليد الإحتفالية للزواج:

إلى جانب الطقوس الموروثة هناك بعض الرموز التي تحمل دلالات معنوية، فالرموز عبارة عن علامة أو إيماءة تنتقل عن طريق تداعي فكرة، وتستثير شعورا، وأي اتصال يحدث يبين الأشخاص سواء كان عن طريق اللغة أم عن طرق أخرى غيرها كالرموز الجسدية، لابد من إستخدامها ومن النادر أن يستطيع المجتمع أن يعيش بدونها. ومن بين أنواع الرموز المعمول بها نجد الرموز اللغوية فهي تعتبر همزة وصل بين أفراد المجتمعات، ووسيلة إتصال بين أفراد المجتمع الواحد، والتي من خلالها يعبر عن أفكاره، وقيمه فهي تعتبر حجر الزاوية من كل تراث إجتماعي وثقافي، لأنها الوسيلة الأولى للتخاطب وتقاوم وتبادل الآراء، وهذا ما ينطبق على الصيغ اللفظية لعقد القران لأركان الزواج في الشريعة الإسلامية، وهو القول الذي يصدر عن الزوج أو وكيله لطلب الزواج، كقوله "زوجني إبتك" ورد بالمقابل من طرف ولي أمر الزوجة مع إستكمال باقي الشروط، فهذه الصيغة اللفظية تعتبر رمز من رموز الارتباط بين الطرفين، ووسيلة لتعبير عما يدور بفكر الإنسان مثل الشعر والغناء والمدائح الدينية مثل أغنية "سيدي معمر" في مراسيم الحنة والزفاف للعروس المعمرية والمدائح الدينية في "بني يزقن".

وهناك أنواع أخرى من الرموز مثل الرموز الجسدية كالرقص، وحركات اليد مثل تكتيف اليدين في عرف "سيدي معمر" "مسلمين مكتفين" كرمز للخضوع والطاعة التامة للولي، إضافة إلى رموز أخرى مثل التي تستخدم في مناسبات الخطبة والزواج، التي تحمل معاني مختلفة فخاتم الخطوبة هو رمز للترابط بين العروسين ويمثل بنسبة للخطيبة، حصنا منيعا امام أي شخص يود التقرب منها.

وفي الدلالات اللغوية نجد "الزغاريد" أو "تول ويل" هذا الموروث الشعبي لم يوجد بصدفة بل تناقلته الأجيال عبر الزمن، لا يمكن أن يتم عرس إلا بالزغاريد فهي تمثل الإعلان الرسمي لقيام مراسيم الأعراس، و"زغاريد" شائعة بين النساء وذلك بغية الإشهار والإعلان عن الزفاف أو تعبيراً عن فرحتهن بزفاف قريب، وهي لا تقتصر على الأعراس فقط بل في مناسبات أخرى هي تعبير عن الفرح ومن أبرزها الختان وزغاريد الحج، والعودة من السفر وفي اوقات الحرب تعبر النساء عن مشاعر القوم من خلال الزغاريد، كوصول جثمان الشهيد ولزغاريد دلالات نفسية واجتماعية، فهي زاخرة بالمعاني والعواطف.

بالإضافة إلى هذه الدلالات هناك أيضا بعض الطقوس التي تحمل في دلالاتها تمثلات، وهذه التمثلات تحمل في طياتها مجموعة من تبريرات الغيبية، وما وراء الطبيعة فهناك بعض الطقوس التي لاتزال تحافظ على وجودها ضمن المراسيم الإحتفالية، فنجد طقوس الحناء تحتل جزءا أساسيا من الطقوس الإحتفالية التي ترافق الزواج ،وتتال أهميتها البالغة من حيث أنها تتجاوز حدود التزين الظاهري لأيدي وأرجل النساء ، لتأخذ بعدا سحريا فإن الحناء خلقت في حياة الناس جملة من الطقوس والتقاليد السحرية، تنتمي إلى ماض محملا بالرموز والعلامات، وإستمرار الحضور القوي للحناء اليوم مرتبط إرتباطا عضويا بإستمرار تداول القيم الرمزية، التي تمزج الدين بالطقوس لتمنحها نوعا من القداسة في الثقافة الشعبية.

ومن المعتقدات المرتبطة بالحناء والزفاف، إشعال الشموع المرافقة لهذا الطقس، كما يتم إشعال الشموع للعروس في "عرف سيدي معمر" توضع فوق رأسها، وفي "بني يزقن" لإشعال الشموع على اساس أنه يمثل النور الذي سيضيئ حياتهما الزوجية، إعتقادا بأن نور الشموع يطرد الأرواح الشريرة يحمي العروس من العين والحسد، بعد أن تجف الحناء العروس وترميها في حديقة بها نبات، وذلك تمثلا بأن الحناء كتلك المودة والحنان الذي يرمى على التراب الذي يمثل الخصوبة، وإنجاب البنين والبنات.

2- خصائص ووظائف عادات وتقاليد الزواج في "عرف سيدي معمر" و"بني يزقن":

يكشف الدور الوظيفي لممارسة العادات وتقاليد في أي بناء ثقافي خاص بالمجتمع عن حقيقة العلاقة بين نمو مختلف الظواهر الثقافية وتطورها وبين العمليات الثقافية المتضمنة في الأنماط السلوكية التي يمارسها الأفراد الحاملين لهذه الثقافة، ولما كان البناء لأي مجتمع من المجتمعات يتعلق بتلك المجموعة من القيم والمعتقدات والأفكار وموجهات السلوك التي يتشربها الأفراد في حياتهم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية. فقد تضمن البناء الثقافي للجماعات المعمرية والميزانية "بني يزقن" على الكثير من العادات والتقاليد التي ينظر إليها على أنها تمثل جوانب من الثقافة الكلية للمجتمع، في استمرار النمط الثقافي المتميز داخل بنية تلك الجامعات وذلك لما تنطوي عليه من أدوار ووظائف بنائية هامة يتأثر بها مجمل البناء الثقافي في حالة عدم ممارستها أو ادائها، وقد يسبب ذلك أحيانا اختلال في جوهر تلك الثقافة نظر الارتباط تلك الممارسات، والسلوكات بالحياة العائلية والبناء الاجتماعي، وحتى ان دخلت بعض العصرنة على تلك الممارسات فإنها مستمرة لحفظ الكيان الثقافي والاجتماعي، وبالتالي الحفاظ على الهوية الثقافية والاجتماعية.

فيشعر الفرد أن الطقوس والممارسات المشاهدة، أدوات فعالة في يد الفاعلين الاجتماعيين أدوات يتلاعبون بها ويستعملونها لتخدم مصالحهم واحتياجاتهم الآنية أو البعيدة الأمد أدوات يستثمرونها ويراهنون من خلالها وبها، على تحقيق الإنتماء وتقلد مكانة اجتماعية من خلال الإبقاء على العلاقات العائلية القائمة إنها أداة لحفظ الوضع الاجتماعي السائد، فمن خصائصها الإلزام والجبرية فهي تمارس سلطة على الأفراد فهم ملزمون للقيام بها، والخضوع لها خوفا من العقاب فتنشئة الاجتماعية للأفراد هي التي تغرس الخوف والطاعة في النفوس.

هكذا نجد أفراد المجتمع من الأهل أو العائلة أو المقبلين على هذه المرحلة يعطون أهمية بالغة لهذه العادات وتقاليد وللمظاهر المعنوية المصاحبة لها وكيفية الاحتفال بها، فيلزمون

أنفسهم بمثل هذه الممارسات فلا تكاد تنتهي أول خطوة والمتمثلة في الخطبة على أهميتها حتى يتم الانتقال إلى المراحل اللاحقة بالتنفيذ والالتزام بالشروط وطقوس المعقدة، فنجد العائلات وعلى اختلاف مستوياتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية تلتزم بتنفيذ كل الشروط، وتصر على إقامة المراسيم بتتابع هذه الشروط وكأن مناسبة الزواج هي فرصة للعائلة لتبرز فيها مدى تمسكها بهويتها الثقافية.

إن كل ممارسة إنسانية خاصة إذا كانت جماعية تهدف إلى شيء ما، ثم إن هذه الطقوس هي نتاج المجتمع وأفراد هذا المجتمع الذين يعملون على الحفاظ عليها أو التخلي عنها واستمرار نفس الطقوس ونفس الممارسات مضمون بتمسك الفاعلين الاجتماعيين بالقيم والرموز والدلائل التي تحملها.

وإذا وافقنا كازنوف " Caze neuve.J " في كون كل ممارسة ذات مغزى اجتماعي، إن استمرار كل ممارسة طقوسية وتكرارها دال على استمرار وظيفتها في المجتمع واختيار الفاعلين الاجتماعيين لممارستها دون أخرى أو إعادة تكييف بعض الممارسات دون أخرى دلالة على أهمية الوظيفة التي تؤديها حتى وإن كانوا غير واعين بذلك.

4-رموز العادات والتقاليد الاحتفالية للزواج:

تمهيد:

يتميز المجتمع الجزائري بتنوع عاداته وتقاليده، وعراقتها واختلافها من منطقة لأخرى في المناسبات المختلفة كزواج، ويبرز الاختلاف في الطقوس والمراسيم الاحتفالية التي تبقى في صراع دائم بين ما هو تقليدي وما هو حديث، وفي دراستنا هذه حولنا تسليط الضوء على ما تمثله هذه الطقوس في ذهنية الإنسان العربي والجزائري من رمزية خاصة لإتصال هذه الطقوس بجوانب دنية وبنواحي اسطورية لذلك تبقى عاداتها وتقاليدها الأساس الذي يحرص أي مجتمع الحفاظ عليه وتكيفه مع ما يعرفه من تغيير.

5-رمزية العادات وتقاليد في الأسرة المعمرية والميزابية الجزائرية:

إن العادات وتقاليد الإجتماعية ماهي إلا إمتداد للماضي تتوارثها الأجيال فيما بينها وتحافظ عليها وتمثل العادات والتقاليد عند مجتمع البحث "العائلات المعمرية و"بنو يزقن"، الأساس الذ يربطهم بالماضي فممارسة هذه العادات وتقاليد ما هو إلا ولاء وطاعة وتقديس للأجداد.

فالعادات الإجتماعية تقوي الصلة بما هو قديم، وتربط الفرد بآبائه وأجداده وتجعله دائم الارتباط بهم يسير على سلوكا تهم ويحافظ عليها، وهذا ما يؤكد مجتمع البحث فالعادات الإجتماعية والتقاليد ترمز إلى الماضي والأسلاف، وممارستها هو رغبة منهم في المحافظة على التراث المتناقل، الذي يوحدهم ويوحد ذهنياتهم ويجعلهم مرتبطين، ومتماسكين مما يدل على ان العادات تكون الرباط الإجتماعي وتزيد تماسكه.

فإستمرارية العادات ترجع إلى كونها مترسبة عن الأجداد ويقول تونيس " "ما مسايرة العادات ومطاوعتها إلا مجرد حالات خاصة للطاعة والمحاكاة، التين عن طريقهما يتبع الصغار

الكبار، والأتباع اسيادهم ويتعلمون منهم، وهذا قانون من أهم قوانين الحياة الاجتماعية بل هو روح التقاليد في الحياة.

فممارسة العادات وتقاليد والحفاظ عليها ناتج عن تقديس الأحياء لموتاهم، وهذا ما لاحظناه عند أتباع "عرف سيدي معمر" رغم غياب الجانب المادي "للولي"، يبقى الجانب الروحي حاضر في ذهنيات أي تبقى سلطته موجودة، حيث يكون هذا التقديس مزيج من الإعجاب والخوف، بأعمال الأجداد مما يحتم القيام بها، والخوف من تركها باعتبارها وسيلة ضبط إجتماعي ونيل الجزاء والعقاب لذلك يمثل الأسلاف الرموز الي تتجسد في الذاكرة الجمعية والتي تسير بطريقة غير مباشرة وفق قانون لامتناهي من القيم والمعايير.

وحتى يضمن الأفراد انتمائهم لهذا المجتمع عليهم ان يعملوا بهذا القانون الغير مرئي الموجود في المجتمع فليس لهم الحق في رفضه، بل ينبغي عليهم أن يتبنوه بحكم السلطة الخفية التي تتحكم فيه وهي سلطة الأجداد، أما في "بني يزقن" إلى جانب هذه السلطة الخفية هناك سلطة مادية تراقب سلوكات الأفراد تتمثل في "هيئة العزابة" التي تسهر على استمرار العادات وتقاليد بمراقبة كل تجاوزات، فهي بمثابة السلطة الضبطية المادية للعادات وتقاليد وتعاقب كل من يرفض تطبيقها بالإستهجان، والنفي والطرده من الجماعة.

إن الأسلاف ليسوا فقط رموز في المجتمع، رمزا لسلطة ولكن ايضا منبع لكل سلطة وكل حاجة للخضوع، لذلك فإن في مجتمع البحث ممارسة العادات وتقاليد ما هو إلا خضوع لسلطة الأجداد ليس خوفا منهم، بقدر ما هو تقديرا لتقاليدهم، ولأن بنية المجتمع تفرض ذلك.

وبهذا نستطيع القول ان الثقافة والتراث مصطلحين متلازمين لا يستغني أحدهما عن الآخر وما العادات وتقاليد الانتاج عنهما، ووليد ما يتوارثه الأجيال ويحافظون عليها وفي الحقيقة

ماهي الا انعكاس لهويتهم الاجتماعية وثقافية، لذلك هذه العادات وتقاليد تشكل على مرور الزمن قوة وسلطة المجتمع غير المدونة، فتعبر عن الروح الجماعة ويعمل الأفراد على المحافظة عليها لأنها تربطهم بماضيهم وأجدادهم، فهي تشكل الأساس الأول الذي يقوم عليه التراث في أي مجتمع من المجتمعات.

6-مراسيم الزواج استثمار اجتماعي:

حاولنا مقارنة هذه المراسيم كما تبدو في الواقع وتبيان كيف أنها تؤلف كلا متتاليا ومتكاملا ذا معان عميقة تعبر عنها رموز وتتخللها طقوس وحفلات. كان من الصعب القيام بحوصلة وتحليل لهذه الممارسات الاجتماعية التي هي في حراك مستمر. فهذه المراسيم هي حقيقة من السهل عيشها ولكن من الصعب دراستها وتحليلها، فكل ما تم وصفه يكون نسقا خاصا بكل مظاهره ومكوناته وأحداثه إنها سيرورة خاصة بل إنها كل معقد يتكون من مجموع المظاهر العائلية والاجتماعية. فدراسة المراسيم الزوجية وعاداتها وتقاليدها وطقوسها بصفة عامة، ليست عملية من أجل التسلية والفرجة بل تعد منفذا من المنافذ الأساسية للدخول في صميم المجتمع وهو في حراك داخل فضاءات مادية وومعنوية تفسح المجال للاقترب من حقيقة النظام الثقافي والاجتماعي السائد في مجتمع البحث وفي ما يلي ملخص عن أهم نتائج الدراسة:

7-إستعراض للعادات وتقاليد والهوية الثقافية:

رأينا أنه بمجرد الانخراط في المؤسسة الزوجية خاصة عندما يتعلق الأمر بالتفاوض والتشاور لطلب أو قبول الزواج ثم الاحتفال بالمصاهرة حتى وإن اختلفت شكلا فإننا ننخرط في سيرورة مختلفة ومتعددة لكن في الأساس فإننا نواجه عددا من الثوابت ولاحظنا في

الوقت ذاته أن السعي في الحفاظ على هذه التقاليد والعادات واستمرارها من أكثر السمات وضوحاً.

أهم ما يميز هذه المراسيم الزوجية، هو الطابع الاحتفالي التقليدي والأصالة مع مظاهر من التعاون والتضامن الاجتماعي الفعلي أو الرسمي بين أفراد العائلة وبين أفراد الجماعة، بل تبدو هذه المراسيم كمحرك لاستثارة مشاعر القرابة والعلاقات العائلية.

تكتسي هذه المراسيم الإحتفالية طابعاً من التواضع والبساطة وعدم التفاخر، وذلك للإقتداء بتعاليم الدين الإسلامي ، إنه عرض مسرحي بأتم معنى الكلمة أو استعراض عائلي لأهم عادات وتقاليد الأجداد - spectacle - فالصمت المصاحب لأي زواج يثير تساؤلات عديدة، وكأن أصحابه يعترفون ضمناً برغبتهم في التمسك بهذه القيم والعادات قد يفسر على أنه وسيلة وقدرة الفاعلين على توفية شروطه المادية، فالقناعة كبيرة بأن نجاح الزواج لا يكون إلا مادياً عن طريق العرض والاستثمار المادي بل يمكن أن يكون ناجحاً اجتماعياً رغم مهره الرمزي، فمشروعية الزواج هي مشروعية دينية واجتماعية أول وقبل كل شيء، وهو ما قد يفسر لحد ما الإحتفال مع تمسك وإلزام الأفراد بتطبيق عادات وطقوس كل مرحلة من مراحلها، وقد يفسر أيضاً اصطباغ بعض الممارسات بأهمية كبيرة مثل المهر ووليلة الحناء وليلة الدخلة.

8-فضاء خاص للتنفيس النسوي:

إن هذه المراسيم فضاء يسمح فيه بتجاوزات لا يمكن حدوثها في الحياة اليومية العادية فضاء للتنفيس والبروز والتزين خاص بالنساء، باختصار إن هذه المراسيم الاحتفالية آلية هامة لتفريغ المكبوتات واختراق المحظورات. إنها مناسبات هامة بالنسبة للنساء (الأمي العروسين بصفة خاصة) فهي الفضاء الوحيد الذي تعبر فيه بصورة كاملة عن وجودهن،

وتتركز فيه بصمتهم «فالنساء معترف بهن في المهام والاحتفالات العائلية» لذا من المهم بالنسبة لهن نجاح هذه المراسيم «فهو المكان الوحيد الذي يسمح فيه لهن بالبروز علنيا والتظاهر العام، فالدور النسوي يطغى في الأعمال المتعلقة بهذا الحدث الاجتماعي الهام على مستوى الطرفين، فنساء لهن دور فعال في مختلف المراحل الاحتفالية، لكن هذا ليلغي السلطة الذكورية.

لكن في الوقت ذاته يتضح للملاحظ لطقوس الزواج وهيجانها وترتيبها أنها آلية منظمة ومعدلة للمجتمع هذا المجتمع الذي وضعها حفاظا على توازنه واستمراره وسلامته، إنها محاولات جادة من أجل استدامة للقيم الدينية، والاجتماعية لذا فقد نجدها تعكس أهم القيم المجتمعية السائدة والتي تتمثل في البعد عن الجانب المادي للزواج والتضامن، التعاون وتماسك، الشرف، والطهارة. إنها محاولة تمثّل للحياة الاجتماعية كما هي في الواقع، تثبيت للشرف الفردي وتأكيد للشرف الجماعي كما أنها تعبير واضح وصريح عن دور ومكانة كل فرد داخل المجتمع خاصة فيما يتعلق بمسألة الأدوار بين الرجل والمرأة. وهي فترة هامة ونشطة من حياة الأفراد والجماعات تهدف لفحص طبيعة العلاقات الاجتماعية والعائلية مع محاولات جادة للسيطرة عليها وتسييرها، إنها مناسبة لفحص العلاقات الداخلية بين أفراد العائلة الواحدة، ووسيلة من أجل استمرارية وحدة العائلة واستقرارها.

وإن كانت تظهر كمحاولة لتأكيد القيم الجماعية على حساب القيم الفردية، ومحاولة لبلورة العلاقات التقليدية المثلى في نظر المجتمع في الحاضر والحفاظ على العائلة وتمثلاتها فإنها أيضا أرضية خصبة لبروز الإنسجام بين جيل الأبناء وجيل الآباء ودمج بين ما هو تقليدي وما هو معاصر. وقد برز جليا أن الزواج ليزال الوسيلة، التي تستعملها العائلة لإعادة إنتاج شروط وجودها واستمراريتها ووحدتها لكن يمكن أن يكون فضاء رحبا تظهر فيه، جميع شعائر وطقوس هذه المراسيم أو خصوصيات الحفل وبقاء بعض الفاعلين وللحفاظ

على الطقوس هي مؤشرات لرغبة في التمسك بالأصالة وتقاليد الماضي لما تحمله من رموز دينية وروحية واجتماعية. وإن كانت العائلة لا تزال المسيرة الأساسية لهذه المراسيم تعبيراً عن الرغبة في السيطرة على الأبناء التي تبرز جلياً من خلال الاختيار للزواج والمصاريف وبالتالي حاجة الأبناء للعائلة.

9- البحث عن الانتماء الاجتماعي:

إن الانتماء الاجتماعي هو الذي يحدد طبيعة علاقة الفرد بالجماعة في كل زمان ومكان وتبرز أهمية الانتماء على المستوى الاجتماعي، باعتباره العمود الفقري للجماعة وبدونه تفقد الجماعة تماسكها، وتماسك الجماعة هو انجذاب الأعضاء لها والذي يتوقف على مدى تحقيقها لحاجات أفرادها فطالما أن الجماعة تحقق حاجات الفرد، فيمكنها أن تؤثر على أفكاره وسلوكه عن طريق تلك الفوائد التي يحصل عليها من وراء انتمائه إليها، وبفضلها يحقق رغباته الشخصية والاجتماعية التي يعجز الفرد عن تحقيقها بمفرده، كما أن شعوره بالانتماء إلى جماعة تتقبله ويتقبلها، تعطيه الإحساس بالأمن والطمأنينة فكل جماعة لها معاييرها وقيمها التي يتحتم على الفرد الذي ينتمي إليها اكتسابها، وعند ملاحظة هذه المراسيم وتتبعها خارجياً يتضح لنا أن اختيار جماعة البحث للقيام بهذه العادات وتقاليد وطقوس في "عرف سيدي معمر" و"بني يزقن" ليس عشوائياً، فعلى الرغم من أن هذه الحالات ذات أصول جغرافية مختلفة فهناك تجانس في طريقة أدائها للمراسيم الخاصة بالزواج.

ويمكن تفسير ذلك في الرغبة إلى الانتماء إلى الجماعة من خلال أداء عادات وتقاليد الجماعات المحلية التي ينتمون إليها، وهو ما يمكن أن نفسره في الرغبة في التمسك بالأصل وعادات الأسلاف، والأهم من هذا تملكهم الكلي لطريقة الاحتفال الخاصة بهم، فهي تقاليدهم وعاداتهم حسب تعبيرهم، فهي ليست ضد الثقافة الكلية بل هي ثقافة فرعية ليتنازلون عنها

تحت أي تأثير فهذا دليل إلى الانتماء إلى ثقافة فرعية خاصة، وعليه فإن هذه المراسيم الإحتفالية فرصة لإثبات الذات الإجتماعية، والهوية الثقافية فإحترام العادات وتقاليد الزوجية يترجم برغبة بالتمسك بالأصل، فإشتراك الأفراد في نفس التقاليد يولد بينهم الشعور بالوحدة والمصير المشترك، وبالتالي الشعور الجمعي وتتكون داخلها ما يسمى "بروح الجماعة" فحسب "دوركاييم" القيام بتقاليد يولد في الفرد الشعور بالانتماء الى الجماعة.

10- البعد السوسيو ديني لعادات وتقاليد الزواج في "عرف سيدي معمر" وبني يزقن:

توصلنا في بحثنا هذا إلى إعتبار أن استمرارية عادات وتقاليد الزواج في "عرف سيدي معمر" "وبني يزقن" مازالت مستمرة إلى اليوم، ففي ممارسة طقوسياتها نوع من الإشباع لحاجات روحية وسيكولوجية وغيرها، فبالنسبة للعائلات المعمرية الحصول على بركة الولي ورضاه قبل الزفاف طقس ضروري خوفا من عقاب "الولي" ولإصابة بمكروه او بلعنة ، والاستهجان والتخلص من سوء الطالع عوامل معبرة عن هذا التواصل بين ضريح الولي وأتباعه من خلال طقس "الزيارة" والمحاولين من خلاله تجاوز إغترابات الوضع الإجتماعي والإقتصادي، إلى البحث عن بديله في ثايا الأضرحة وإحتفالياتها لأجل تحقيق نوع من الطمأنينة والراحة ولو ظرفيا، وهذا ما يكسبها صفة القدسية والإحترام.

فمجمال الرؤى بمنطقة "شرشال" تتفق إلى حد بعيد أن العادات مستمرة الوجود لأنه يتوارثها الأجيال في إطار التراث الثقافي، هي غير مكتوبة بل تحتفظ بها ذاكرة الناس، وهذا ما يكسبها صفة القداسة باعتبار هذا الولي "سيدي معمر" كرمز مقدس وضريحه كنقطة مركزية في حلقات تواصلها وفي تدينها الشعبي وبالتالي تصبح الحاجة للوسيط والبحث عن الطمأنينة والراحة والهوية ذات معنى واحد، في لحظة تواجد هم خلال "أداء طقوس الزفاف لتطبيق العرف. "فالولي" رمز مقدس وجزء لا يتجزأ من قداسة الله ورسوله وشرفهم وبالتالي فطاعته واجبة كبقية الفروض الدينية والإحتفالية أمر ضروري في كمال تدينهم أكثر من

ذلك فقد أصبح "الولي" واحتفالته من الدين الإسلامي والإدعاء بغير ذلك من المنظور الشعبي لهؤلاء هو خروج عن الملة فالولي في التمثلات الشعبية لهؤلاء من سلالة النبي (ص) الشريفة وغايته في الدنيا دوما تكون الإسلام.

أما بالنسبة لعادات وتقاليد الزواج في "بني يزقن" لا توجد اختلافات كبيرة وجوهرية بين المذهب الإباضي وعرف "سيدي معمر" في قضية الزواج من حيث أحكامه ونصوصه فهم يسرون على ما شرع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، نبذ المغالاة في المهور والمباهاة والتفاخر والإسراف التي تضر ببعض الفئات الاجتماعية، وهذا راجع لتمسكهم الشديد بالقيم الدنية وأصالتهم، وحرص هيتهم العرفية "هيئة العزابة" على المراقبة كونها السلطة العليا في المجتمع الميزابي فإن أعضاء الحلقة يتابعون القضايا الاجتماعية بحضورهم الأفرح وإشراف عليها، لذا يضع "عزابة قصر بني يزقن" بمساعدة الأعيان ورؤساء العشائر والمجلس النسوي لوائح تنظيمية لمراسيم الأعراس منذ الخطبة إلى نهاية العرس، حيث يلزم بها كل من يرغب في الزواج وتعاقب الفرد الذي يتخذ سلوكا غير مقبول، يجعله منبوذا ومرفوض أو "ينفى أو يطرد excommunier" من الجماعة ويعتبر ذلك ناتج عن عدم قدرته على الاندماج في مجتمعه.

وبالتالي فمسألة إستمرارية تطبيق "العرف" اليوم يراد منها في مقام أول تحقيق نوع من الارتباط بتراث الأجداد ومن ثمة التشبث بهوية مميزة، وجمع قدر المستطاع هذا العرش الذي فككه الحراك الاجتماعي وسياسات التحديث.

بصفة عامة ومن خلال هذه المحاور ندرك ان هذه الثقافة الفرعية لعادات وتقاليد الزواج في محتواها الوظيفي والقيمي والرمزي، وأدوارها في حياة هؤلاء الجماعات الروحية منها والمادية تسعى لنيل الرضا والقبول من المجتمع، وهذا يمكنه من ضمان مكانته في مجتمعه وتبين لنا في ذلك جزء من سرها الاجتماعي والثقافي والديني والنفسي والإقتصادي

لأهل المنطقتين ، فالكل يبحث عن ذاته وعن هويته عن إثبات وجوده وتميزه ولكل في ذلك طريقه الخاصة، ومن كل هذا يبقى الاعتقاد الشعبي مستمرا في تقديسه "للولي" والقيم الدنية الإسلامية عامة والإباضية على وجه الخصوص بكل هيئاتها العرفية حلقة العزابة وغيرها وتبقى مشدودة إلى هذه الثقافة الفرعية برغم الحداثة التقنية والمعرفية فهدفها واحد هو حماية كيان المجتمع وحفظ تماسك أفرادها.

الإستنتاج العام:

قد توصلنا من خلال بحثنا الذي يدرس الثقافة الفرعية لزواج بين "عرف سيدي معمر و"بني يزقن" من الجانب الخاص بالعادات وتقاليد الخاصة بالمراسيم الإحتفالية للزواج، إلى تسليط الضوء على مؤسسة اجتماعية هامة مثل الزواج وهي في أوج تفاعلها وحركيتها، حاولنا الكشف من خلال المراسيم الزوجية عن أوجه من العادات وتقاليد، وطقوس والأحداث العائلية وهي في تفاعل واحتكاك مع الواقع ومع الآخرين وأوجه من الممارسات الاجتماعية.

لم يكن هدفنا فقط القيام بجدد لكل ما يحدث خلال العملية الزوجية من طقوس وحركات وأفعال منذ عملية المشاورات وصولاً إلى الإحتفال، حاولنا من خلال هذه الدراسة تحليل ما يحدث خلال المراسيم الزوجية، والكشف عن السر الثقافي والاجتماعي اللذين يجعلان العائلات تصر على مثل هذه الممارسات بعبارة أخرى إبراز دور هذه المراسيم وإبراز كيف أن الطقوس والممارسات المشاهدة، أدوات فعالة في يد الفاعلين الاجتماعيين أدوات يتلاعبون بها ويستعملونها لتخدم مصالحهم واحتياجاتهم الآنية أو البعيدة الأمد أدوات يستثمرونها ويبرهنون من خلالها وبها على تقلد مكانة اجتماعية وتحقيق الإنتماء من خلال الإبقاء على العادات وتقاليد القائمة.

إن هذه الإحتفالات التي يقيمها الناس في مناسبة الزواج تعد في واقعها نوعاً من الممارسات الشعبية التي تتصف بالمظهر الرسمي وهي كلها عبارة عن إشارات ورموز تبلورت حول قيم دينية وروحية ومعان وأحداث لا يمكن للأفراد التخلي عنها بل يقومون بترجمتها وإعادتها، وتكرارها ونقلها من التجريد إلى الواقع من خلال خطاب سوسيولوجي يتمثل في عملية التنشئة الاجتماعية.

أظهر بحثنا الميداني نتائج كثيرة تعكس واقع المجتمع الجزائري المتنافرة (المتميّزة) أحيانا، والمتشابهة أحيانا أخرى وكذا الثقافة الفرعية التي تميز مناطق «عرف سيدي معمر» و«بني يزقن» من خلال العادات وتقاليد وطقوس الخاصة بالمراسيم الإحتفالية للزواج، ومن النتائج الهامة:

توصلنا الى أن الإحتفال بالزواج في «بني يزقن» و«سيدي معمر» يحمل في ثناياه طقوس ومراسيم ورموز تؤثر في الأفراد فتجعلهم يتجاوزون عاطفيا مع ما تتضمنه من أفكار، وما تثيره من صور ذهنية للتقارب والتماسك والتضامن الإجتماعي من جهة، ومن جهة أخرى فرصة لإثبات الذات الجماعية، وإثبات الهوية الثقافية.

إن ما شدّ انتباهنا من خلال انتقالنا ومعاينتنا لواقع عائلات «عرف سيدي معمر» وعائلات «بني يزقن» أثناء ممارستهم للمراسيم الإحتفالية للزواج هو أن القيم الاجتماعية السائدة مستمدة من الأعراف والعادات والتقاليد والقيم الدينية المستمدة من الدين الإسلامي التي تتميز بها كل منطقة تحت الدراسة التواضع ولبساطة وعدم الإسراف والمغالاة خاصة تلك التي تتعلق بالمهر، وبمراسيم الزواج، كالخطبة والمهر واللباس، الحلي، الأطباق أو الوليمة...إلخ.

إن هناك في نفس الوقت تشابه من ناحية القيم والمعايير والتصورات الفردية والجماعية التي تنعكس في سلوكياتهم داخل الأسرة هذه القيم مستمدة أساسا من الدين الإسلامي وتصب كلها في نظرة واحدة أهمية الأسرة وقداية الزواج، إلتمسنا هذا من خلال مراسيم الخطبة التي تتميز بالبساطة وعدم المغالاة في المهر، يتغلب عليه الجانب الروحي واللامادي وذلك تأكيدا على قيمته الدينية، ليس وسيلة لتباهي وتفاخر مثل ما هو معمول به في العديد من مدن الجزائر. فالمهر هو ثمن تكريم وإعتراف بمكانة المرأة فهو يسير وفق السنة النبوية الشريفة والدين الإسلامي كونه شرطا أساسيا في الزواج.

تحدث المصاهرة عادة في "بني يزقن" من أسر معروفة بالتربية والأخلاق، والانتماء لنفس المذهب الديني (الإباضي) ونفس العشيرة أي زواج داخلي **Endogamie** من نفس المنطقة أو المكان الجغرافي.

- أما العائلات المعمرية فلم تعد المصاهرة عندها تقتصر على الزواج الداخلي أو من نفس المنطقة أصبح هناك نوع آخر من الزواج، المتمثل في الزواج الخارجي **Exogamie** خارج القرابة بشرط أن يتم تطبيق العرف خلال مراسيم الزواج.

- إلتمسنا أهمية التنشئة الاجتماعية بما أنها الحارس الوحيد على إستمرار وبقاء العادات وتقاليد وذلك من خلال نقلها إلى أفرادها حتى يتمكنون تمثيلها في سلوكهم مما يساعدهم على حفظ توازن الجماعة وتماسكها بإشراك أفرادها في هذه العادات عن طريق خطاب سوسيولوجي تؤد به عملية التنشئة الاجتماعية فهو يكتسب انتماء للجماعة من خلالها.

ومن خلال التنشئة الاجتماعية يتم غرس الخوف والطاعة في نفوس الأفراد، مما يدفعهم الى الخشية من الخروج عن تعاليمها، وهكذا فإن الأسرة تضمن امتثال الجيل الجديد للأسلاف خصوصا العادات وتقاليد المتعلقة بالمعتقدات، فلذلك هم يشتركون في نفس التصورات والمشاعر الوجدانية، والتي يدرجونها في ظل ما هو مقدس.

وهكذا فإن الأسرة تتخذ من الضمير الاجتماعي عاملا لضبط سلوكيات أفرادها، ومن ثم الإستمرارية العادات وتقاليد، حيث أن الخروج عنها يؤدي إلى نبذ وتجاهل الفرد وتهمشه فهي تمثل ردة فعل الضمير الجمعي خاصة في المجتمعات الخاضعة للأعراف.

فالضمير الجمعي وسيلة لضمان استمرارية التواصل، وترابط بين الأجيال فهو وسيلة لاستمرارية العادات وتقاليد، التي يتوارثها الأجيال في إطار التراث الثقافي فهي غير مكتوبة بل تحتفظ بها ذاكرة الناس (الجماعية)، وهذا ما يعطيها صفة القداسة والاحترام خاصة في عرف "سيدي معمر" مازال الإعتقاد في بركة "الولي" مترسخا بقوة في المتخيل الجمعي،

ومؤثر في بناء استراتيجيات الفاعلين الفردية والجماعية، رغم ما يعتمد داخل الحقل الديني والثقافي من خطابات رافضة لهذه التصورات والممارسات

"فالولي" رمز مقدس وجزء لا يتجزأ من قداسة الله ورسوله وشرفهم وبالتالي فطاعته واجبة كبقية الفروض الدينية والإحتفالية أمر ضروري في كمال تدينهم، أكثر من ذلك فقد أصبح الولي واحتفالته من الدين الإسلامي والإدعاء بغير ذلك من المنظور الشعبي لهؤلاء هو خروج عن الملة فالولي، في التمثلات الشعبية لهؤلاء من سلالة النبي(ص) الشريفة وغايته في الدنيا دوما تكون الإسلام.

وتوصلنا ان استمرار عادات وتقاليد الزواج في "قصر بني يزقن" راجع لمالها من القداسة وإحترام هذا ما يمكنها من السيطرة والإلزام، خصوصا إذا تعلق الأمر بالجوانب الدينية والأخلاقية، فزواج في المجتمع الإباضي شيء مقدس، باعتباره أهم رباط في الدين الإسلامي، نظرا لأهمية الزواج في المجتمع الميزابي ومدى تأثيره على العلاقات الإجتماعية، لذا فقد أولى عناية واهتماما كبيرا بكل ما يتعلق بهذه المؤسسة بداية بمرحلة الخطوبة إلى نهاية العرس، فقد وضعت الأنظمة العرفية لوائح تنظيمية لمراسيم الزواج تنص على عدم المغالاة في المهر قصد تيسير الزواج على الفقراء فهو نفسه بنسبة للفقير والغني، فلمهر لم يفقد رمزيته الدينية ولعل ذلك يعود لالتزام الأفراد بما هو ديني، أكثر من الدنيوي ورضا العائلة بما يقدم إليها، إضافة الى مراقبة "العزابة" و"تيمسريدين"، كما نجد لهم طريقة في الإحتفال فمن النادر أن نجد عرسا فرديا، وإنما تتحد جماعة من عدة اشخاص للزواج في عرس جماعي وهو دليل على قيمة التعاون والتضامن الإجتماعي بين الأفراد، فالأعراس خاضعة لنظام موحد وخليّة من مظاهر التباهي وتفاخر، والقيم البراغمية وروح المادية الموجودة في الثقافات الأخرى للمجتمع، فالقيم الدينية التي تقرها الثقافة الفرعية للمجتمع لم

تتلاشى ويسهر على تطبيقها من خلال وسائل الضبط الاجتماعي بواسطة التنشئة الاجتماعية.

- فالتقاليد في المفهوم الديني والاجتماعي تؤكد فكرة الوديعة، ما يسلمه الجيل القديم للجيل الجديد للحفاظ عليه، ما يفسر كون الأفراد يمارسون تقاليد أجدادهم، ليس خوفا منهم بل بدافع المحافظة على تلك الوديعة، والامتنال لما تركه اجدادهم، وبتالي الإمتثال للعلاقات وتفاعلات الاجتماعية وهذا مكانته واندماجه في مجتمعه، وهذا ما يعطيها صفة القداسة.

وفي نفس السياق حاولت الدراسة التعمق أكثر في لمراسيم النهائية للزواج فوجدنا أن الطقوس الإحتفالية للزواج مازالت محافظة على طابعها التقليدي، خاصة طقس الحناء وليلة الدخلة لأنهما من الطقوس المهمة لإتمام مراسيم الزواج، في مجتمعات البحث وفي المجتمع العربي عامة والجزائري خاصة فهما يكتسيان أهمية بالغة في الذاكرة الجمعية للمجتمع وللزوجين، فهما يشيران إلى مرحلة العبور أي إلى دخول المرأة والرجل فعليا لعالم الزواج حيث تم من خلالها عملية الدمج داخل الأسرة وتقلد أدوار جديدة.

ووفقا لثقافة الفرعية يمكن ان نترجم التشابه في عادات وتقاليد وطقوس زواج عرف "سيدي معمر" و"بني يزقن"، بالرغبة في تمسك بالقيم الدنية وبالأصل وعادات الأسلاف وتبنيهم وتملكهم الكلي لطريقة الإحتفال الخاصة بهم ، فهي تقاليدهم حسب تعبيرهم ،وليست ضد الثقافة الكلية بل هي ثقافة فرعية ليتنازلون عنها تحت أي تأثير، رغم التغيرات وتحولات التي عرفها المجتمع الجزائري استطاعت هذه الثقافة الفرعية الصمود نظرا لصبغتها الدينية، فهي لا تخالف القيم الدنية وقيم المجتمع وتصب كلها في نظرة واحدة تمسكهم بالقيم الدينية والعرفية البعيدة عن الإستثمار المادي للزواج.

وأخيرا نستطيع ان نقول أن الثقافة الفرعية والتراث مصطلحين متلازمين لا يستغني أحدهما عن الآخر، وما العادات والتقاليد الإجتماعية إلا نتاج عنها يتوارثها الأجيال، ويحافظون عليها وفي الحقيقة ماهي إلا إنعكاس لهويتهم الإجتماعية والثقافية، فهي تشكل على مرور الزمن قوة وسلطة المجتمع الغير مدونة، فتعبر عن روح الجماعة وفرصة لإثبات الذات الإجتماعية والهوية الثقافية.

خاتمة:

من خلال بحثنا حاولنا ان نكشف عن الواقع الحقيقي لثقافة الفرعية لعادات وتقاليد الزواج بين "عرف سيدي معمر" و"بني يزقن" وما تحمله المراسيم الإحتفالية من عادات وتقاليد ذات بصمة تقليدية في ظل التغيرات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية للمجتمع، وذلك بإعطاء وصف كلي ودقيق وفهم عمق لجميع المراسيم الإحتفالية للزواج، والطقوس الموروثة في "عرف سيدي معمر" بمدينة شرشال و"قصر بني يزقن" والوظائف التي تؤديها حيث أنها اضحت اليوم جزء لا يتجزأ من ذلك الكل المركب والمعقد الذي تحمله مؤسسة الزواج، وكيف ان هذه الممارسات إستطاعت أن تقرض وجودها كثقافة فرعية تقليدية متوارثة عبر الأجيال ومنذ زمن بعيد بين القيم والعادات الإجتماعية الأخرى والحديثة الموجودة في المجتمع.

ولدى تحليلنا لهذه التفاعلات الإجتماعية الحاصلة لاحظنا أن العادات التقليدية والعرفية لم تمحي من الذاكرة الجمعية ولم تندثر في مجتمعات البحث، بل إستطاعت أن تحافظ على مكانتها الأصيلة والمقدسة بين هذه الممارسات التي تقام اليوم كأنها فرصة لتباهي وتفاخر، وترك بصمة التميز داخل المجتمع من الجانب المادي، فاستطاعت أن تحافظ على صورتها الأولى التي وجدت بها تمتاز بالأصالة وتغلب الجانب الروحي والديني على الجانب المادي، فالقيم الدنية تحتل الصدارة في هذه العادات وتقاليد، فأصبحت تمثل ثقافة فرعية داخل المجتمع الجزائري تختلف عن باقي المناطق الأخرى، فلم يطغى عليها الجانب المادي رغم التحولات وتغيرات التي عرفها المجتمع من الناحية الإقتصادية والثقافية كالأنترنت والتلفزة، بقيت صامدة ولم تفقد ميزات الحقيقة مازالت تحتفظ بمكانتها المقدسة، ونلتمس هذا في التصورات الفردية والجماعية التي تنعكس في سلوكا تهم خلال هذه المراسيم، وما تنص عليه النظم العرفية في "عرف سيدي معمر" و"حلقة العزابة" حول الزواج وكيفية الإحتفال

بمراسيمه المختلفة ،من بداية "الخطبة" إلى نهاية "العرس" ، فقد حثت على تيسير الزواج بتركيز على أركانه الأساسية "المهرأوصداق" وذلك بعدم المغالاة في المهر وفتح أبواب الزواج للفقراء فلمهر موحد بنسبة للغني والفقير ،وجعل الشباب لا ينفرون من الزواج، وهذا إقتداء بالدين الإسلامي وسنة النبوية الشريفة فهي تهتم بكل الخصائص التي ساعدت على ثباتها ،واستمرارها رغم التحولات والصراعات التي تحدث داخل المجتمع ،وهذا راجع الى مدى الوعي بأهمية الزواج باعتباره أهم رباط في دين الإسلامي سعيا منها للحفاظ على مكانته كنظام إجتماعي مهم في المجتمع بصفة عامة ،وفي هذه الجماعات بصفة خاصة.

فهذا الإحتقال هو مناسبة لاحتلال مكانة إجتماعية، وتأكيد لوضع خاص أو المطالبة بحق الإلتواء إلى جماعة محددة من خلال تطبيق، عادات وتقاليد وطقوس هذه الجماعة باعتبارها المؤهل الوحيد لضمان الإلتواء إلى الجماعة التي يود الإلتزام إليها ،فتجاذب الأفراد بارز بوضوح أثناء المراسيم الإحتفالية، ففي جزء منها يريد الفاعلون الإجتماعيون إثبات هويتهم الإجتماعية وثقافية، وهذا يعني عدم التخلي عن القيم الأصيلة رغم الإغراء الذي تمارسه رموز الحياة العصرية والنماذج الغربية ،فالكثير من الرموز التقليدية مازالت موجودة في هذه الثقافة الفرعية لعادات وتقاليد الزواج لدى الجماعة "المعمرية" والميزابية في "بني يزقن" والإعتقاد بها لايزال سائد ،فهي تعكس قيم الأسلاف ومعتقداتهم وتصوراتهم الجماعية هذا الماضي الذي لا يبقى إلا بوجود ذاكرة جماعية.

ونخلص الى القول بأن هذه الثقافة الفرعية لعادات وتقاليد وطقوس الزواج في "عرف سيدي معمر" و"بني يزقن" لها معاني ودلالات مختلفة لا يمكن للفرد تجاهلها ، فهي موجودة منذ الماضي البعيد ومستمرة في حياتنا الإجتماعية، هذه الثقافة الفرعية لعادات وتقاليد الزواج، إختلفت من حيث المراسيم الزوجية في بعض التفاصيل، لكنها تتشابه في مدى تمسكها وحرصها على إستمرار هذه العادات وتقاليد التي تهدف من خلالها إلى المحافظة

على القيم الدينية والإجتماعية للزواج التي تتمثل في السلطة الأبوية، والقيم الموروثة عن الأجداد والسنة النبوية الشريفة التي سارت عليها الأمم السابقة، ومازالت تسير عليها هذه الجماعات حتى داخل نفس المجتمع.

ولذا لدينا نمط جديد من الثقافة، ثقافة فرعية كحصن منيع ذات طابع ديني وإجتماعي خاصة بزواج قائمة على مبدأ تيسير الزواج والإحتفاظ برمزيتة الدنياوية، للحفاظ على هذا الرباط المقدس.

هذه الثقافة الفرعية تنصب نحو هدف واحد وموحد، وأن دلت على شيء تدل على وحدة المجتمع، وتماسك افراده وترابطهم.

قائمة المراجع

قائمة المراجع:

مراجع باللغة العربية :

ا. مراجع في المنهجية :

1- أنجريس (موريس)، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، كتاب مترجم دار القصة للنشر، الجزائر، 2006.

2- بحوش (عمار)، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.

3- بحوش (عمار)، دليل الباحث في المنهجية والكتابة والرسائل الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1995.

4- جلبي (علي عبد الرزاق) وآخرون، البحث العلمي، مفهومه، ادواته وأساليبه، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، ط 6، عمان، الأردن، 1998.

5- حجاب محمد منير، الأسس العلمية لكتابة الرسائل الجامعية، ط2، الجزائر، دار الحكمة، 1994.

6- ديليو (فضيل) وآخرون، أسس المنهجية في العلوم الإجتماعية، سلسلة العلوم الإجتماعية، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999.

7- زيدان عبد الباقي، قواعد البحث الإجتماعي، مطبعة السعادة، الطبعة الثانية، القاهرة، 1979.

8- فهمي محمد سيد، قواعد البحث في الخدمة الاجتماعية، الإسكندرية الكتاب الجامعي الحديث، 2001.

9- معن خليل عمر، مناهج البحث في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2004.

10- محمد عبيدات وآخرون، منهجية البحث العلمي -القواعد والمراحل والتطبيقات، كلية الإقتصاد والعلوم الإدارية، الجامعة الأردنية، الأردن، 1999.

II. اقواميس علم الاجتماع:

- 11- إحسان محمد الحسن، معجم علم الاجتماع، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1986
- 12- الحسن عيسى، موسوعة الحضارات، ط1، الأهلية لنشر والتوزيع، بيروت، 2007.
- 13- البستاني فؤاد إفرام، منجد الطلاب، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1973
- 14- جان فرنسوا دوروتي، معجم العلوم الإنسانية، ترجمة د. جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ب ط، 2009.
- 15- دنكن ميشال، معجم علم الاجتماع، تر إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1981.
- 16- غيث محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، مطبعة الانتصار، دار المعرفة الجامعية، 1979
- 17- مذكور إبراهيم، معجم العلوم الاجتماعية، القاهرة، الهيئة المصرية.
- 18- معين خليل العمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق لنشر والتوزيع، ط2،
- 19- همام طلعت قاموس العلوم النفسية والاجتماعية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984

III. مراجع سوسيو أنثربولوجية:

- 20- الجوهري محمد، علم الفولكلور (الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية)، القاهرة، دار الكتاب للتوزيع، 1978.
- 21- الجوهري محمد، علم الفلكلور دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية، ج1، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1990،

22- دورسون ريتشارد، نظريات علم الفلكلور، ترجمة وتقديم /محمد الجوهري وحسن سامي، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 1973.

23- سعيدي محمد، الأنثروبولوجيا مفهومها وفروعها وإتجاهاتها، الجزائر، دار الخلدونية، 2013

24- موس (مارسل)، بحث في الهبات والهدايا الملزمة، ترجمة محمد طلعت عيسى، دار الفكر العربي ط1، 1971.

IV. مراجع خاصة بالثقافة:

19-الربابعة أحمد، أثر الثقافة والمجتمع في دفع الفرد لارتكاب الجريمة، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض،

20-الجوهري محمد، الثقافة العربية والحضارة الإسلامية، دار المأمون، الخرطوم، د.ت.

21-الساعاتي سامية حسن، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، 2003.

22-رشوان حسن عبد الحميد أحمد، الثقافة دراسة في علم الإجتماع الثقافي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006.

23-زكريا محمد فؤاد ومصطفى شاكر، الثقافة العربية ولإعتماد على الذات، دار الشباب، قبرص، 2003.

24-عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات من الحادثة إلى العولمة، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006.

25-محمد عبده فائق محمد شريف، التراث الشعبي.

V. مراجع عامة في علم الإجتماع:

28-الأخرس محمد صفوح، تركيب العائلة العربية ووظائفها-دراسة ميدانية لواقع العائلة في سورية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1976.

- 29-الخولي سناء، الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1984.
- 30-العميري كرم ضياء الدين، الإسلام والوعي الحضاري، جدة، 1999
- 31 -الجلواني عمر فادية، إتجاهات الأسرة العربية نحو عادات الزواج، المكتبة المصرية، الإسكندرية، 2004
- 32-إبراهيم، عثمان ، مقدمة في علم الاجتماع، عمان :دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 1999.
- 33-دياب، فوزية، القيم والعادات الإجتماعية -مع بحث ميداني لبعض العادات، دار النهضة العربية للطباعة ونشر، بيروت، لبنان، 1980.
- 34-فاطمة المنتصر الكتاني، التنشئة الإجتماعية الوالدية وعلاقتها بمخاوف الذات لدى الأطفال، عمان، دار الشروق، ط1، 2000.
- 35-عد نان إبراهيم أحمد، محمد المهدي الشافعي، علم الاجتماع التربوي والأنساق الإجتماعية، ليبيا، منشورات سبهاء، ط1، 2001،
- 36-عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ب ط، بيروت، 2008.
- 37-مصباح عامر، التنشئة الإجتماعية وسلوك الإنحراف لتلميذ المدرسة الثانوية الجزائر، شركة الأمة لطباعة ونشر والتوزيع، ط1، 2003.
- 38-محسن خليل، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن، 1997
- 39-محمد عوض عبد السلام، الفعل الاجتماعي عند تالكوت بارسنز، دار المطبوعات الجزيرة، مكتبة المصارف الحديثة، القاهرة، 1986.
- 38-هيس بيت، اليزابيت ستاين، علم الاجتماع، تر محمد مصطفى الشعيبي دار المريخ للنشر، الرياض، 1989.
- 39-محجوب محمد عبده، المرأة والقيم في المجتمعات العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2011.

40- محمد علي محمد، المفكرون الاجتماعيون قراءة معاصرة لأعمال خمسة من أعلام علم الاجتماع الغربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1986

VI. مراجع حول الضبط الاجتماعي:

41- الساعاتي حسن، علم الاجتماع القانوني، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1668.

42- أحمد الخشاب، الضبط الاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، 1986

43- خالد فرج الجابري، دور مؤسسات الضبط في الامن الاجتماعي، دور مؤسسات الضبط الاجتماعي، الندوة الفكرية، بيت الحكمة، 1997.

44- محمد صفوح الأخرس، نموذج إستراتيجية الضبط الاجتماعي في الدول العربية، الرياض، اكااديمية نالف للعلوم الأمنية، ط1، 1998.

45- مصلح الصالح، الضبط الاجتماعي، الوراق للنشر وتوزيع، الأردن، 2004.

VII. مراجع خاصة بالزواج :

46- البري زكريا، الأحكام الأساسية للأسرة الإسلامية. القاهرة، معهد الدراسات الإسلامية بالزمالك، 1981.

47- المسلماني مصطفى، الزواج والاسرة، المطبعة الفخرية، القاهرة، 1977.

48- الترماني عبد السلام، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، الكويت، مطابع الرسالة، 1984،

49- الخولي (سناء)، الزواج والعلاقات الأسرية، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1983 .

50- الخولي (سناء)، الزواج وتطور المجتمع، القاهرة، دار الكتلب العربي، السنة غير مذكورة .

- 51-الحسن (محمد)، العائلة القرباء والزواج، دراسة تحليلية في تغير نظم العائلة، القرباء والزواج في المجتمع العربي، دار الطليعة للطباعة ونشر، بيروت، لبنان، 1989.
- 52- المسلماني(مصطفى)، الزواج والأسرة، القاهرة، المطبعة الفخرية، 1977.
- 53- الخشاب(مصطفى)، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة القومية للطباعة ونشر، بيروت، لبنان، 1981 .
- 54- بوتقنوش (مصطفى)، العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة، تر، (الدمري) أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984.
- 56- سركيس (عادل أحمد)، الزواج وتطور المجتمع، دار الكتاب العربي للطباعة النشر، القاهرة، السنة غير مذكورة .
- 57-شبال مالك، ترجمة عبد الله الزوا، الجنس والحريم روح السراي، السلوكات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير، إفريقيا الشرق، المغرب، 2010.
- 58-كحالة (عمر رضا)، الزواج، سلسلة بحوث إجتماعية، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1974.
- 59-كسال (مسعودة)، مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، 1986.
- 60-كلثم علي غانم، إتجاهات الشباب نحو قضايا الزواج -دراسة إستطلاعية على عينة من الشباب القطري، المجلس الأعلى لشؤون الأسرة، قطر، 2010.

VIII. مراجع حول تاريخ ميزاب:

- 61-الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام ج2، ط2، مكتبة الحياة، بيروت، 1965
- 62-بن باكير الحاج سعيد يوسف، تاريخ بني مزاب، دراسة إجتماعية وإقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، نهج طالبي أحمد، غرداية، 1992.

63- ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، المجلد السابع، دار الكتاب اللبناني، لبنان، (د.س).

64- بحاز إبراهيم: المزابيون والمعتزلة، قراءة جديدة لنصوص قديمة، مجلة الحياة، عد1، معهد الحياة، نشر جمعية التراث، القرارة، جانفي 1998.

64- بكير بن سعيد أوعوش، ميزاب يتكلم: تاريخها وعقائديا واجتماعيا، المطبعة العربية، غرداية، 1993.

65- بن حمو أرشوم مصطفى: النكاح صحة وفسادا وآثار في المذهب الإباضي، مقارنة بالمذاهب الإسلامية والقوانين الوضعية، ط1، مطابع النهضة، مسقط . سلطنة عمان، 2002.

66- بكوش يحي محمد: فقه الإمام جابر بن زيد، الجزء الثاني، ط2، المطبعة العربية غرداية، 1988،

67- باقولولو صالح، النبراس في تسيير الأعراس، مطبعة الواحات، غرداية، ط1، 2008.

67. دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة، المطبعة التعاونية، دمشق، سوريا، 1965.

68- ناصر محمد: حلقة العزابة ودورها في المجتمع المسجدي، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 1989.

69- ناصر محمد، منهج الدعوة عند الإباضية، جمعية التراث، غرداية، ط2، 1999.

IX. مراجع خاصة بالمجتمع :

70- جغلول عبد القادر، المرأة الجزائرية، تر: سليم قسطون، الطبعة الأولى، بيروت دار

71- الحداثة للطباعة والنشر، 1973.

72- كرد محمد علي، خطط الشام، ج6، بيروت، دار العلم للملايين، ط2.

73-- مصباح عامر، علم اجتماع الرواد ونظريات، الجزائر: دار الأمة للطباعة ونشر،

ط1، 2005

74-محمد احمد بيومي، أسس وموضوعات علم الاجتماع، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط1، 2004.

X. رسائل جامعية :

75-أسعد فايزة، المدينة والمقدس مدينة وهران وأولياؤها نموذجاً، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة وهران، 2007.

76-حاج رمضان هبة: ميزاب التغير الاجتماعي وتعليم الفتاة، مذكرة نهاية الليسانس في علم الاجتماع، المشرف كولدين شولي وبن قرقور شريف، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر السنة الجامعية 1985-1986.

XI. المجلات والدوريات:

77-سكار جينيسكا كريستينا، وحدة التراث الشعبي العربي مدخل تاريخي للوحدة العربية الملامح العربية المشتركة في الزواج، التراث الشعبي، مجلة شهرية تصدر عن وزارة الثقافة والإعلام، دار الجاحظ، العراق، العدد10، 1998.

II-Ouvrage en français :

I-Dictionnaire :

1. Grawitz(Madeleine), **Lexiques des sciences sociales**, Dalloz, Paris, 1983.
2. Sump (Joseph), Augues (Michel), **dictionnaire de la sociologie**, Librairie Larousse, Paris1973.

II -Famille et mariage :

3. Boutefnouchete (Moustafa),**La famille Algérienne ,évolution et caractéristiques** , Alger, SNED,1980
4. Hans FS (Gunther),**Le mariage ses formes son origine**; traduit par(L)Lamorllete,Payot,Paris,1952.
5. Toualbi (Raba), **Les attitudes et les représentations du mariage chez la jeune fille Algérienne** ,édition ENAL, Alger;1984.

III-Ouvrages de méthodologie :

6. Angers (Maurice), **Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines**, Les Editions CEC_ENSI, Québec, 1996.

V-Ouvrages de Sociologie général :

7. Caillois Roger, **L'homme et le sacré**, édition Gallimard France,1950.
8. Certeux et Carnoy, **L'Algérie traditionnelle : légendes, contes, chansons, musiques, mœurs, coutumes**

9. Certeux .E. Henny, **l'Algérie traditionnelle**, Paris: Maisonneuve, 1964,
10. Chelhob (Joseph), **Les Structure du sacré Chez les arabes**. Maisonneuve, Paris : 1964,
11. CLOUDE PAVARD : **LUMIERES DE M'ZAB**, Edition Décroisse, France.
12. Dermen Gheine Emile, **culte des saints dans l'islam maghrébin**, Paris :Ed. Galliniard, 1954.
13. Durkheim Emile, **les formes élémentaires de l vie religieuse**, P,U,F, paris,1968.
14. Gaudry, Mathea, **La femme Chaouia de l'Aurès**. Etude de sociologie berbère, Paris, éd L.O.P.G. 1929.
15. Gaudry, Mathea, **La femme Chaouia de l'Aurès**. Etude de sociologie berbère, Paris, éd L.O.P.G. 1929.
16. **Marcel mauss**, , [Essai sur le don](#). Forme et raison de l'échange dans les sociétés archaïques (1925), Introduction de Florence Weber, Quadrige/Presses universitaires de France ,2007.
17. Segalen, Martine, **Rites et rituels contemporains**, Paris, éd. Nathan, 1998.
18. Van Gennep, **Arnold, Manuel de folklore français contemporain**, tome 2 : du berceau à la tombe (maria) .
19. Westermarck, Edward, **Les cérémonies du mariage au Maroc**, traduit de l'anglais par Arin, J. éd. Ernes

Revue :

20. Carlier, O, « **les Enjeux Sociaux du Corps, le Hammam Maghrébin (19-20 siècle) lieu pérenne, menacé ou recréé** », in *Annales, Histoire, Sciences sociales*, 55 année, n° 6, Nov-Déc 2000, Paris, Editions de l'Ecole des Hautes Etudes en Sciences Sociales.
21. Faouzi Adel, **La nuit de noces ou la virilité piégée**, Insaniat, N°4Janvier-avril1998,revue algérienne d'Anthropologie et de sciences social,Crasc,Oran,p4.
22. Germain, Tillion, **Le harm et les cousin**, Paris : le seul,1966,,

Ouvrage sur histoire de Mzab :

23. A.Certeux.E.Henny, **l'Algérie traditionnelle**, Paris :Maisonnouve, 1964.
24. Amat charles, **Le M'zab et les M'ozabites**,Paris ,CHALLAME ?1988.
25. Benyoucef Brahim ,**LE M'zab**,Paris,1982.
26. Chelhob (Joseph), **Les Structure du sacré Chez les arabes**. Maisonneuve, Paris: 1964.
27. CLOUDE PAVARD : **LUMIERES DE M'ZAB** , Edition Delroisse, France.
28. DADDI ADOUNE Aicha, **Sociologie et Histoire des Algériens IBADITES** , Imprimerie El ARABIA,1977.
29. GOINCHON Amélie, **La vie féminine au M'zab, Etude de sociologie musulmane**, Paris, geuthner,1927.

30. OMRE BEN AISSA, **Modhaquirate wathaik rasmia, sur l'ousd M'zab dans le domaine s, religieux, politique et sociaux 1853a1851**,Tunis, Nahda,1951.

Thèse :

31. CH.OUGOUAG KEZZAL, « **le sadaq et le mariage suivant le (Urf) rite de sidi Ma'ammam** ». thèse de doctorat , Alger :1971,
32. Trumelet C. **L'Algérie Légendaire**· Alger: Adolphe Jourdan, 1982.
33. Brahim Erahmani Anissa, **du loisir passe-temps ou temps du loisir, Doctorat 3ém cycle, Pairs VII** ,1982

الملاحق

دليل المقابلة

جميع البيانات الشخصية للمبحوث من حيث: الجنس، السن، المهنة، المستوى الدراسي، الأصل الجغرافي، الحالة الاجتماعية.

- المستوى المعيشي للعائلة التي ينحدر منها.

أ- أسئلة المقابلة الخاصة بالعائلات المعمرية:

- ماذا يمثل الزواج بالنسبة لك؟ وإلى ما يرمز؟
- ماهي عادات الزواج لديكم من بداية الاختيار إلى نهايته بالتفصيل؟
- كيف يتم اللقاء بين العروسين، وهل يجب ان يكون الطرفين من عائلة معمرية؟
- ماهي مميزات الزواج المعمر؟ وماهي العادات المصاحبة له بالتفصيل؟
- من يحدد المهر ولماذا؟ ماهي مميزات المهر عندكم؟
- من هو الولي "سيدي معمر"، وماذا يمثل بالنسبة لكم؟
- هل مازلتم تحافظون على هذه العادات ولماذا؟ (كيف يتم اختيار العروس، مدة العرس، المهر، الخطبة، مكان إقامة العرس، ليلة الحناء والدخلة).
- من يحرص على القيام بهذه العادات القديمة؟ ولماذا؟
- من يحرص على نقل هذه العادات وتقاليد، هل هي الأم؟
- هل تتاسبكم هذه العادات؟ إذا كان نعم أولاً لماذا؟
- إذا طبقتكم هذه العادات القديمة ما السبب الذي يدفعكم إلى ذلك؟
- ما هو الشيء الذي جعل هذه العادات تستمر؟

- ما رأيكم في العادات الجديدة في حفل الزواج؟
- هل تغيرت هذه العادات وتقاليد وطقوس الخاصة بالزواج "سيدي معمر"؟

ب- أسئلة المقابلة الخاصة بالعائلات "بني يزقن":

- جميع البيانات الشخصية للمبحوث من حيث: السن، المهنة، المستوى الدراسي، الأصل الجغرافي، الحالة الاجتماعية.
- المستوى المعيشي للعائلة التي ينحدر منها.
- إلا ما يرمز الزواج لديكم؟
- ماهي الأوقات التي يتم فيها ،وماهي أشكال الزواج الشائعة عندكم؟
- من يقوم باختيار العروس عادة؟ وكيف يتم التعارف؟
- ماهي عادات الزواج لديكم؟ من يحدد المهر والشروط؟ وهل هي مكلفة؟
- هل مازلتם تحافظون على هذه العادات،ومن يحرص على مراقبتها؟
- ماذا تمثل "هيئة العزابة بالنسبة لكم؟
- هل تتاسبكم هذه العادات وتقاليد، وما هو الشيء الذي يميزها عن غيرها من مناطق الوطن؟
- متى وأين يتم حفل الزفاف بالتفصيل؟
- ما رأيك في طريقة الإحتفال بالزواج اليوم؟
- إلى ما ترمز هذه العادات وتقاليد وطقوس الخاصة بكم؟